جامعة وهران 2
كلية العلوم الاجتماعية
قسم الفلسفة
أطروحة
لـــــــنيـــــل شهادة دكتوراه علوم
في الفلسفة

الفلسفة وحلم إقامة مجتمع المعرفة
الوطن العربي أنموذجا

من إعداد الطالبة :
زيد الخير حورية

إشراف:
أ.د محمدي رياحي رشيدة

تشكيلة لجنة المناقشة :

الاسم واللقب	الرتبة	الصفة	مؤسسة الانتماء
سواريت بن عمر	أستاذ التعليم العالي	رئيسا	جامعة وهران2
محمدي رياحي رشيدة	أستاذ التعليم العالي	مشرفا	جامعة وهران2
الزاوي الحسين	أستاذ التعليم العالي	مناقشا	جامعة وهران2
محمد شوقي الزين	أستاذ التعليم العالي	مناقشا	جامعة تلمسان
كرد محمد	أستاذ التعليم العالي	مناقشا	جامعة معسكر
بلعالية دومة ميلود	أستاذ التعليم العالي	مناقشا	جامعة الشلف

الموسم الجامعي 2022-2023

شكر وتقدير:

الشكر الجزيل والموصول والموفور إلى كل من ساهم في إنجاز هذا العمل من

قريب أو من بعيد .

وأخص بالذكر الوالدين الكريمين ، والزوج شافاه الله وعافاه من كل مكروه.

وأطال في عمره.

مقدمة

كانت الفلسفة ولازالت تشقّ الواقع المعاش ، اليومي ، الماضي ، والمستقبل ، تراقب الحدث في تمفصلاته ، في بدايته ، تكوناته ، مآلاته، تفهم ، تسائل ، وتثور، وفي كل مرة تفتح الباب عن إشكالات ومشكلات جديدة قد تعجز عن مراقبتها العلوم المقننة .

ولا ينفصل واقع المجتمعات وحركيتها بين التقدم والتأخر ، بين السطوع والأفول ، بين مرارة المحاولات الفاشلة وغزارة التحديات ولحظات انبثاق الوعي ، وتشكل الصورة لواقع تحلم هذه المجتمعات أن تعيشه بتفاصيله الدقيقة.

فبين رغبة في التحضر ، النهوض، والتقدم ، تكابد مجتمعات العالم واقع التخلف المرير ، تساهم الفلسفة بطريقة أو بأخرى في رسم ملامح الطريق لهذه المآلات ، فقد دأب الفكر الفلسفي منذ القدم على رسم صورة لمجتمعات خالية من الأزمات والنكبات والمآسي ، وكانت أفكار ومشاريع الفلاسفة الأوائل في الحلم بمجتمعات مثالية هي ردة الفعل الطبيعية من الفيلسوف الذي يأبى أن يواجه الوضع المتأزم والمنكوب بصمت يعتريه اليأس والقنوط.

مجتمعات المعرفة لم تأت من فراغ فكري ، بل هي وليدة تلاقح وتكاثف أفكار ونظريات النمو والتحديث عن الحال التي يمكن أن تكون فيها المجتمعات أكثر رقيا وأمانا وأكثر حفظا لقيمة وكرامة الإنسان . وتتأتى أهمية هذه المجتمعات من أهمية اللّبنة الأساسية القائمة عليها وهي المعرفة .

حيث يشهد العالم اليوم تقدما هائلا في مجال تكنولوجيا المعلومات والاتصال وحدوث تغييرات جذرية واسعة في أساليب الحياة المعاصرة وبخاصة في طبيعة العلاقات الإجتماعية والإقتصادية والنظم والمؤسسات الكبرى في المجتمعات المتقدمة ، فقد أصبح المجتمع المعاصر يوصف بأنه مجتمع المعلومات الذي تتدفق فيه المعلومات بسهولة ويسر ، بحيث يمكن الحصول عليها من مصادر كثيرة ومتنوعة دون عناء أو تكاليف باهظة، كما أصبحت المعرفة والإبداع من أهم العوامل المؤثرة والمحددة لقيام ما يطلق عليه اسم مجتمع المعرفة

الذي لا يكتفي باستخدام المعلومات لفهم واقع الحياة وأحداثها وتفاعلاتها والإستفادة منها في توجيه مختلف أنماط الأنشطة وخاصة في المجال الاقتصادي ، وإنما يعمل بالإضافة إلى ذلك على إنتاج المعرفة الإقتصادية والإجتماعية والسياسية.

لم تعد اليوم مسألة توجه المجتمعات نحو مجتمع المعرفة مسألة اختيار أو لعبة قدر ، وإنما هي ضرورة ووسيلة تنموية أصبح يفرضها الزمن الحضاري ، ولا يمكن أبدا اعتبار هذا النهج النهضوي حلاّ مؤقتا سيزول مع الوقت ، لأن آثار وتبعيات التقدم العلمي والفكري والتطور الرهيب والمستمر للمعرفة أصبح يتطلب مجازفات وجرأة كبيرة لخلق شروط التأسيس المادي للعلوم والمعرفة وتوطينهما في المجتمعات العربية ، وهذا لن يتأتى إلا بالعمل على خلق جيل حضاري نابغ في فهم واستيعاب وتوطين معارف هذا العصر ،ولن تتمكن هذه المجتمعات من استيعاب وتوطين معارف هذا العصر إلاّ إذا فرضت وأقامت استعدادات وتكوينات وتأهيلات مناسبة للأفراد الحاملين لهذه المعارف والمستوعبين لها.

لقد أصبح الحديث اليوم عن مجتمعات المعرفة يندرج ضمن مشروع حضاري شامل خاضع لتخطيطات وموازنات الاقتدار والقوة والمنعة والحصافة الفكرية ، لقد دخلت الإنسانية إلى نظام معرفي تبادلي جديد في الوقت الذي كانت فيه المعرفة حكرا على طبقات الحكماء والراسخين في العلم ، إلا أنها اليوم أصبحت تأخذ بعدا تداوليا من خلال أدوات وبرامج وأنظمة محكمة تشكل فضاءات افتراضية ومجالات اتصالية معلوماتية ، وذلك بفعل تنامي مطالب الحرية والمساواة والإنفتاح على الآخر وحقوق الإنسان ، بما في ذلك اكتساب المعرفة عن طريق الحق في التربية والتعليم من خلال المدرسة والجامعة والكتاب إضافة إلى قيم التعليم المستمر والتعلم مدى الحياة.

ومن المؤشرات التي يمكن الإعتماد عليها في تحديد ووصف مجتمع المعرفة هو تزايد الإهتمام بالبحث والتنمية والاعتماد على الكمبيوتر والأنترنت والقدرة التنافسية ففي مجال إنتاج ونشر المعرفة على مستوى العالم ، ومع أهمية هذه العناصر فإن إنتاج المعرفة يبقى

العنصر الأساسي والركيزة القوية التي يقوم عليها الإقتصاد الجديد، الذي تحل فيه المعرفة محل العمل ورأس المال بحيث يمكن تقويم السلعة ليس فقط حسب مايدخل في تكوينها من مواد خام أم ما بذل في إنتاجها من مجهود أو ما انفق عليها من رأس المال وإنما حسب المعرفة التي أدت إلى ابتكار تلك السلعة وإنتاجها.

فالمعرفة تعتبر هنا أهم عامل في الإنتاج ، ومن هذه الناحية وبالنظر إلى الرصيد الفكري للعالم نجد أن القدرة على الإبتكار والإبداع من جهة وحيازة التقنية من جهة أخرى ليست موزعة بالتساوي على الشعوب فهناك من الدول من تملك القدرة على ابتكار التقنية وإنتاجها ، كما تملك مرونة وليونة تمكنها من استعمالها في تسيير مختلف النشاطات، في حين نجد الدول النامية أو السائرة في طريق النمو حيازتها لهذه التقنية تكلفها ثمنا باهظا ، كما أن استعمالها يبقى محصورا على فئة قليلة من أفرادها ، وهذا الخلل في حيازة التكنولوجيا واستعمالها بالرغم من التدفق الهائل للمعلومات أصبح يتعاظم حجمه يوما بعد يوم بين الدول المتقدمة والأخرى السائرة في طريق النمو وهو ما اصطلح عليه بالفجوة المعرفية ، ولكن أمام هذا المشهد العالمي المتميز بالتقدم التكنولوجي والتقني ، والسعي المترامي لاكتساب المعرفة تبرز الفلسفة من جديد لتطرح أسئلتها منوّرة بذلك درب البحث الدؤوب عن المعرفة وتوطينها ، إذ تتحدد كمفهوم من خلال كونها "آلة الفكر" التي تواصل حضورها مع العالم والوجود البشري وما يحيطه من أسرار ومجاهيل وعوالم مكتشفة وأخرى بحاجة إلى المعرفة والاكتشاف ، وكذلك ارتباطها بالعلوم وتمسكها الواضح بفكرة التطور ، تلك التي انبثقت من خلال الأزمنة الحديثة التي حددت مسارات الفلسفة بكونها تهتم بذات الإنسان وتسعى إلى تعزيز مكانته الوجودية بشكلها المادي والمعنوي.

فبين رغبة في التحضر ،النهوض والتقدم ، وبين الحلم في عيش واقع أحسن ، وتجسيد ذلك الحلم في شكل مشاريع ، تكابد مجتمعات العالم واقع التخلف المرير مسترشدة بنماذج رائدة في الرقي والتطور ، حيث يختلف اكتساب المعرفة تبعا لمنظومة إنتاجها ، فإنتاجها في

الفلسفة الغربية يختلف عن إنتاجها في الفلسفة الإسلامية العربية مع إمكانية الارتباط بينهما ، فإذا كان إنتاج المعرفة في الفلسفة الغربية يقوم على النقد فإنه في الفلسفة العربية الإسلامية يرتبط بقضايا الإصلاح والنهضة وبالتالي فإن قيام مجتمع المعرفة في المجتمعات الغربية يرتبط بالتوجهات الجديدة نحو إقامة مجتمع ما بعد الحداثة أو مجتمع ما بعد الصناعة ، أما في الحالة الثانية فإنه يرتبط بقضايا النهضة والتجديد والتحديث.

أهمية الموضوع : تبرز أهمية هذا الموضوع من خلال إبراز قيمة الجهود المبذولة من قبل دول الوطن العربي في سبيل الولوج إلى مجتمعات المعرفة ، مع إظهار الآليات والأسس المتبعة في سبيل المحافظة على قيم الهوية وإرساء طابع مميز للثقافة العربية الإسلامية.

إشكالية الموضوع :مما تقدم يتضح لنا أن " مجتمع المعرفة " كمفهوم لم يكن وليد السّاعة ،وإنّما هناك رواسبا فكرية عديدة ساهمت في بروزه إلى السطح، خاصة إذا تعلق الأمر بواقع الدول العربية ، لذلك كانت الإشكالية الأساسية لهذا العمل تتمحور حول الدور الذي يمكن للفلسفة أن تلعبه في سبيل تحقيق حلم مجتمع المعرفة ؟

وما مدى ارتباط التصور العربي حول مجتمع المعرفة بالتصورات اليوتوبية الفلسفية؟ وهل تساهم الفلسفة في الوطن العربي في إرساء وتشكيل معالم هذا الحلم على أرض الواقع ؟ وما هي الجهود المبذولة من قبل دول المشرق والمغرب العربيين في سبيل الولوج إلى مجتمعات المعرفة ؟

منهج الدراسة : تعتمد الدراسة على المنهج التحليلي كمنهج أساسي لدراسة العلاقة بين الجهود المبذولة لإقامة مجتمع المعرفة في الوطن العربي وعلاقتها بالتصورات اليوتوبية في الفلسفة خاصة في ظل التوجهات العولمية التي تدعو للتثاقف والتواصل .

كما أنه تم الإستعانة بالمنهج الوصفي في تعريف مجتمع المعرفة، الفلسفة ،المعرفة ... وكذا المنهجين الاستقرائي والتاريخي من خلال دراسة بعض النماذج للمجتمعات اليوتوبية في الفلسفة وعلاقتها بمجتمع المعرفة الناشيء.

الدراسات السابقة :لا يخف على أحد أهمية المواضيع المحيّنة والمرتبطة بمجتمع المعرفة والتي تطرح يوميا في مجال البحوث النظرية والعلمية، وفي نفس السياق يأتي هذا البحث كمحاولة لكشف النقاب عن تمفصلات النظر الفلسفي وخاصة في بعده اليوتوبي وعلاقته بمجتمعات المعرفة الناشئة ، ونخصّ بها حالة الوطن العربي ، ومن الدراسات العديدة التي بحثت في مواضيع قريبة من موضوعنا هذا نجد أقربها له من ناحية التأسيس أطروحة دكتوراه للطالب الهادي دوش تحمل عنوان :دور البعد الثقافي في إدارة مجتمع المعرفة في ظل العولمة ، عن جامعة محمد خيضر بسكرة، الموسم الجامعي 2016/2015.

إلا أن ما يميز دراستنا هذه عن دراسة الطالب هادي دوش هو ميلنا للدراسة الفلسفية وربطها بالبعد اليوتوبي وبالمجتمعات المثالية في الفلسفة ، وتسليط الضوء على حالة الوطن العربي بالذات كنموذج للدراسة ، بالإضافة إلى أن هذه الدراسة هي استكمال للبحث الذي قدمناه في رسالة الماجستير التي كانت تحمل عنوان الفلسفة وإقامة مجتمع المعرفة كمحور للنهضة من تأطير الأستاذة الفاضلة محمدي رياحي رشيدة (2012).

أما عن هيكلة البحث فقد قسمنا هذا الموضوع إلى ثلاثة فصول ، حيث كان الفصل الأول بعنوان : مجتمع المعرفة المفهوم والخصائص والذي قسمناه إلى مبحثين ، تعرضنا في المبحث الأول إلى مفاهيم أساسية تتعلق بمجتمع المعرفة ، تعريف المعرفة ، وغيرها من المفاهيم الأساسية في الأطروحة.

أما المبحث الثاني فتعرضنا فيه لأركان مجتمع المعرفة .

أما الفصل الثاني فكان يحمل عنوان : مكانة المعرفة بين حتمية الفلسفة ومشروعية الحلم ، وقسمناه إلى ثلاث مباحث ،كان المبحث الأول يتعرض لمفهوم الفلسفة وأهميتها وعلاقتها بالمعرفة ، في حين تناولنا في المبحث الثاني يوتوبيا مجتمع المعرفة ، أما المبحث الثالث فعرضنا فيه نماذج من المجتمعات المثالية في الفلسفة وعلاقتها بمجتمع المعرفة .

أما الفصل الثالث والأخير فكان يحمل عنوان مجتمع المعرفة العربي بين الواقع والمأمول ، والذي بدوره قسمناه إلى ثلاث مباحث ، حيث تعرضنا في المبحث الأول منه إلى واقع الدول العربية ، أما في المبحث الثاني فعرضنا فيه جهود دول المشرق والمغرب العربيين للولوج إلى مجتمع المعرفة ، أما في المبحث الثالث ، فقد فتحنا المجال لدراسة نقدية لمجتمعات المعرفة .

صعوبات الدراسة :

ليس من الهين أن تحاول التفكير في موضوع معاصر ، مهمة التفكير شاقة ، وأن تفتش بين كتابات الفلاسفة الأولين محاولا إيجاد مثيل لفكرة ذاع صيتها في الوقت الحالي ، ليس من اليسير أن تدخل دوامة من اختلاط الأفكار والمضامين ، وضياع المادة العلمية ، فأن تجمع بين ما كتب في اليوتوبيا سابقا وبين ما يكتب حاليا حول مجتمع المعرفة ، فذلك ليس بالأمر الهين ، حتى تجد نفسك قارئا لروايات الخيال العلمي فمن رواية آلة الزمن إلى مزرعة الحيوان ، إلى رحلة في ثمانين يوما حول العالم ، إلى رحلة إلى جوف الأرض .....إلى ضياعك بين المكتبات وأنت تتوسل الرفوف أن تمدّك بعنوان يخدم موضوع بحثك ، لا في قسم الفلسفة تفتش وحسب ، بل في كل أقسام العلوم الإجتماعية والسياسية والإقتصادية ، على أمل أن تجد من يشاركك هم الكتابة في هذا الموضوع .

إن الكتابة في موضوع حلم مجتمع المعرفة خاصة إذا تعلق الأمر بالمجتمع العربي ، لا تكاد تنفصل عن مطالب النهضة والنمو والتطور والبحث الدائم عن سبل الإقلاع واللحاق ، وكذا ممارسة الخصوصية ، وجدل العلاقة مع الذات والآخر.

فحتى بيتر في كتابه مجتمع ما بعد الرأسمالية وكذا كتابه معالم الغد الجديد ، يتحدث عن الآمال التي تعقدها المجتمعات المتقدمة للسير صوب مجتمع المعرفة ،وكأن الغرب هو الوريث الشرعي الوحيد لما خلفه الفكر الإنساني من تقدم رهيب وسبّاق في مجال التكنولوجيا والإقتصاد.

"القراءة متعة ، والكتابة قيد وحسرة وندامة.." عبارة قرأتها في أحد الكتب وكتبتها على أحد دفاتري ، أستشعر حقيقتها وأنا أخط هذه الرسالة ، فمن ضمن الصعوبات التي واجهتني وقد تواجه أي باحث آخر ، أن مرحلة القراءة هي أعظم متعة نعيشها في ممارسة فعل البحث ، فكل كتاب ينقلك من دفة واقعك إلى دفة واقع مؤلفه ، فتجد نفسك تبحر في عوالم مختلفة فقط وأنت جالس في مكانك.إلا أنك وأنت تكتب صحيح أن الكتابة قيد ، تقيد أفكارك وتطبعها وتختمها وتحفظها ، ولكنها في نفس الوقت حسرة وندامة ... فنحن نتحسّر على ما نفكر فيه ولا نستطيع أن نقوله ، كما نتحسر ونندم على ما نقوله إذا لم يوافق المنطق والعقل ، والهدف والغاية ، ففي الكثير من الأحيان تخوننا العبارات التي ننطقها ، والأحكام التي نطلقها ... فما أصعبها حقيقة الكتابة ، وما أحوجنا إلى تعلمها .

ولكننا مجبرون على السير قدما سواء أخطانا أو أصبنا ، ففي كل خطأ تجربة وإزاحة لاحتمال لا يصلح ، علّنا نصلح حالنا ونساهم ولو بدعوة في سبيل إصلاح واقعنا كعرب .

آفاق الدراسة :

مهما تكبدنا من عناء البحث والقراءة والتحليل في واقع العالم العربي ،إلا أننا لا يمكن أن نحيط بكل التفاصيل الدقيقة التي تؤطر سير المجتمع العربي نحو مجتمع المعرفة ، لذلك نعتبر أن هذا الجهد المبذول قد يكون لبنة أساسية تعتمد عليه البحوث اللاحقة التي تستقصي دور الفلسفة في الواقع وتستقريء مهامها المنوطة بها في تجسير فجوة المعرفة والدفع بالمجتمعات العربية إلى مصاف مجتمعات المعرفة .

الفصل الأول: مجتمع المعرفة المفهوم والخصائص

المبحث الأول : مجتمع المعرفة ومقوّماته

المبحث الثاني : أركان مجتمع المعرفة

المبحث الأول :مجتمع المعرفة ومقوماته

مفاهيم أولية :

ما أعظمها من قفزات ونزهات قام بها العقل البشري فاكتشف بها جملة من المعارف ساهمت في تكوين وتطوير وتنمية واقع البشرية، وقد تحولت المعرفة خاصة في الآونة الأخيرة إلى مصدر قوة تتقدم على مصادر القوة الأخرى القديمة والتقليدية، حيث باتت تتفوق على قوة الأرض التي هي من مصادر القوة القديمة، وتتفوق أيضا على قوة المال وهي من مصادر القوة التقليدية، وأصبح الحديث عن المعرفة يقترن بالقوة.

ومن الخصائص الجوهرية للمعرفة والمتناقضة أيضا أنها تزداد بالنمو كلما استعملناها وفي هذا الصدد يقول نيتشه: "صارت المعرفة إذا جزءا مكمّلا للحياة وغدت باعتبارها حياة قوة متنامية باستمرار"[1].

1-المعرفة: بالنسبة للمعنى الاصطلاحي لمفردة المعرفة فإنه يقابلها بالفرنسية اللفظ connaissance "وهو لفظ له مدلول عام ويتناول أمورا كثيرة أخصها فعل المعرفة الذهني الشيء المعروف مضمون المعرفة، وموضوع المعرفة، أما عن الفعل عرف أي علم فيقابله لفظ connaitreحيث يرتبط فعل المعرفة بفكرة الشيء المعروف، كما يرتبط بفكرة الحقيقة ولذلك يتميز مدلوله من معاني الملاحظة والفهم والتصور كما يتعرض إلى معنى الظنّ والتخمين والتقدير"[2].

[1]نيتشه فريدريك، العلم المرح، ترجمة وتقديم حسان بورقية، إفريقيا الشرق، ط1، 1993 الدار البيضاء ص 12.

[2]الحلو عبده، معجم المصطلحات الفرنسية فرنسي عربي، المركز التربوي للبحوث والإنماء، مكتبة لبنان دون طبعة ودون سنة الطبع، ص 155.

أما عن المعنى الفلسفي لمفردة المعرفة فإنّها تمثل: "النشاط الذي يتوجب على المرء بواسطته أن يأخذ موقفا من الخبرة، وأن يبحث عن فهمها أو شرحها"[1].

أما في الموروث اللغوي والثقافي العربيين فإن مفردة معرفة تحمل عدة أوجه وتحيل إلى أكثر من دلالة "فالمعرفة هي نقيض الجهل حيث يطلق اسم العارف على من يتقن عملا يقوم به، وعندما تبلورت اختصاصات معرفية عديدة في الفكر العربي الإسلامي في العصور الوسطى أصبح العارف محصل المعرفة وحاملها يشير إلى المختص في دقائق المعلومات في مجال معرفي بعينه"[2].

كما يحمل الاستعمال العربي لمفردة المعرفة بعدا قيميا إيجابيا بحكم أن نقيضها وهو الجهل حامل لقيمة سلبية.

والمعرفة **لغة** مصدر للفعل عرف، ولكن مع التحولات الصرفية والنحوية التي تطرأ على هذه الكلمة، فإنها تحيل إلى عدة دلالات منها:

1- **الظهور والكشف عن المخبوء:** "ففي المعرف والمعرف تدل على وجه الإنسان أي ما يظهر به، والعرف ما ارتفع من مكان أو رمل كعرفة وهو جبل بمكة، يقال عرف البحر:ارتفعت أمواجه وصارت له كالعرف أي ظهرت، وعرفت القوم سيدهم، والقائم بأمرهم أي الأبرز بينهم"[3].

2- **الانتقال من وضع إلى آخر:** فالمعنى الدال على الظهور يأخذ دلالة أخرى هي الانتقال من حالة الجهل إلى حالة العلم "فالمعرفة تطلق على معان منها العلم بمعنى الإدراك مطلقا

---

[1].Elisabeth Clement-Chantal Demonque et autres La philosophie de AaZ edition Hatier Paris 1994 p63 (ترجمة شخصية).

[2] مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم،برنامج الأمم المتحدة الإنمائي UNDP تقرير المعرفة العربي 2009 (نحو تواصل معرفي منتج)، شركة دار العزيز للطباعة والنشر، الإمارات العربية المتحدة دبي، ص 26.

[3]المنجد في اللغة العربية والاعلام، دار المشرق بيروت، الطبعة 26 سنة 1983 (دون ذكر اسم المؤلف).

تصورا كان أم تصديقا ولهذا قيل كل معرفة علم"[1] أو الانتقال من النكر والنكران إلى حالة المعرفة والعرفان فالذي يعترف بالشيء ينتقل من حالة كتمان السّر إلى الإعلان عنه وإذا عرّف نفسه للآخر جعل الآخر متعرفا عليه عالما به.

ومع تفاعل اللغة العربية مع منتوج الفكر العربي الإسلامي الذي يعكس جوّا ثقافيا بعينه عاشه العالم الإسلامي في تنوع وازدهار، فقد لحق التغيير مفردة المعرفة حيث أصبحت تعني "ما وضع ليدل على شيء بعينه أي أنها إدراك الشيء على ما هو عليه، والتحول في المعنى يتمثل في النزوح نحو دلالة الكلمة في مجال معرفي محدد مثل النحو والفقه والمنطق التصوف، حيث بدأت تتم عمليات التمييز بين المعرفة والعلم وبين العارف والعالم"[2].

وبعد دخول القرن العشرين وعلى ضوء عمليات المثاقفة الثانية التي عرفها الفكر العربي مع تيارات الفكر الأوروبي الحديث في عصر النهضة العربية فقد أصبحت الكلمة تحيل إلى "الإنتاج العقلي والفلسفي والبحث في مختلف العلوم والنظريات"[3].

إلا أن هذه المفاهيم وفي العقدين الأخيرين اعتراها التغيير نتيجة للتطورات والمستجدات الحاصلة في أسس المعرفة وقواعدها بما في ذلك الأسس الفلسفية والعلمية والثقافية، فبعد أن كانت منذ الأزل مقتصرة على فئة من الناس كالحكماء والفلاسفة والعلماء أي النخب، أصبحت اليوم حقا لجميع أفراد المجتمع ومطلبا للتنمية الإنسانية، حيث أصبحت تضم على سبيل المثال البنى الرمزية التي تمتلك عبر التعليم الرسمي والدروس المستفادة من خبرات العمل والحياة، وتشمل الحقائق والقصص والصور وموجهات السلوك البشري موثقة أو شفاهية أو ضمنية، وتحتوي المعرفة المؤسسية لمجتمع ما على التاريخ والثقافة والتوجهات الإستراتيجية والأشكال التنظيمية، وإنتاج المعرفة لا يقتصر على الأشكال التقليدية للعلم

[1] الشيخ العلامة التهانوي الحنفي محمد علي بن علي، كشّاف اصطلاحات الفنون، المجلد الثالث، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1998، ص 262.

[2] مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم تقرير المعرفة العربي 2009، ص 26.

[3] المرجع نفسه، ص 27.

والبحث العلمي بل تنتج المعرفة كذلك عن صنوف التعبير الأدبي والفني في الثقافتين العالمة والشعبية.

وفي حديث عن المراحل التي مرّت بها المعرفة البشرية فإن الدكتور محمد عابد الجابري يوجزها في ثلاث مراحل: "فبعد أن كانت من المعطيات المسلم بها والتي وصفت ما أنجزه الجنس البشري من تراكم معرفي عبر العصور والأجيال المتعاقبة، أصبحت تعيش مرحلة النقل المنظم للتراكم المعرفي للأجيال المعاصرة، مع رفع المهارات وإمكانية التعامل معها حيث اعتمدت في هذه الفترة على تكوين رأس المال البشري لتعقب هذه مرحلة الاهتمام بتنمية الموارد البشرية والتأكيد على أهمية التعليم والتأهيل المهني لإكساب البشر قدرات تمكنهم من التعامل بكفاءة مع ما يكسبونه من علم"[1].

فالمعرفة إذا لا تنحصر في معنى ضيق من التراكم التاريخي للمعلومات بل إنها أصبحت تتطور باستمرار مطورة معها الفكر الإنساني بسرعة قياسية، ومن هنا أصبح من الواجب مسايرة هذا التطور وبهذه السرعة وذلك بالتعلم المستمر قصد تجديد الخبرات واستثمارها وإتاحة فرص عمل جديدة يتوجها العيش برفاهية.

وإذا كانت المعرفة حقا أصيلا للبشرية فهي أيضا سبيل الإنسانية في جميع مجالاتها ذلك أن "التنمية الإنسانية في الجوهر هي نزوع دائم لترقية الحالة الإنسانية للبشر جماعات وأفراد من أوضاع تعد غير مقبولة في سياق حضاري معين إلى حالات أرقى من الوجود البشري تؤدي إلى ارتقاء منظومة اكتساب المعرفة"[2]فالمعرفة هنا عامل تغيير إيجابي ينزع نحو الأفضل والأحسن دائما وهي السبيل للارتقاء بالحالة الإنسانية في الطور الحالي من تقدم البشرية، وذلك بإقامة مجتمعات المعرفة القائمة أساسا على اكتساب المعرفة وتوظيفها بفعالية، إلا

[1]محمد عابد الجابري، التنمية البشرية في الوطن العربي، الأبعاد الثقافية والمجتمعية، سلسلة دراسات التنمية البشرية رقم 2، صادر عن اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا الاسكوا، وبرنامج الأمم المتحدة الإنمائي 1995، ص 18.

[2]تقرير الأمم المتحدة الإنمائي من مجتمع المعلومات إلى مجتمع المعرفة، مطبوعات اليونسكو 2005، ص 37 (دون طبعة).

أن"التنمية القائمة على المعرفة في إطار مجتمع المعرفة لا تتحقق إلا إذا اكتملت دورة اكتساب المعرفة والتي تتمثل في "استيعاب المعرفة، توظيف المعرفة، وتوليد المعرفة الجديدة"[1].

وأفضل فكرة عن المعرفة أنها موجودة في المجتمع وهي في الشخص في حد ذاته أي في العقل النظري للشخص إذ يقول كيث ديقلين نقلاعن دافنبورت وبروساك: "توجد المعرفة في الناس جزءا لا يتجزأ من تعقيدهم وغرابة أطوارهم وعدم توقع ردود أفعالهم"[2]وهذا إن دلّ على شيء فإنّما على إلزامية ووجوب الاهتمام بالأفراد وإعدادهم إعدادا يليق بالمعرفة التي سيحملونها في حين نجد أن أفلاطون Platon Aristocles (348ق.م – 427ق.م) في الجمهورية يحدّدها بكونها "ملكة بل إنّها لأقوى الملكات"[3].

أي باعتبارها هبة ربانية، في حين أن موضوعها هو "الموجود وقدرتها في أن تعرفه على ما هو عليه"[4] أما ميشال فوكو Foucault Micheel (1926 – 1984) في كتابه حفريات المعرفة فيحدّدها بأنها: "ما بإمكاننا أن نتحدث عنه داخل ممارسة خطابية، تكون من ثمة متميزة هي الميدان المكون من مختلف الموضوعات التي قد تحصل في المستقبل على صفة العلمية... والمعرفة هي كذلك حقل تناسق العبارات وتضايفها فيه تظهر المفاهيم ويتم تعريفها تطبّق وتحوّل"[5].

ومن هذه التعريفات نجد أن ميشال فوكو يربط بين المعرفة باعتبارها تساؤلا ونظرا بالخطاب الذي هو عبارة عن رموز أو علامات، فالمعرفة أساسا في رأيه كل تساؤل يطرح حول معنى

---

[1]نبيل علي، [إقامة مجتمع المعرفة كمحور للنهضة] مجلة المستقبل العربي عدد أغسطس 2007، ص/ ص (83 – 84).

[2]كيث دقلين، الإنسان والمعرفة في عصر المعلومات، تعر شاذن اليافي، مكتبة العبيكان، المملكة العربية السعودية، ط1، 2001، ص 36.

[3]أفلاطون، الجمهورية، ترجمة فؤاد زكريا، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، 2004، ص 36 (دون طبعة).

[4]المصدر نفسه، ص 362.

[5]فوكو ميشال، حفريات المعرفة، ترجمة سالم يافوت، المركز الثقافي العربي الكويت، الدار البيضاء المغرب، ط 1، 1986، ص 175.

أو دلالة رمز من رموز الخطاب، كما أنه كل نظر وتأمل في علامة من نفس الخطاب، وكأن المعرفة هي بحث وتحليل ميدانه الذي يشتغل فيه هو الخطاب.

2- مجتمع المعرفة:

إن المعرفة لا تنشأ من الفراغ،بل هي وليدة عوامل اجتماعية ثقافية تاريخية تؤثر في بناء المجتمع معرفياً، وقدرته على إنتاج المعرفة وتوظيفها بكفاءة في جميع نشاطاته للارتقاء بمستوى الإنسان وإيصاله إلى مرحلة العطاء الكفء، وفهم معادلات الحياة واستعمالها لبناء مجتمع أفضل، فإن المعرفة هي السبيل الوحيد لبلوغ هذه الغاية، وهي في حد ذاتها الأداة المحركة للعنصر البشري لتحقيق حريته ورفع قيمته، وتحوله من التخلف إلى التقدم. يتضح من عدة دراسات أن هناك ارتباطاً وثيقاً بين مستوى المعرفة والقدرة الإنتاجية في المجتمع، وقد يكون هذا جلياً بمقارنة المجتمعات التي اكتسبت فيضًا من المعرفة في مجالات عدة، ونمو هذه المجتمعات وازدهارها، فكلما زادت المعرفة بالثقافة وإنتاجها، زاد الإنتاج الاقتصادي وازدهر وارتفعت معدّلاته التنموية ،إن عوامل مهمة مثل الثقافة والبنى الاجتماعية والاقتصادية والسياسية المحلية والعالمية تؤثر تأثيرًا بالغًا في اكتساب المعرفة.

وهناك خلط عند بعض الناس، بين مصطلحين حديثين هما مجتمع المعلومات Information Society، ومجتمع المعرفة Knowledge Soeity، وفي بعض الأحيان يعتبرونهما وجهين لعملة واحدة، ولكن الواقع خلاف ذلك، بل إن هنالك بونًا شاسعًا بينهما فمن أجل أن يتحرر مفهوم مجتمع المعرفة دعونا نلقي نظرة سريعة على مصطلح مجتمع المعلومات، فمجتمع المعلومات مبني على التعاملات الإلكترونية، وأن هذه التعاملات تعدّ من أحد أهم الأدوات التي تشارك في بناء مجتمع المعلومات، فيمكن وصفها بأنها استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في دعم كافة أنشطة الأعمال، التي تمس جميع شرائح المجتمع، إذن يركز هذا المجتمع أكثر على ترابط شبكات الاتصالات، والوصول بينهاو يتيح للمعلومات سرعة التداول بسهولة تامة.

بعبارة أخرى، فإن المعلومات تشبه سلعة أو بضاعة، أي مقتنيات، وإن التعاملات الإلكترونية تقنيات تقوم على إدارة هذه المقتنيات، بذلك يتكون لدينا المجتمع التقني "مجتمع المعلومات" ولا يتجاوز ذلك الترابط والاتصال إلى التركيز على محتوى شبكات الاتصال، لأن المحتوى هو ما يقوم عليه مجتمع المعرفة.

هذا هو ما طوّره اليونسكو مع استقبال قرن جديد وألفية جديدة، مفهوم مجتمع المعرفة مقابل مفهوم مجتمع المعلومات ومن حيث التاريخ فقد ظهر مجتمع المعرفة خلال الستينات من القرن الماضي، ويوسم بأنه منظومة وحركة ديناميكية في الفكر والإبداع والعمل، من أجل تحقيق التنمية، يتفق ذلك مع توجيهات البنك الدولي في تقريره عن التنمية الدولية عام 1998، والذي كان عنوانه "المعرفة من أجل التنمية"، ومجتمع المعرفة هو ذلك المجتمع الذي يحسن استعمال المعرفة في تسيير أموره وفي اتخاذ القرارات السليمة والرشيدة، وكذلك هو ذلك المجتمع الذي ينتج المعلومة لمعرفة خلفيات وأبعاد الأمور بمختلف أنواعها، وليس في بلده فقط بل في أنحاء العالم كله.

لقد أفضت الثورة المعرفية إلى مجتمع المعرفة الذي أصبح يعتمد أساسا على المعارف كثروة أساسية أي على خبرة الموارد البشرية الشاملة، أي أنه من هذه الموارد المعرفية يمكن إنتاج الكسب واستغلال الطاقات الإنتاجية بصفة أفضل من ذي قبل. وقد استعمل مفهوم مجتمع المعرفة لأول مرة " سنة 1969 من قبل الأستاذ الجامعي بيتر دروكر وقد تعمق في التسعينات وبخاصة عبر الدراسات المفصلة حول الموضوع التي نشرت من قبل باحثين مثل روبن مانسيل أو نيكوستهير، وقد ولد بين سنوات 1960-1970 من القرن العشرين في الوقت نفسه لولادة مفهوم المجتمعات المتعلمة أو التعليم للجميع مدى الحياة"[1].

في حين عرفه عالم الرياضيات الهندسية كيث دقلين:" بأنه عالم وقوده الأساسي ورواجه الحقيقي اللذان يقودان الاقتصاد هما المعرفة، وتتطلب الحياة في ذلك المجتمع فهما أساسيا

[1] تقرير الأمم المتحدة الإنمائي من مجتمع المعلومات إلى مجتمع المعرفة، مصدر سابق ص 22.

لماهية المعرفة، كيف تنشأ، كيف تنتقل من فرد إلى آخر، كما يجب أن يبنى الفهم الصحيح للمعرفة على أساس علمي متين"[1]

وقد جاء في تقرير اليونسكو للعام 2003 نحو إقامة مجتمع المعرفة أن الغاية التي أسس من أجلها مجتمع المعرفة هي التنمية الإنسانية " المقصود بمجتمع المعرفة على وجه التحديد أنه ذلك المجتمع الذي يقوم أساسا على نشر المعرفة وإنتاجها وتوظيفها بكفاءة في جميع مجالات النشاط المجتمعي، الاقتصادي والمجتمع المدني والسياسي والحياة الخاصة، وصولا إلى ترقية الحالة الإنسانية بإطراد أي إقامة التنمية الإنسانية"[2].

أما التقرير الصادر سنة 2005 فقد تبنى مفهوم مجتمع المعرفة واستخدمه بصيغة الجمع " "مجتمعات المعرفة" وذلك قصد توسيع دلالات مفردة المعرفة حتى لا يظل المفهوم مقتصرا على البعدين العلمي والتقاني ف " العلم لا يساوي مفهوم المعرفة، وإذا كان الإنسان الأوروبي الحديث قد اختص بالعلم وأنه فرض وجوده على العالم باعتباره إنسانا تقنيا أولا، فهذا لا يعني أن مقومات المعرفة احتكرها العلم فحسب، وقد لخّص الفكر الغربي نفسه المآل الأخير لأزمة العلاقة مع التقنية، صحيح أنه استطاع أن يرضي النزعة الموضوعية عنده، أن يفوز بالعلم، لكنه أضاع الإنسان نفسه"[3].

فمهما كانت المعرفة العلمية مهمة فإن ذلك لا يعني بالضرورة الاستغناء عن المعارف الأخرى، من هنا كان توسيع دلالة المعرفة أمرا مطلوبا حيث يدعو ذلك إلى بناء فضاء أوسع للمعرفة الإنسانية " منظورا يدرجها في باب المعرفة المتكاملة التي لا تغفل الإنسانيات

[1] دقلين كيث، الإنسان والمعرفة في عصر المعلومات، ص 37.

[2] برنامج الأمم المتحدة الإنمائية 2003، ص ص/39-40.

[3] صفدي مطاع، استراتيجية التسمية في نظام أنظمة المعرفية، منشورات مركز الإنماء القومي، لبنان ط 1، 1986، ص 35.

ومختلف العلوم الأخرى في الجماليات والقيم بل وفي مختلف تجليات المنتوج الرمزي الصانع لحكمة الإنسان ولقدراته اللّامتناهية في الابتكار والإنتاج المادي والرمزي"[1]

كما يشير تقرير المعرفة العربي للعام 2009 أن توسيع دلالات المعرفة في مجتمعات المعرفة جاء ضرورة بالنظر إلى التقارير الصادرة عن بعض المنظّمات الدولية التي تنزع إلى تغليب معطيات معرفية تتعلق بمجتمعات معينة "فالفحص النقدي للمرتكزات والمؤشرات التي بلورها البنك الدولي في موضوع مجتمع المعرفة واقتصاديات المعرفة على سبيل المثال يكشف أنّ وحدة التحليل في التقارير المذكورة تعتمد على معطيات الغرب الأوروبي والولايات المتحدة الأمريكية"[2] ذلك أنّه لا يمكن إجراء إصلاحات اقتصادية أو سياسية في البيئة التمكينية لمجتمع المعرفة دون تشخيص دقيق لواقع المعرفة وصور التراكم المعرفي والفجوات المعرفية المتعلقة بالعالم العربي، حيث يبقى مجتمع المعرفة العربي مشروع مجتمع.

فيوما بعد يوم تطالعنا الأرقام والإحصائيات بالتغير المستمر والرهيب والمتزايد للمعرفة، في عصر أصبحت هي الركيزة الأساسية فيه لكل قطاع خاصا كان أم عاما، فمن الاقتصاد إلى السياسة إلى تكنولوجيا الاتصال والمعلومات إلى غيرها من القطاعات الحيوية الأخرى، فلم تعد المجتمعات اليوم مجتمعات الواقع الملموس فقط، حيث أصبحت تنمو إلى جانبها وبالموازاة معها مجتمعات افتراضية. تتحدد من خلالها تجربة ومكانة وقيمة الإنسان المعاصر.

وفي إجابة عن السؤال لماذا يبحث الإنسان عن المعرفة ؟يقول الدكتور محمد رحومة :" إنه باختصار يريد أن يعرف ويبلغ المدركات بأنواعها ، انطلاقا من ضرورة الوجود التي يعيشها ضرورة إشباع حاجة الوعي بالأشياء المحيطة بما يعكس ويؤكد إدراك الإنسان لنفسه ، في واقعه وفي حلمه معا، وبالتالي حصوله على الشعور الحقيقي بالحياة ويقظتها،في ذاته

2 تقرير المعرفة العربي 2009 ، ص 32.

3- المرجع والمكان نفسه

ومجتمعه وسائر حركته عبر التاريخ، إنها بإيجاز شديد : حاجة إشباع الوعي بالحياة،والبقاء في الدائرة الإنسانية بخصائص اللحظة والمرحلة الحضارية" [1]

قوة المعرفة :حينما نردد هذه العبارة فإن أول من يتبادر إلى أذهاننا هو الفيلسوف فرانسيس بيكون الذي Francis Bacon (1561-1626)ترك حقيقة في الإرث الفلسفي كسابقيه أصولا عريقة باتت تدب حركتها من عصر لعصر ، فالمعرفة قوة هذا المتعارف عليه ، ولكن من أين تأتي قوة المعرفة ؟" إذا كانت حكمة الماضي قد علّمتنا أن المعرفة قوة ،فقد أثبتت لنا حقائق الحاضر أن القوة أيضا معرفة ، فالقوة قادرة على توليد معرفة تخدم غاياتها وتبرر ممارساتها وتؤازر أساليبها في إحكام قبضتها على المصادر والمصائر،وتأتي معرفة عصر المعلومات لتجسّد المغزى الخطير لكون المعرفة قوة ،فلم يعد ذلك هاجسا عابرا يثير القلق ،بل واقعا جاثما يثير الذعر ويهدد مصير كوكبنا الهش الذي يشكو من التصدع ويزخر بالصراع وهو أمر يتطلب –أول ما يتطلب– تحليلا دقيقا لعلاقة تكنولوجيا المعلومات بالعقل صانع هذه المعرفة "[2]

ذلك أن قوة المعرفة مكتسبة من قوة العقول التي فهمتها وأدركتها واستطاعت صياغتها في شكل نظريات وفرضيات وخطابات..." أقول إذن قوة المعرفة ، ويمكن أن أقول:المعرفة القوية،هي الواقعة التي يلقيها إلينا عصرنا الحالي ،ولست أبتدع بهذه القضية كشفا جديدا فكلنا يعلم أن التحول من المعرفة ،بما هي تأمل ،على النهج اليوناني إلى المعرفة بما هي قدرة ،مع جابر بن حيان وبيكون والغرب الحديث ،ليس بالأمر الجديد وكلّنا يعلم أن التكنولوجيا الحديثة والمعاصرة هي الثمرة المباشرة العظمى لهذا الفهم ،من الضروري أن نستحضر هنا أن المعرفة ليست تكديسا للكشوف العلمية ،وإنما هي قبل أي شيء آخر،منهج يطال قواعد النظر إلى جملة معطيات العالم :الإنسان والطبيعة والمجتمع والقيم والمبدعات

[1]–رحومة محمد علي ،مجتمع المعرفة وبلدان المغرب العربي ، ص 26

–د.نبيل علي،د.نادية حجازي، الفجوة الرقمية .رؤية عربية لمجتمع المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب [2]،الكويت ،2005،(د.ط)، ص 198.

والمصنوعات،وأن للمعرفة آلاتها النقدية والمنهجية الصّارمة،وأن طابعها الأداتي أو الذرائعي لا يتعلق اليوم بالوجوه التطبيقية أو التقنية فحسب،وإنما يشمل أيضا جملة أنشطة الإنسان والمجتمع والدولة ،حتى إذا توافرت "المعرفة العلمية"بذلك كلّه أمكن التحول للفعل أي أن المعرفة تصبح "أداة"ل "سياسة" الإنسان والمجتمع والدولة، ومانسميه "بالعلوم الإنسانية" وب"العلوم الإجتماعية" يتوخى إدراك هذه المقاصد على وجه التحديد،فليس ثمة اليوم من ينشد هذه المعرفة لذاتها ، أي للتمتع بسحرها وغرابتها أو كشوفها أو جمالها ، وإنما نحن في الغالب الأعم نطلب ذلك من أجل (الفعل)،والعلوم اللّغوية نفسها والفنون الأدبية نفسها تهدف في نهاية المطاف إلى التواصل الإنساني أو المتعة ، ومايسمّيه سبينوزا ب"فرجة المعرفة" لا يخرج عن هذه المقاصد أيضا...

وتتجلى قوة المعرفة اليوم ،في شتى المجالات وبوجه أخص في القطاع التقني ،حيث يتكشف قصورنا وضعفنا وبؤسنا إذا كنا عاجزين عن إنتاج "المعرفة التقنية" وقد لا يتهيأ لنا ذلك في المدى المنظور، ومشاركتنا في ذلك لا تتم الآن في إطار الفضاء المنتج لها ، أي في ثنايا (الغرب الأوروبي) أو (الغرب الأمريكي) .لكن ليس ثمة ما يحول دون أن نكون منتجين ل"المعرفة الإنسانية والإجتماعية" ، نوجّه بحوثنا إل قضايا الإنسان وقيمه ومجتمعه والمجتمع وقيمه والدولة ومبادئها في فضاءاتنا الوطنية ، فنعالجها وفق مناهج علمية عقلانية، ونفيد منها في عملية إعادة تشكيل الإنسان والمجتمع والدولة ،،فنضفي بذلك على المعرفة" قوة ليست لها الآن على وجه الحقيقة"[1]

المجتمع الشبكي الظاهرة الأبرز في مجتمع المعرفة :

من المرادفات الكثيرة والقوية المحايثة لمفهوم مجتمع المعرفة نجد مفهوم " المجتمع الشبكي" ولعل أبرز من كتب في هذا المجال هو: "مانويل كاستلز" Manuel Castells Oliván (1942) حيث كانت له أطروحة دكتوراه من ثلاث مجلدات تحت عنوان " مجتمع الشبكات

[1]–نقلا عن فهمي جدعان، رياح العصر، تقرير المعرفة العربي 2009، ص .31

،عصر المعلومات" ويقف كاستلز في المجلد الثاني منها ""قوة الهوية " ليوضح أن عصر المعلومات محكوم وموجه بقطبين مركزيين : قطب الشبكة، وقطب الذات الفاعلة، ذلك أن مفهوم الشبكة لايشير إلى شبكة بعينها ، بل إلى شبكات متعددة تتحكم في مصادر القوة والثروة والمعلومة المسلحة بالتكنولوجيا الرقمية.

"إن الشبكة هي البنية الإجتماعية الجديدة لعصر المعلومات ،عصر المجتمع الشبكي المكون من شبكات الإنتاج والقوة والتجربة،حيث تقوم هذه الشبكات بدورها في بناء ثقافة افتراضية في إطار التدفقات المعولمة، متجاوزة بذلك مفهومي الزمان والمكان فقد حصل في عصرنا هذا اختراق لكل المجتمعات بالفعل الجارف للمجتمع الشبكي، ومقابل التشبيك المتعولم،الذي يعد الظاهرة الأبرز في مجتمع المعرفة ،تقف الذّات التي تشير إلى الهويات الفردية والجماعية (الفرد والمواطن والإنسان والجماعة) الهادفة إلى المحافظة على حياتها في خضم التحولات المعرفية الكاسحة وينتج هذا التناقض بين الشبكة والذات صورا جديدة من الصراع الإجتماعي أبرزها الطابع المعرفي لهذا الصراع، فبدلا من الصراع الطبقي تصبح البشرية أمام صراع تلعب فيه الشبكات بقواعدها الرمزية المتعددة، دورا بارزا في تأجيج وترتيب ملامحه الكبرى"[1]

تتمثل أهمية المجتمع الشبكي في هذا المتطور في محورين" المحور الإجتماعي والمحور المعلوماتي ،ولأن كاستلز معني بإبراز دور المعلومات في عصرنا فإن نموذج العالم الجديد هو النموذج المعلوماتي باعتباره محصّلة للنّظم التقنية والنماذج البيولوجية في تعقدها ، ويعني ذلك أن الشبكة عبارة عن فعل مركب ، إنّها تشبه خريطة الجينوم البشري المسنود معرفيا بفعل معطيات رياضية متطورة ودقيقة جدا،والقبول بمفهوم الشبكة يعني أن تكون التكنولوجيا وتقانة المعلومات بالذّات وراء التنظيم الاجتماعي وتصبح الرأسمالية المعلوماتية،بتعبيرات كاستتلز هي البديل لما كان يسميه ماركس في القرن التاسع عشر ب

[1]–تقرير المعرفةالعربي 2009 ، ص 31

الرأسمالية الصناعية، تتميز أفعال الانترنت بكونها تشكل اليوم أضخم سجل للمعلومات المرجعية في مختلف مجالات المعرفة ، إضافة إلى أن شبكاتها توفر إمكانيات تفاعلية داخل أنسجة المجتمع من خلال عمليات رقمية سريعة ، ويترتب على ذلك أن "المكان" أصبح في مجتمع الشبكات عبارة عن "تدفقات" ،إنه ليس مكانا فيزيقيا ،إنّ تدفقات رؤوس الأموال وفيض المعلومات لا علاقة لهما اليوم بمكان بعينه ،إنهما في اللاّمكان المرادف لكل مكان،كما أصبح الزمان حسب كاستلز هو "اللازمان"،إذ لم يعد موصولا بالساعة المرتبطة بدورها بعصر الصناعة،إنه في مجتمع الشبكات عبارة عن آنية تسمح لنا بالحضور في أمكنة عديدة في الآن نفسه"[1]

3-مرجعيات مجتمع المعرفة :

ورد في تقرير المعرفة العربي لسنة 2009 والذي جاء تحت شعار "نحو تواصل معرفي منتج" ضرورة الكشف عن المرجعيات الفكرية والأسس الفلسفية للتقارير الدولية حول مجتمع المعرفة،ذلك أن هذه المرجعيات "تؤسس لأهدافها ومؤشراتها واستراتيجيات العمل التي ترسمها وإذا كانت هذه التقارير تصدر في الغالب بلغة محايدة،وتستند إلى الطرق الكمية،وتحرص في المقاربة على الإستفادة من تجارب أجيال من الخبراء والباحثين المتمرسين ببناء المعطيات،إلا أن كل هذا لا يمنحها الطابع الموضوعي والمحايد بحكم صعوبة الحياد في مقاربة إشكالات التحول الجارية في العالم ولا تعني هذه الملاحظة التشكيك في القيمة العلمية والعملية للتقارير الدولية،أو التحفظ على نتائجها ومقارباتها،بل إنها تتوخى أساسا إلقاء الضوء على نسبية نتائجها وخلاصاتها في زمن تزايدت فيه الصلات بين الدول والمجتمعات وتزايدت فيه أسئلة العيش المشترك، من أجل بناء فضاء إنساني أكثر إنسانية وأكثر تعاونا"[2]

[1]-تقرير المعرفة العربي2009 ، ص 32

[2]-تقرير المعرفة العربي،2009، ص 33

وخلص التقرير إلى أن المراجعة النقدية للتقارير الدولية حول مجتمع المعرفة تستوعب نظامين مرجعيين هما:

1-نزعة وضعية يطغى فيها المنحى الكمي :

حيث يحتفي المشهد المعرفي المعاصر بالنزعة الوضعية،في بعدها المنجذب نحو العلم و التقانة،وإذا كان من المؤكد أن هذه النزعة الوضعية تشكل امتدادا قويا لأفكار النهضة وفلسفة التنوير، فالتطورات التي آلت إليها أوضاع الإنسانية في العالم اليوم تدعو إلى التحفظ على المسار العام لهذه النزعة وتوجهها المتفائل والواثق من نفسه في النظر إلى مسارات التاريخ،على الرغم مما اتسمت به هذه النزعة من تمكين للإنسان في تعامله مع صعوبات الطبيعة والحياة،وأكثر ما يميز النزعة الوضعية في مقاربة الظواهر هو اللجوء إلى الطرق الكمية في بناء نماذجها في المعرفة ،ومع أن هذه المقاربة تسمح بدراسة الظواهر بقدر مهم من الحياد والموضوعية فإن نتائجها النهائية تدعو عادة للأخذ بخيارات فكرية مقررة سلفا، وتتمثل أبرز أوجه القصور في النزعة الوضعية السائدة في أدبيات المؤسسات الدولية،في التركيز على البعد الاقتصادي وفي النظر إلى قيم التجربة الغربية كنموذج وحيد،ثم العمل على تحويل معطياتها إلى مؤشرات تقيس بناء عليها ما يجري في بقية العالم. لا يمكن للرؤية الموضوعية والتاريخية لمجتمع المعرفة أن تنحصر في الإكتفاء برصد علاقة المعرفة بالتقانة ،والبحث في اقتصادات المعرفة،ففي الوضع الراهن للمعرفة نفترض أن يكون البحث أكثر شمولية،وأن يتجه لمقاربة موضوع مجتمع المعرفة في أبعاده التي لا تغفل أهمية النقد في تركيب المعرفة وتحقيق مطلب الإبداع ،فإذا لم نتمكن من بناء معرفة مستندة إلى حس نقدي سنظل نمارس عمليات في توصيف الظواهر وإحصائها،دون تشخيص العلل العميقة المتحكمة في الوضع المعرفي العربي.

لاتشكك هذه الملاحظات النقدية في قيمة النموذج المعرفي الذي تبلور في جهود الباحثين والخبراء،الذين طوروا كثيرا من آليات دراسة الظواهر الجديدة، وعملوا على تشخيصها في كثير من جوانبها،لكن لابد من الوعي بالأبعاد الإيديولوجية المستخدمة بكثير من النعومة في

التقارير الدولية والتي ندعو للحذر عند قراءة نتائجها وتوصياتها،فعلى سبيل المثال تكشف مؤشرات مرتكزات تقانة المعلومات والإتصالات التي طرحها البنك الدولي أننا أمام منجز في التكميم لا يعير أدنى اهتمام لخلفيات المعطيات الكمية بل يكتفي بحسابها قياسا إلى معيار السكان والدخل ومستوى الإنفاق،وقد نبّه بعض الدارسين إلى نواقص المؤشرات المذكورة واعتبر أنها لا تولي اهتماما كافيا لثمرات المعرفة الاقتصادية والاجتماعية ، كما أنها لا تعنى بالجانب النوعي .فمؤشرات التعليم على سبيل المثال ترتكز على أعداد الطلاب الملتحقين بالتعليم ولا تتناول الجوانب الأخرى الأكثر صلة بالمعرفة،كنوعية التعليم المتوافرة من معلمين مؤهلين وأبنية ومختبرات علمية وما إلى ذلك ، إن نماذج المؤشرات المذكورة أعلاه بنزعتها الإجرائية التي تدعي الحياد وبانحيازها لرؤية قائمة على نوع من الحتمية التكنولوجية .قد تكون مفيدة في المجتمعات التي تشكلت فيها وقد تصبح ذات نجاعة محدودة خارج نطاقها التاريخي لكن ذلك لا يعفي من إجراء التعديلات والإضافات بهدف تحويلها إلى مؤشرات مكافئة لوحدة تحليل جديدة تتعلق بوقائع جديدة كالواقع العربي"[1]

" وهذا الإختيار يمنح الوسائل المنهجية طابعها الكوني حيث يشكل امتحانها في مجال بحثي مغاير ، مناسبة لإعادة تركيبها أو إبداع بدائلها في ضوء مقتضيات جديدة،فالتقارير الصادرة عن المؤسسات الدولية لم تتخلص من النزعة الوضعية والمؤشرات والمفاهيم المبتكرة فيها ليست مجرد أوعية لخزن كل شيء ولاشيء، كما أن فجوة المعرفة التي تقاس كميّا لا تعفينا من تشخيص أكثر عمقا لحال الأداء المعرفي ،ذلك أن ما يحصل في مجال المعرفة في العالم العربي يضاعف فجوة المعرفة بحكم ما هو سائد من مرجعيات في الثقافة والنظم السياسية العربية لا علاقة لها بما يجري في العالم من حولها وهذا ما يجعل تحديات تجسير فجوة المعرفة في الوطن العربي مركبة ومضاعفة ، فنحن بالفعل في أمس الحاجة إلى ردم الفجوة المعرفية القائمة ،إلا أننا في الوقت نفسه في حاجة أيضا إلى خلخلة سواكن معارفنا

[1]–تقرير المعرفة العربي 2009، ص 34.

وثوابت قناعاتنا ومسلمات تصوراتنا بالصورة التي تسعفنا في تجاوز المرجعيات النصية والتقليدية، حيث تصبح إمكانية توسيع دوائر البحث في المعرفة في بعدها النقدي بالذات، وسيلة من وسائل توسيع خياراتنا في الحياة وإقامة مجتمع للمعرفة مطابق ومكافيء لطموحات مجتمعاتنا ."[1]

2-نزعة التحديث السياسي:استحضار الحقوق الإنسانية:

تستندالمرجعية الثانية التي تتحكم في بناء تقارير مجتمع المعرفة،كما برزت في نهاية القرن الماضي ومطلع الألفية الثالثة، إلى مقدمات التحديث السياسي، الداعم لكثير من التصورات اللبيرالية واللبيرالية الجديدة.

تتضح هذه المرجعية عند مراجعة المبادىء الصادرة عن القمتين العالميتين لمجتمع المعلومات (جنيف 2003- تونس 2005) وخاصة في ارتباطها الوثيق بمفردات حقوق الإنسان الواردة في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان 1948، ومواثيق الحقوق الإقتصادية والإجتماعية والثقافية التي توالت في الصدور بعد ذلك سنة1966و1976، ويستخدم تقرير اليونسكو "نحو مجتمعات المعرفة" 2005 بصورة واضحة ،الأفق المرجعي نفسه ويتجه إلى تعميقه من خلال دعوته إلى التمسك بمبدأ"الحق في المعرفة" ودفاعه عن مبدأي التسامح والتضامن ، ويتم تأطير بعض بنود حقوق الإنسان في إطار الدفاع عن قيم الشفافية والإصلاح الديمقراطي كشرط من شروط تهيئة البيئة التمكينية للمعرفة، حيث يتحول الحق في المعرفة ، والحق في النفاذ إلى المعلومات وكذلك حق الإختلاف ، إلى مسلمات لإقامة مجتمع المعرفة والنهوض بالأداء المعرفي .

ومما يلفت النظر أن "إعلانات المباديء الملتزمة بالدفاع عن الحق في التنمية والمعرفة والنفاذ إلى المعلومات ،لا علاقة لها بما يجري في الواقع، إنها عبارة عن إعلانات نوايا

[1]-تقرير المعرفة ،ص 36.

وآمال تستخدم لغة التضامن والتعاون ووحدة المصير، وما يتحكم بما يجري من أفعال في الواقع ،هو منطق القوة والغلبة الذي ازداد صلابة بفعل تناقضات مجتمع المعرفة.

ولم يعد هناك تردد في إعلان قوة المعرفة وقوة مالكيها بحيث أصبحت فجوة المعرفة ترادف الفقر والضعف والهامشية ثم التبعية والرضوخ." [1]

وكما قال الدكتور نبيل علي:"إن تاريخ البشرية في جوهره ،ما هو إلاّ دراما متصلة بالصراع بين من يملك ومن لا يملك، بين من يملك السلطة والقوة والقدرة والثروة،ومن حرموا منها أو سلبوا إياها.إنه مسلسل الغنى والفقر يضاف إليه في كل عهد فصل جديد أشد مرارة وبؤسا"[2]

وتتميز نزعة التحديث السياسي بقدرتها على ترسيخ قيم سياسية مرتبطة بالنموذج اللبيرالي الجديد ، وهي تلتفي بخيارات سياسية واستراتيجية داعمة لمصالح الأقوى،مصالح من يملك المعرفة ويوظفها في إدارة العالم،إضافة إل ذلك نلاحظ أن هذه النظرة النيوليبرالية لا تتردد في تركيب منحى براغماتي معلنا في النتائج التي تنشؤها التقارير ،ويؤكد هذا الأمر غياب التطابق بين أهداف السياسة الإقتصادية في اقتصاد المعرفة والأهداف السياسية في المشروع السياسي الديمقراطي ، باعتبار أن هذا التقرير يصبح عند تحققه هو الصانع والمرتب لشبكة المؤسسات والقوانين المتحكمة في العالم.

"لا يمكن أن نكتفي في رهان التنمية واقتصادات التنمية في الوطن العربي بمزايا "اليد الخفية" للسوق .وهي اليد التي تشكل الخيط الرابط في كثير من التقارير المهتمة بموضوع التنمية والمعرفة ، ذلك أن اليد الخفية قد تقوم بعملها، ويمكن أن تقوم به عن طريق الخنق،والخنق هنا وفي مجال المعرفة بالذات يمارس عملية إيقاف التدفق المانح للحياة وخاصة عندما ترتبط الحياة بالمعرفة"[3] إلا أن ماتقوم به اليد الخفية من تجاوزات يضرب تاثيره بعيدا في

---

[1]–مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم ، تقرير المعرفة العربي 2009، ص 36

–د.علي نبيل،د.نادية حجازي، الفجوة الرقمية رؤية عربية لمجتمع المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب [2]،الكويت ،2005(د.ط) ،ص 11

[3]–المرجع السابق ، ص 35.

مختلف قطاعات النشاط الإنساني ، ذلك أن " الأزمة المالية التي انطلقت مع نهايات عام 2008 كشفت أن الإختيارات المالية القائمة على اليد الخفية والإنفتاح التام للسوق دون أي رقابة مجتمعية فاعلة تترك بالضرورة آثارها السلبية على مختلف البيئات التمكينية والأسواق القائمة مما يكشف جوانب من المأزق الحاصل في الإختيارات التي تدار بها المؤسسات المالية العالمية .هناك إذن صعوبات لا حصر لها أمام إمكانية تجسير الفجوة المعرفية في الوطن العربي .لإرتباطها الشديد بالمشاركة في امتلاك القوة، وذلك ما قد يجعل دعوات التضامن والتعاون والعمل المشترك في نهايات التقارير وبياناتها مجرد أقنعة لإخفاء جوانب القوة الفعلية ،الصانعة للفجوات والموسعة لها ، ولدى قراءة الفصل العاشر من تقرير اليونسكو 2005 الذي يتناول" تجديد الممارسة الديمقراطية في مجتمعات المعرفة"، وقبله الفصل التاسع الداعي "للتعددية اللغوية وتعزيز التنوع الثقافي وتقاسم المعرفة" يبدو اتساع المسافات الناشئة بين خطابات التقارير وواقع الحال في دول الجنوب بما فيه الدول العربية .كما يتضح سمك الجدران العازلة بين المعرفة والآليات الخارجية الصانعة لفجوة المعرفة وتواضع الأداء المعرفي العربي .لا يعني هذا أننا مطالبون بنسخ واستعارة قيم الآخرين .كما أنه لا يعني التبعية والامتثال لإدارة القوة ولا تقليد الغالب بالعبارة الخلدونية ، بل إن ما نحن بصدد التفكير فيه يعني أولا وقبل كل شيء استيعاب ما هو متاح اليوم للبشرية جمعاء ونقصد بذلك قيم المعرفة والعلم وقواعد السياسة والاقتصاد والتدبير ،وفي هذا المجال بالذات ، نحن نعتبر أن الإنفتاح على العالم يعني نوعا من الإرادة الهادفة إلى انجاز نوع من التصالح مع ذاتنا التاريخية ، ومع العالم وبلوغ مرمى التنمية الإنسانية الذي نتطلع إليه.

كما يظهر أن معركة التحديث السياسي ما تزال جارية بصيغ عديدة مثلما أنه ما تزال درجات استيعاب قيم التنوير والعقلانية متواصلة بصورة عديدة في أغلب الدول العربية وذلك من أجل بناء خطاب سياسي أكثر وفاء لقيم العقل والعدل والتوازن ، وهي القيم المشتركة التي تسعى الإنسانية جمعاء لإعادة تركيب قواعدها العامة بروح تسلم بأهمية التعاقد والتوافق والتآزر في العلاقات الدولية مع لزوم الاستفادة من المعطيات الجديدة لبروز مجتمع المعرفة

، يمكن تحويل إعلانات المبادىء والنوايا إلى أفعال ، والعمل لا من أجل تحقيق التحديث السياسي في المجتمع العربي فحسب، بل لتحقيق التحديث السياسي المعزز بالتضامن والتعاون في العالم أجمع"[1]

[1]–المرجع السابق ، ص 36.

المبحث الثاني :أركان مجتمع المعرفة:

إن التوجه نحو إقامة وبناء مجتمع المعرفة العربي لعملية حسّاسة ودقيقة ومركّبة ومكلّفة في آن واحد، ولا يمكن أن نَعُدّها أبدا كمحاولة للقفز من عربة خلفية إلى عربة أمامية لقطار متحرك.

تحاشى تقرير التنمية الإنسانية العربية للعام 2003 تقديم وصفة أو خطة جاهزة لبناء مجتمع معرفة عربي إلا أنه واصل المنهجية المتبعة في التقارير السابقة وذلك بوصف معالم الطريق نحو مستقبل أفضل في البلدان العربية، حيث وضع خمسة أركان أساسية لما يمكن أن يصطلح عليه "رؤية استراتيجية" "تنير الطريق لبناء التنمية الإنسانية، على أن تتغمدها القوى الحية في أي مجتمع عربي بالنقاش الجاد أولا، اختلافا قبل الاتفاق حين يكون مبررا، ثم لنرى بعد ذلك ما هي فاعلة بشأنها من غمار عملية الإبداع الإجتماعي هذه. يمكن أن تنشأ حركة مجتمعية تقوم على إطلاق الطاقات البشرية الخلاّقة في المجتمع المعني، وتوظفها بكفاءة في بناء التنمية الإنسانية"[1]

ولقد أولى التقرير عناية كبيرة لضرورة تدبر هذا المشروع من قبل أيدٍ عربية موطنة له، وذلك نظرا للمرحلة الحسّاسة التي تعيشها الكثير من البقاع العربية.

حيث تعمل الأيدي الأجنبية لإعادة ترتيب المنطقة العربية من جديد.

وقد ورد في التقرير "نحن نستعمل كلمة "مجتمع عربي" بدلا من "بلد عربي" أو "دولة عربية" في هذا المقام عمدا، للتأكيد على أن "المجتمع" المعني يمكن أن يكون جزءاً من دولة أو تجمعا من دول عربية أو الوطن العربي بكامله"[2].

وقد شهد العالم تجاربا عديدة لمدن نجحت في أن تكون مدنا للمعرفة مثل :كندا ، أسبانيا ، ماليزيا.....

وتتمثل هذه الأركان الخمسة في:

---

[1]–مؤسسة مجمد بن راشد آل مكتوم ،تقرير التنمية الإنسانية العربية، ص161.

[2] المرجع والمكان نفسه.

"1- إطلاق حريات الرأي والتعبير والتنظيم، وضمانها بالحكم الصالح.

2- النشر الكامل للتعليم راقي النوعية، مع إيلاء عناية خاصة لطرفي المتصل التعليمي، وللتعليم المستمر مدى الحياة.

3- توطين العلم وبناء قدرة ذاتية في البحث والتطوير التقاني في جميع النشاطات المجتمعية.

4- التحول الحثيث نحو نمط إنتاج المعرفة في البنية الاجتماعية والاقتصادية العربية.

5- تأسيس نموذج معرفي عربي عام أصيل منفتح ومستنير"[1].

فبالنسبة للركن الأول والذي يتعلق أساسا بـ:

أ-إطلاق حريات الرأي والتعبير والتنظيم، وضمانها بالحكم الصالح:

فحينما نتحدث عن موضوع الحرية، فإن لهذه المفردة مكانا عميقا، أو لنقل أنها "الجرح العربي" باختصار، فقبل الحديث عن حرية الأوطان، حرية التربة،لابد أن نتحدث عن حرية الفكر والعقل والتدبر والتخطيط، فلا يمكن لمجتمع فاقد للحرية، أن يفكر أفراده ولا أن يبدعوا ولا حتى أن يتقدموا، فبين العلم والمعرفة والحرية ترابط شديد، ومما لاشك فيه "أنه حدث إنتاج علمي مهم في ظل نظم حكم قهرية، خاصة في ميدان العلوم الطبيعية والدقيقة وبالأخص ما اتصل منها بنظم التسليح، من خلال دعم قوي وتمويل سخي لهذه المجالات من قبل السلطة الحاكمة، كما يمكن تحقيق تقدم معرفي مهم في المجالات التقنية، مثل تطوير التقانة للإنتاج الاقتصادي في ظل دكتاتورية مستنيرة، كما حدث في كوريا الجنوبية، ولكن في مثل هذه الحالات لا يمتد الإنجاز المعرفي للعلوم الإنسانية والاجتماعية ولا للفنون والآداب، وإن أفلتت ومضات رائعة من الإبداع الأدبي والفني تحت القهر، إلا أنها لا تجد سبيلا إلى عامّة الناس، بسبب التضييق على نشر المعرفة فلا تولد مثل هذه الفلتات إلا الإحباط لدى مبدعيها، كذلك لا تعم فائدة الإنتاج المعرفي هذا، المجتمعات المعنية بكمالها،

[1] المرجع السابق، ص163.

أي لا يمتد الإنجاز المعرفي لتطوير جميع قطاعات المجتمع ولتحسين الّرفاه الإنساني للبشر جميعا، والمثال على ذلك في الحالة العربية هو العراق، وخارج المنطقة العربية كوريا الشمالية"[1] وكثيرا ما لوحظ أن الميل باتجاه تدعيم الإنتاج المعرفي في حقل العلوم الطبيعية والدقيقة من أجل التسليح قد انعكس سلبا على الدول التي ركّزت على جانب اكتساب القوة العسكرية، وأهملت شؤون واحتياجات مواطنيها الأساسية، وأهم مثال على ذلك فيما سبق هو الاتحاد السوفياتي، وثانيا هو الولايات المتحدة الأمريكية التي ركزت جل طاقاتها لخوض الحروب بدعوى القضاء على الإرهاب في العالم وكأنّها مخلص البشرية الوحيد، وأهملت الجانب الإجتماعي والاقتصادي في التسيير.

ولما كانت الحريّات تسلب وتغتصب فإنها لا توهب وإنما تسترجع بالقوة، بقوة العقل والفعل حيث يرى علي حرب أن مشكلة الحرية إنما تكمن في المفهوم في حد ذاته "إنها لا تكمن بالدرجة الأولى مع الطاغية أو الكهنة، بقدر ما تكمن في بنية المفهوم وفي سياسة الفكرة، أي في التعامل مع الحرية بصورة فردوسية أو قدسية تصدر عن مخيلة استبدادية أو إرهابية"[2*].

لذلك كانت ولازالت المعرفة هي الطريق الأول للحرية لطلبها واقتناصها، فهي التي تعرفنا بها، وتعرفنا عن السبيل والطريقة إليها وتعرفنا كيفية المحافظة عليها، وكم برع الكواكبي في تصوير العلاقة بين المستبد وبين الرعية المتعلمة حيث قال: " ترتعد فرائص المستبد من علوم الحياة مثل الحكمة النظرية والفلسفة العقلية، وحقوق الأمم، وطبائع الاجتماع، والسياسة العقلية، وحقوق الأمم، وطبائع الاجتماع، والسياسة المدنية والتاريخ المفصل، والخطابة

[1] المرجع نفسه، ص163.

[2] –علي حرب– الإنسان الأدنى أمراض الدين وأعطال الحداثة ،المؤسسة العربية للدراسات والنشر،ط2010،2.ص259

الأدبية... ونحو ذلك من العلوم التي تكبر النفوس، وتوسع العقول وتعرف الإنسان ماهي حقوقه، وكم هو مغبون فيها، وكيف الطلب، وكيف النوال، وكيف الحفظ....

إن المستبد يخاف من هؤلاء العلماء العاملين الراشدين المرشدين.... وكما يبغض المستبد العلم لنتائجه ببغضه أيضا لذاته، لأن للعلم سلطانا أقوى من كل سلطان"[1]

فالحرية أيضا لا يكفي لها أن تعرف، بل أن تمارس، تمارس من أجل النمو، من أجل إبداء الرأي واظهار وجود الذات، واثبات القدرة على إبداء الرأي والتفكير والإبداع، فلا إبداع مع القهر والإستبداد والتسلط.

" فالذي يمارس حريته هو الذي يجترح قدرته ويمارس سلطته وفاعليته، بما ينتجه من الحقائق أو يخلقه من الوقائع في حقل عمله أو في بيئته وعالمه، ومن لا سلطة له لا حرية له، ولذا فالحرية هي عمل نقدي متواصل على الذات، يتغير به المرء عما هو عليه، بالكد والجهد، أو المراس والخبرة أو السبق والتجاوز أو الصرف والتحول، مما يجعل إرادة الحرية مشروعا هو دوماً قيد التحقيق بقدر ما يشكل صيرورة متواصلة من البناء وإعادة البناء"[2]

وحاجة الفكر للحرية، كحاجتنا للماء والهواء،وهو ما جعل الشعوب العربية تدخل مرحلة زمنية فارقة هي مرحلة "الثورات الرافضة" للأوضاع السائدة وإن كان لنا موقف آخر سنحاول الإفصاح عنه لاحقا خلال هذا العمل. "فمن منظور التنمية الإنسانية، فإن التقدم العلمي تحت القهر يرتبط بالتضييق على الحريات، مما يؤذي التنمية الإنسانية من أوسع الأبواب، أما إن أردنا معرفة راقية، في شتى مجالات الإبداع،فالحرية لازمة، وإن أردنا تنمية إنسانية من خلال اكتساب المعرفة فالحرية لا غنى عنها"[3]

2-الكواكبي عبد الرحمن- الأعمال الكاملة- دراسة وتحقيق محمد جمال طحان- مركز دراسات الوحدة العربية ط3 2007 بيروت- ص458

[2]علي حرب- الإنسان الأدنى- ص259-260.

[3]- مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم ،تقرير التنمية الإنسانية العربية 2003- ص 163.

إلا أننا نجد في الكثير من الأدبيات التي تتحدث عن مجتمع المعرفة، أنها تجمع بين المفاهيم الثلاث المعرفة والتنمية والحرية حيث تعتبرها ثلاثية متكاملة " فعندما نتحدث عن علاقة التنمية الإنسانية بالمعرفة، نكون قد استحضرنا الجانب الغائي الذي يجعل المعرفة في خدمة التنمية، وعندما نتحدث عن الحرية نكون بصدد التفكير في الأطر الاجتماعية والسياسية المساعدة في عملية العناية بالمعرفة وبالإبداع بحكم التفاعل الخلاّق القائم بين توسيع فضاءات الحرية وبناء المعرفة "[1]

في حين تكفّل تقرير اليونيسكو الصادر سنة 2005 الذي كان يحمل عنوان " من مجتمع المعلومات إلى مجتمعات المعرفة " بتوضيح ما الذي تعنيه حرية التعبير: " إن حرية التعبير تتضمن حرية التفكير وحرية الكلام والتعبير، وحرية الصحافة وحرية الوصول إلى المعلومات، وحرية انتقال المعلومات... إن حرية التعبير هي الضمانة الأولى ليس فقط لإمكانية قيام مجتمع معرفة حقيقي بل أيضا لضمان ديمومة هذا المجتمع "[2]

إلا أن اشتراط تحصيل المعرفة والحرية باقترانه بالحكم الصالح قد يبقي الكثير من الدول العربية بعيدة عن هذا المجال " ولكن القراءة الصحيحة لهذا التشارط الجوهري بين الحرية والحكم الصالح تصب في أن معركة نوال الحرية– المعرفة في الوطن العربي بحاجة إلى عدد وعدة، ونفس تاريخي طويل فلن ينعم العرب بمجتمع الحرية والمعرفة مجانا، أو يهبط عليهم من السماء غيثا "[3]

ولعل ما يقصد هنا بالعدد جملة المفكرين والمثقفين والباحثين والسياسيين وأصحاب القرار. أما ما يقصد به بالعدة فهو حمولة الأفكار، ونسيج الثقافة والقيم، وخصوصية الهويات،

[1] تقرير المعرفة العربي للعام 2009– محمد بن راشد آل مكتوم نحو تواصل معرفي منتج – دار الغرير – دبي – الإمارات العربية المتحدة – ص 25.

[2] منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة– من مجتمع المعلومات إلى مجتمعات المعرفة – مطبوعات اليونيسكو 2005– فرنسا–ص41.

[3] مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم ،تقرير التنمية الإنسانية العربية 2003. ص 165.

وجملة المشاريع الإنمائية وكل وسيلة يمكن تسخيرها لجعل المعرفة طريقا نحو الحرية وإصلاح الحكم في البلاد العربية.

فلا عجب أن التحولات الكبيرة التي عرفها العالم مؤخرا كالثورات العربية، وبعدها أزمة الوباء العالمي قد أسقطت أقنعة الكثير من ممتهني العمل الثقافي والسياسي، فكل القيم التي كان يدافع عنها هؤلاء أصبحت هي المحلول الكاشف لزيف النوايا، ولحقارة السلوك والضمير، لقد عرفت الثورات العربية الأوضاع السياسية المتعفنة وكشفت سياسات الفساد التي فاقمت الأوضاع، كما كشفت خذلان وجبن بعض المثقفين الذين لم يستطيعوا التنصر للعقل وللحقيقة وإنما اتبعوا أهواء السلطان وأغراض الهوى فغابوا وغاب أثرهم.

2-أما عن الركن الثاني والذي يتمثل في النشر الكامل للتعليم راقي النوعية، معإيلاء عناية خاصة إلى طرفي المتصل التعليمي، وللتعلم المستمر مدى الحياة، فإنه لا يسعنا سوى القول أنه وبالنظر إلى الحال العربية اليوم لهو مطلب وحق جوهري وأساسي في مسألة النموّ والنهوض، إلا أنه في عديد الدول قد يبدو مطلبا يوتوبيا صعب المنال، خاصة مع الظروف الحالية والتي أحدثت نقلة نوعية في التعليم الواقعي والذي أصبح يتطلب تدخلا معلوماتيا حتى يساهم في استمرار التعليم الإلكتروني عوض التعليم الحضوري.

إلا أنه وجب التنبيه إلى عظمة وأهمية هذا العنصر بالذات في تسهيل الولوج إلى مجتمعات المعرفة، التي تتحدد هويتها في أنها مجتمعات متعلمة، فقد ورد في تقرير "إدجارفور" تعلم لتكون " : " لابد من إعداد إنسان جديد لكي يعيش في العالم الجديد"[1]

فجملة المهام والمطالب والوظائف والإمكانيات التي يقدمها عصر المعلومات والمعرفة أصبحت تتطلب مرونة أكثر، ومعرفة ودراية أكثر، وتحسينا وصقلا لمعارف متهالكة "فالإنسان مظطر لاكتساب التقنيات اللاّزمة من المحيط الذي يعيش فيه، وهذه التقنيات لا

[1] إدجارفور وآخرون- تعلم لتكون- ترد حنفي بن عيسى- اليونيسكو الشركة الوطنية للنشر والتوزيع- الجزائر- ط2- 1976- ص 218.

يجدها جاهزة في الطبيعة ولا يهتدي إليها بحكم الفطرة والغريزة بل لابد من أن يتعلم باستمرار حتى يتوصل إليها وبذلك يضمن لنفسه البقاء والتطور " [1].

فالمعرفة هنا أصبحت وسيلة للبقاء واكتسبت صفة داروينية بحتة.

ومن جهة أخرى نجدأن القراءة الفاحصة المتتبعة لنشأة المدن والمجتمعات على مر العصور، تؤكد لنا الترابط المهم بين نشأة المدينة ونشأة المدرسة فيها باعتبارها حقلا وموطنا للتنشأة والتعليم." لقد اكتشف علماء آثار اليونان أو المجال الإيجي عرف الحضارة الميسينية بين 1580 و 1200ق.م، وأن نوعا من الكتابة الجديدة عرف ابتداء من 1400ق.م وهو ما يعرف بالكتابة المستقيمة B والتي فك رموزها فانترس وشادويك سنة 1952.

هذه الكتابة جعلت طبقة الكتاب تصبح عماد سلطة الملوك لأنها تتحكم في إحصاء وتدبير الثروات والضرائب، وبذلك تحافظ على النظام ودوام السلطة، وأن الغزو الدوريني (800-1200ق.م) قضى على هذه الفئة وبذلك اختفت الكتابة وتصدّعت هذه الحضارة بل وانقرضت، وجعلت المجتمع يتكون من طبقتين، الشعب من جهة وطبقة المحاربين"[2].

ومن المؤسسات البارزة في اليونان مثلا بين القرنين السادس والثالث قبل الميلاد نجد:

"المدارس الطبية منذ القرن التاسع قبل الميلاد"، مدارس الحكماء وخاصة مدرسة ميلي حيث نجد طاليس (610-545ق.م)، وأنكسماندر وأنكسمانس (585-525ق.م) وغفيسا مع هرقليطس (540-480 ق.م).

- المدارس الفيثاغورية مع فيثاغورس (520-496 ق.م).

أولا في مدرسة قروطون ثم ميتابونت ومدرسة طارانط في القرن الخامس قبل الميلاد، ثم مدرسة طابيس في عهد أفلاطون.

---

[1] المرجع السابق ص 222.

[2] مؤلف جماعي- مؤسسات العلم والتعليم في الحضارة الإسلامية- منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية- الرباط ط1- 2008- مطبعة النجاح الجديدة- الرباط- ص212.

– مدرسة أنكساغوراس (500–428 ق.م) بلاميساك الذي أدخل الفلسفة الحكمية إلى أثينا سنة 462 ق.م ومن أهم تلامذته ديوجين الأبولوني.

– المدارس السقراطية وهي كثيرة مثل مدرسة ميجار من طرف أوقليد ونيدون ومدرسة سينكا التي أقيمت بملعب سينوزارجيس ومدارسأخرى أهمها:

الأكاديمية التي أنشأها افلاطون (427–347 ق.م) بحدائق أكاديموس قرب أثينا سنة 387 قبل الميلاد والتي تعتبر أول مؤسسة منظمة لاستقبال الطلاب حيث كانت تتوفر على مكتبة وقاعة كبيرة للدروس وغرف للمبيت ومتحف وبعض المرافق الأخرى. كما أنها كانت تعمل حسب برامج واستعمالات للزمن مضبوطة، وكان الهدف من إنشائها هو تربية الإنسان على العدالة وخلق مدينة عادلة وبالتالي فالأكاديمية ستخلق إنسانا متخلقاً عالما مما سيؤدي إلى إنشاء هذه المدينة التي تمارس السياسة بسبب ضوابط أخلاقية وتحترم العلم والحكمة أي سياسة يكون فيها زمام الأمور بيد الفلاسفة، بل إن فلسفة أفلاطون رد فعل أمام فشل السياسة والمدينة اليونانية وكما يقول فرانسواشاتليه:

"الأعمال الأفلاطونية هي أولا تفكير وتأمل في هذا الفشل، أيضا تشكل إعادة نظر، ليس فقط، في الديمقراطية، بل وعموما في الوجود السياسي، وأيضا أكثر في هذه الثقافة الجديدة التي انطلقت بدون تروّ في غزو للمعارف، في البحثعن الذات في إرادة القوة، وبهذا المعنى فإن هذه الفلسفة تعنينا، لأن هذا المشكل، الذي تجاوز ألفي وأربعمائة سنة، لازال يطرح علينا اليوم[1].

– وقام تلامذة أفلاطون بإنشاء عدة مدارس أخرى، بمدن أخرى بأوبيس وطروادة هرقيلية.

– اللوقيون le lycée الذي أسسه أرسطوAristote (384–322 ق م)حوالي 335 ق.م بعد أن قضى عشرين سنة بالأكاديمية والتي عرف أتباعه وتلامذته الذين وصلوا في بعض

[1]المرجع نفسه ص 214.

الأحيان إلى 2000طالب، فيه بالمشائين وقد أحرقت ونهبت هذه المؤسسة عدة مرات أثناء الحروب العديدة، إلى أن دمرت بالكامل سنة 84 ميلادية.

– وبعد ذلك نجد مدارس أخرى مثل "الحديقة" التي أنشأها أبيقور Épicure (341–270 ق.م)، le portiqueأو la stora التي أسسهازينون سنة 301 وهي معقل ومنشأ الرواقية[1].

2–1–التربية والتعليم :

"إن التربية والتعليم يرتبطان كليهما بالمعايير العامة للمجتمع كقواعد السلوك والقوانين والتقاليد والأعراف والمعتقدات أي أن التعليم والتربية عمليتان اجتماعيتان على أساس ثقافي"[2]

"ولذلك نجد أن كلمتي التعليم والتعلم كعملية واحدة، تندرج في الحضارة العربية الإسلامية ضمن عملية كبرى وهي الآداب والأخلاق ، ولذلك فالمعلم هو شيخ ومربي ومؤدب، ومثال وقدوة وإمام ويمثل الفضيلة والحكمة والنزاهة والرزانة والصبر والحلم والرفق ، بالإضافة إلى الخبرة والفطنة والذكاء والنباهة...إلخ، وعليه فالتعليم والتربية جزء من الثقافة ومؤسس ومحافظ على سلوكات اجتماعية"[3]

"وبناء على ذلك فإن ما يعيننا أساسا من التربية والتعليم هو الجانب المرتبط بالفكر المؤسس على المعرفة والمؤسس للمعرفة أي ذلك المرتبط بتكون المجتمعات والحضارة بمعناها العام (ليس بمعناها التحقيبي) أي ذلك المرتبط بتملك المجال وتأسيس المجتمعات والمؤسسات للعيش في تجمع معين وفق تخطيط وتدبير وتوزيع للمهام..."[4]

فلا جدال في أن تطور المعرفة ترافق مع تطور معرفي في شتى المجالات فالمدينة التي تنشأ هي مدينة تعرف .

---

[1] المرجع نفسه ص 214.

[2]–مؤسسات العلم والتعليم في الحضارةالإسلامية، ص 204.

[3]–المرجع نفسه ، ص205.

[4]–المرجع والمكان نفسه.

"إن الإنتقال إلى عالم المعرفة رهين بنجاح تركيبة بين التربية الأولية وبين عملية التعلم في وسط حضاري متمكن من وسائل تلقي وإنتاج وتنمية المعرفة"[1] وهذا ما يمكن تطبيقه على الكثير من المجتمعات السابقة ، التي أولت عناية كبيرة لمسألة التربية وقرنتها بالتعليم ، فالمجتمعات السابقة كانت بحق مجتمعات نواة مؤسسة لما يطلق عليه اليوم مجتمع المعرفة ، حتى وإن لم تكن بنفس الهيكلة والثوابت والأسس التي قامت عليها اليوم.

يقول عبد الصمد تمورو في مقالته التقليد العلمي ومجتمع المعرفة في العالم العربي الإسلامي" ونظرا لأهمية المعرفة في المجتمعات الحديثة،أطلق عليها"مجتمعات المعرفة" وهذا التعريف المتداول حاليا نعتبره محدودا ،إذ يعتمد فقط على مجموعة من العلوم المرتبطة بالتكنولوجيات الحديثة والإعلام وبعض العلوم الدقيقة في إعلاء واضح للمجموعات العلمية التكنولوجية، بينما نميل إلى اعتبار مجتمع المعرفة كل تجمع مؤسس للمعرفة ومجتمع تقوم فيه المعرفة بدور المحرك الإقتصادي والإجتماعي وتحتل فيه التربية مقاما مهما،والإنتاج المعرفي محركا للحركية والديناميكية الحضارية، وعلى هذا الأساس نعتبر فترات مهمة ومجالات حضارية(خاصة المدن) داخل الحضارة العربية الإسلامية كانت فيها أقلاد علمية وشكلت بذلك مجتمعات المعرفة"[2]

2-2-في دور التربية:ما يميز الفعل التعليمي بالدرجة الأولى في مجتمعات المعرفة أنه مقرون بالفعل التربوي الذي يقوّم السلوك الظاهر ، ويهذب ملكات النفس ،فالهدفالأولي للعملية التعلمية هو تمكين المتعلم من إتقان مهارات معينة يكون قادرا من خلالها على الإعتماد على نفسه في حل بعض المشاكل البسيطة التي تعترضه في الحياة اليومية "خلق الإنسان ليكون ناجحا في حياته،وخلق العالم لتمكينه من النجاح"[3]

---

[1]-المرجع والمكان نفسه.

[2]-المرجع نفسه ص210.

[3]-إدغار فور ،تعلم لتكون ترد حنفي بن عيسى- اليونسكو الشركة الوطنية للنشر والتوزيع- الجزائر- ط2- 1976. ،ص 225.

وعلاقة المعلم والمتعلم في العملية التربوية لها ما يميزها حيث أنه :

"لابد في العمل التربوي أن يحل التعلم محل التعليم،ولا يعني هذا أن المعلم يمكن الاستغناء عنه،وكل ما في الأمر أن الفرد سوف يكون في عملية التعلم فاعلا أكثر منه منفعلا، فهو لا يتلقى العلم كشيء يوهب إليه أو كخدمة اجتماعية تؤديها إليه الجهات المسؤولة بل يستوعبه عن طريق الإحاطة بالمسائل العلمية والسيطرة على أهوائه،وبذلك يكون حقا من رجال العلم والمعرفة، لا مجرد وعاء تصب فيه المعلومات"[1] ولا تقتصر عملية التعلم في نهل المعارف والعلوم فقط ، بل تشمل رياضة النفس وتهذيبها إذ "ينبغي أن يصبح المتعلم في مدرسة المستقبل مسؤولا عن تعليم نفسه وعوضا عن أن يتلقى العلم،فلابد أن يتولى تهذيب نفسه، وعوضا من أن يعلم غيره،فالأجدر به أن يستزيد من المعرفة،إن هذا التغير الأساسي في علاقة الإنسان بنفسه يرجع إلى ضرورة تفجير الطاقات المبدعة الكامنة في الإنسان،ولاشك أنه سوف يكون أصعب مشكلة يواجهها التعليم في المراحل العشارية القادمة من الثورة العلمية التقنية"[2] وهذه المهمة ليست هينة أبدا ، بل إنها لمهمة صعبة عسيرة ، تتطلب تكاثف الجهود ، واتحاد الرؤى ذلك أن " الشرط لتحقيق المجتمع المتعلم هو أن ينظر رجال السياسة إلى المشكلة بكل جدية،كما هي مطروحة اليوم بأكملها،وأن يجابهوا التحدي الفلسفي،فمن يا ترى سوف يبدأ"[3]

وما يمكن استخلاصه من مسيرة المجتمعات السابقة السبّاقة في التمدن والتحضر خاصة منها العربية "أن السعي لإقامة مجتمع المعرفة من قبل المجتمعات العربية في بلدانها واتحاداتها،كاتحاد بلدان المغرب العربي،هو في جوهره تواصل أصيل مع صميم الحضارتين العربية القديمة والغربية المعاصرة،في ذات الآن، وهو أيضا انطلاق واستكمال لمسيرتها الحضارية بعد توقف دام لعصور طويلة،ولكن المسار الجيد لابد أن يكون وفق آليات

[1]–المرجع السابق ، ص 226.

[2]–اللمرجع والمكان نفسه.

[3]–المرجع نفسه ص، 229.

العصر في المسير والتوافق مع إسهامات المجتمعات الأخرى في الغرب والشرق بما يحدث التكامل الكوني لحضارة المعرفة وخاصة الإنطلاق نحو حل المشكلات وتجاوز العوائق التي من شأنها تأخير المسير،أو إحداث التعثر وربما الوقوف في وجه إقامة مجتمع المعرفة المنشود ولاشك،كذلك أن من أهم دعائم الإعداد لمجتمع المعرفة هو فتح سبل انتشار المعرفة وخاصة في ظل توافر الجهود والتكنولوجيات المعلوماتية فائقة التطور"[1]

3-توطين العلم وبناء قدرة ذاتية في البحث والتطوير التقاني في جميع النشاطات المجتمعية:

"استراتيجية بناء القدرات البشرية وما تستلزمه من تجويد نوعية التعليم وخلق البيئة المناسبة لتشجيع البحث العلمي وتوفير الحريات الأكاديمية لإعداد الخبراء والباحثين وتشجيع الابتكار وحماية حقوق الملكية الفردية ودعم أصحاب براءات الإختراع يمكن أن تخلق الأرضية الضرورية لحفز صحوة معرفية أصبحت أكثر من مطلوبة، نظرا لما يمكن أن توفره من ميكانيزمات ونتائج ستنعكس بالضرورة ليس على رفع مؤشرات النمو الإقتصادي فحسب بل على نوعية الحياة بوصفها استحقاقا تنمويا أصيلا يستحق الجهد والمتابعة فمؤشرات الرّفاه الإنساني وتحسين نوعية الحياة أمر يتعدّى النتائج الإقتصادية الإيجابية للنمو، ويتطلب مشاركة جميع المعنيين بالشأن التنموي أي الدولة والقطاع الخاص والمنظمات الأهلية NGO بعد أن أثبتت التجارب أن العزوف عن المشاركة في الشأن العام قد شكل في الماضي أحد أهم أسباب فشل التجارب التنموية في بلداننا في جيلها الأول على الأقل"[2]

ولا يمكن أبدا فصل الدور المهم والحسّاس لإبداع المؤسسات والأفراد في الفعل التنموي ، وذلك للترابط الشديد بين عملية المعرفة والإبداع الإنساني ، فكما هو متعارف عليه "أن دور المعرفة في التنمية وفي التقدم هو دور أساسي وحيوي كما أن ارتباط المعرفة بالإبداع وارتباطهما معا بإيجاد بنية اجتماعية واقتصادية وظروف سياسية ،يمكن أن تتشكل

[1]-علي محمد رحومة، مجتمع المعرفة وبلدان المغرب العربي، ص 26.

[2]-د.مجدي عبد الكريم حبيب، مجتمع المعرفة والإبداع في القرن الحادي والعشرين،دار الفكر العربي،القاهرة، ص 19

وفقا لمدى تشجيع الإبداع ونشر المعرفة في المجتمع ودرجة الحرية التي يتمتع بها النشاط المعرفي بصفة عامة"[1]

– ورد في تقرير اليونسكو للعام 2005 "من مجتمع المعلومات إلى مجتمعات المعرفة" وفي الفصل الخامس منه الحديث عن الأماكن الجديدة للبحث(عن العلم والمعرفة) و عدم التساوي أمام العلم أن "هناك شرخا علميا حقيقيا يفصل البلدان"الغنية علميا" عن سواها.حيث يميل العلم إلى العالمية، لكن المكاسب العلمية تبدو مقصورة على جزء من العالم، وتعاني عدة مناطق من عجز كبير في هذا المجال يعيق نهوض البحث، لقد احتج الأمين العام للأمم المتحدة كوفي عنان– على استمرار هذا الخلل، مؤكداً "أن فكرة وجود عالمين للعلم هي لعنة ضد الفكر العلمي"[2] .

لا ينجم مفهوم الشرخ العلمي إذن من وجود تفاوت اقتصادي فقط بل ينتج أيضا عن الخلافات التي تصيب المفاهيم السياسية عن دور العلم الاقتصادي والاجتماعي، ويبرز خطر حدوث شرخ علمي عندما لا تقرر الحكومات اعتبار العلم والتكنولوجيا استثمارا اقتصاديا وبشريا بالرتبة الأولى. من وجهة النظر هذه فإن مؤشرا مثل نسبة الإنفاق على البحث والتطوير (RPD) في إجمالي الناتج المحلي (GDP) يعطي فكرة دقيقة إلى حد بعيد عن التفاوت في هذا الميدان. يمثل هذا المؤشر نوعا ما، كثافة الجهد الوطني للبحث وقدرة كل بلد على استثمار موارد مادية وبشرية في النشاطات العلمية والتكنولوجية، لأن الاستثمار العلمي خيار سياسي قبل أن يكون اقتصاديا، عام 2000، خصص نحو (1.7%) من (GDP) العالمي للبحث والتطوير، مقابل (1.6%) عام 1997 وفي مجمل بلدان (OECD) يرتفع هذا الرقم إلى (2.2%) وأعلى نسبة إسرائيل (4.7%) والسويد (4%)، بينما في معظم البلدان النامية نادرا ما يتجاوز (0.2%) عام 2000، خصصت جنوب افريقيا (0.7%) من إجمالي ناتجها المحلي للبحث والتطوير، وهي نسبة أعلى من سائر بلدان

[1]–إدغار فور ، تعلم لتكون، ص 7.

[2] تقرير اليونسكو 2005– ص103.

أفريقيا الجنوب صحراوية (0.2%) وتمنح البلدان العربية في أفريقيا وآسيا (0.1%) من إجمالي ناتجها المحلي للبحث والتطوير.

وفي العام 2000 نفسه، إستثمرت أمريكا اللاتينية وجزر الكاريبي(0.6%) من إجمالي ناتجها المحلي في البحث وهناك أمر هام يستحق الذكر: بما أن حصة البلدان النامية في إجمالي الناتج العالمي هي 42%، وحصة البلدان الصناعية 57% فعدم التوازن أكبر فيما يخص الإنفاق العالمي على البحث والتطوير، لأن استثمار بلدان الجنوب لا يمثل سوى 20% من كامل الإتفاق، وإتفاق بلدان الشمال 80%.

وإذا كانت القوة الاقتصادية متغيرا هاما، فهي لا تستطيع وحدها أن تلخص سلوك بلد تجاه الإنتاج العلمي كما يظهره، مثلا. تفاوت الاستثمار بين أوروربا والولايات المتحدة، وحتى ضمن الإتجاه الأوروبي نفسه، إن الإرداة السياسية والتزام المجتمع المدني، مما يتضمن في الحكم،عنصران حاسمان في نظام بحث وتجديد جيد، ويشهد بذلك بشكل واسع، مثال البلدان الصناعية الحديثة مثل ماليزيا أو سنغافورة، لقد توصلت هذه البلدان إلى إقامة أنظمة تجديد قوية تسهل التطور الاقتصادي والصناعي لأنها اتبعت خطى الصين[1].

والبرازيل في وضع السياسات إدارية في ميدان العلم والتكنولوجيا بخلاف نماذج اقتصادية سائدة أحيانا، من وجهة النظر هذه لا يمكننا إلا أن نحي قرار بلدان NEPADفي استثمار (1%) من إجمالي الناتج المحلي (GDP) في البحث، وإذا كان على إفريقيا بلوغ هدف (1%) فهذا سيعادل ثورة صغيرة في هذه المنطقة، حيث أن جنوب إفريقيا لا نزال البلد الذي يستثمر جزء لا يستهان به من إجمالي ناتجه المحلي(GDP) في البحث والتطوير.

مؤشرات منظمة اليونيسكو: تعد قاعدة بيانات اليونيسكو المتعلقة بالتعليم أشمل مصدر للبيانات تستند إليه التقارير الإقليمية والدولية، وتنتظم هذه المؤشرات في 15 محورا هي: الأطفال خارج الدراسة، وبدء الدراسة والمشاركة، والتقدم، والإتمام، والقرائية، ومستوى التعليم

[1]–منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة– من مجتمع المعلومات إلى مجتمعات المعرفة – ص 104.

المحقق، والحراك الدولي لطلاب التعليم العالي، والموارد البشرية، والموارد المالية، والمواد المدرسية وظروف التعلم(قارة إفريقيا فقط)، وتعليم الكبار (منطقة أمريكا اللاتينية والبحر الكاريبي فقط). والسكان والمنظومة ومن أكثر المؤشرات التي تحظى بمتابعة دولية ووطنية " مؤشر تنمية التعليم للجميع"، وهو مركب يستهدف قياس التطور باتجاه تحقيق التعليم للجميع في مجمله لكنه ظل بسبب صعوبة جمع البيانات مركزا إلى الآن على 4 أهداف اعتبرت الأكثر قابلية للقياس وهذه الأهداف هي تعميم التعليم الإبتدائي، ومحو أمية الكبار، والتكافؤ بين الجنسين، وجودة التعليم، وفي إطار متابعة الأهداف الإنمائية لتقييم ما بعد 2015، ضبط مؤخرا 16 مؤشرا محوريا لتعتمد كمؤشرات تربوية عالمية وإقليمية ووطنية[1].

[1] مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم ،مؤشر المعرفة العربي 2015.شركة دار الغرير للطباعة والنشر دبي(دون طبعة، دون سنة طبعة).ص 24-

الفصل الثاني : مكانة المعرفة بين حتمية الفلسفة ومشروعية الحلم

المبحث الأول :الفلسفة وعلاقتها بالمعرفة

المبحث الثاني : يوتوبيا مجتمع المعرفة

المبحث الثالث :المجتمعات المثالية في الفلسفة وعلاقتها بمجتمع المعرفة .

المبحث الأول :مكانة المعرفة بين حتمية الفلسفة ومشروعية الحلم:

الفلسفة :كانت الفلسفة ولازالت كما يقول ليوتار تزعج الجميع ،إنها تثير الكثير من أسئلة الشك والريبة حول الكون ، حتى أنها لم ولن تنس أن تسائل نفسها عمن تكون ، وعن تعاظم أو تخاذل الحاجة إليها في مرحلة معينة ما لتعود مرات عدة حتى تسائل كلامها الخاص.

فهل يكفي أن نعرّف الفلسفة بماعرّفها به الأولون ، أم أنّنا نسائلها عن ذاتها من خلال وظيفتها أم من خلال مكانتها ، أم من خلال ضرورة الحاجة إليها ." ذلك أن الفلسفة هي عملية أو نشاط أكثر من كونها موضوعا أوبناء للمعرفة ، وتعريف النشاط أصعب دائما من تعريف الكيان أو الشيء المحدد المعالم "[1] ولضرورة منهجية وبالرجوع إلى المعاجم والقواميس الفلسفية نجد :" لفظ فلسفة مشتق من اليونانية وأصله(فيلا–صوفيا) ومعناه محبة الحكمة ، ويطلق على العلم بحقائق الأشياء ، والعمل بما هو أصلح "[2]

وهناك من يرى أن :" (هيرقليوس) تلميذ (أفلاطون) قد روى أن (فيثاغورس) هو الذي وضع لفظ (فلسفة) إذ قال : "لست حكيما ، فإن الحكمة لا تضاف لغير الآلهة وما أنا إلا فيلسوف" أي محب للحكمة " [3]

وقد تثير هذه الأقوال الشكوك نظرا لأن الراجح هو :"أن هيرودوتس كان أول من استخدم الفعل تفلسف ، إذ ورد في بعض آثاره أن قارون قال مخاطبا سولون المشرع :" سمعت أن رغبتك في المعرفة قد حملتك على أن تطوف بكثير من البلاد متفلسفا " أي طالبا للعلم والمعرفة "[4]

فلا يمكن بأي حال من الأحوال تناول مفهوم الفلسفة دون الرجوع إلى مفردة الحكمة ، ذلك أن البدايات الجنينية لظهور تعريف الفلسفة ارتبطت بكونها " محبة للحكمة " ،

---

[1]– هنتر ميد ، الفلسفة أنواعها ومشكلاتها ، ترجمة فؤاد زكريا ،دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ،القاهرة ، ط 2، 1975 ، ص18

[2]–جميل صليبا ، المعجم الفلسفي ، ج2، دار الكتاب اللبناني ،بيروت لبنان ،1982 (د.ط) ، ص 160

[3]–فراز الشيخ الفزاري ،مباحث الفلسفة الرئيسة ، دار الجيل ، بيروت ،ط 1، 1992 ، ص 9.

[4]–المرجع والمكان نفسه.

وكما ورد في لسان العرب لابن منظور أن :" الحكمة عبارة عن معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم ، ويقال لمن يحسن دقائق الصناعات ويتقنها : حكيم ، والحكيم يجوز أن يكون بمعنى الحاكم مثل قدير بمعنى قادر وعليم بمعنى عالم " [1]

ولكن هل يكفي للفلسفة أن تكون حبا للحكمة ؟ أم أن تتجسد من خلال السعي إليها ؟ حيث تفضل وجهة النظر الحديثة النظر إليها على أنها :"السعي وراء الحكمة أو البحث عنها ، غير أن التمييز ليست له على الأرجح أهمية ، فالحب يؤدي عادة إلى سعي من نوع ما ، وحب الحكمة ليس استثناء لهذه القاعدة ، والمهم في الأمر أن الرغبة في الحكمة ، لا في الأشياء المألوفة التي يتجه إليها الناس عادة ، هي التي تحفز الفيلسوف على ممارسة نشاطه ، فالمعرفة هي ميله المفضل ، والفهم هو هدف حياته " [2]

"إن الرغبة في الحكمة لا في الأشياء المألوفة التي يتجه إليها الناس عادة هي التي تحفز الفيلسوف إلى ممارسة نشاطه ، فالمعرفة هي ميله المفضل ، والفهم هو هدف حياته " [3]

"الحكمة الفلسفية تنطوي على نوع من الفهم الأصيل للكون وللتجربة البشرية بأكملها "[4]

" إن معظم الأذهان تكون على استعداد للاستقرار والاكتفاء إذا ما جمعت من المعرفة ما يكفي لمواجهة الحاجات العملية للحياة اليومية أو لجعل أصحاب هذه الأذهان يشعرون بأن لديهم على الأقل بعض الاستبصار بمعنى التجربة البشرية ، أما الفيلسوف فلا يقنع بهدف متواضع كهذا ،وإنما المعرفة عنده تعني المعرفة التي تكون شاملة بالقدر الذي تتيحه الحياة البشرية القصيرة ، ....فالحكمة الفلسفية تنطوي على نوع من الفهم الأصيل للكون ، وللتجربة البشرية بأكملها "[5]

---

[1]– لسان العرب، ابن منظور، المجلد الثاني (حرفي ج،ح)، دار الحديث، القاهرة ، (د، ط) ، 2013، ص 540.

[2]– هنتر ميد ، الفلسفة أنواعها ومشكلاتها ،ص22.

[3]–المرجع والمكان نفسه .

[4]–المرجع والمكان نفسه.

[5]– المرجع والمكان نفسه.

" الفلسفة بحث منظم عن المعرفة ، تقوم به عن طريق التفكير المنظم في كشوف العالم ونتائج المؤرخ ورؤيا الفنان والشاعر ، والمتصوف مع الجمع بين هذه كلها وبين تجربتنا اليومية الشخصية "[1] لأن كل تجربة تفرز خبرة تكوّن تصورا حول موضوع ما تم اختباره والتفكير فيه.كما أنها سعي من نوع خاص إذ يبدو السعي الفلسفي "في أساسه سعيا وراء معرفة شاملة عن طبيعة التجربة ومعناها وقيمتها "[2]

فالمهم على حسب قول الدكتور عمر مهيبل هو :" ليس أن نحب الحكمة فحسب ، وإّنما أن نمارسها ، فالفلسفة ليست أداة للرّفاه كما أنها ليست مادة أولية لخبز الإنسانية ، إنها تأمل مستمر في وضع الإنسانية وتفجير لبداهته من الداخل ، فهي لا تقنّن ولا تأمر وإنما تحلّل ، تستفهم تتساءل ، تثور وتشك ، إنها تجعل الإنسان في حالة تأهّب مستمر ، إنها حامل المعرفة ، والمعرفة أساسها العقل ، والعقل أساس التمييز بين الإنسان وبين الكائنات الحية الأخرى ، إذن فالفلسفة حامل لماهية الإنسان ، ومعنى أساسي من معاني وجوده وحقيقة هامة من حقائق هذا الكون الأبدية "[3]

ومع التطور العلمي الرّهيب فإن علاقة الفلسفة بالمعرفة وبالحكمة أيضا ستوطّد على نحو ما ذلك أن :" التصور العلمي للعالم لا يسدّ الفجوة بين المعرفة والحكمة ، ولكنّه يجعلنا نشعر بها على نحو أكثر حدة ، حتى إنني أراهن أن هذه المفارقة تكون في أقصى حدة لها في المجتمعات المتقدمة للغاية علميا وتكنولوجيا ، ويبدو أن الفجوة بين المعرفة والحكمة في المجتمعات الغربية المتقدمة تتسع على حد الهوة السحيقة "، وبهذا المعنى فإن المسالة التأملية المتعلقة بمعنى الحياة تكون نتيجة للترف والثراء ، ربما كانت هكذا دائما ، فالفلسفة تظهر فقط عندما تتوافر ضرورات الحياة الأساسية ، فكما قال برتولوت بريخت :" الغذاء أولا ثم الأخلاق " وهذا صحيح على نحو كاف ، ولكن الحقيقة الغريبة عن البشر هي أنهم

---

[1]– هنتر ميد ، الفلسفة أنواعها ومشكلاتها ،ص 23.

[2]–المرجع والمكان نفسه.

[3]–مهيبل عمر ، البنيوية في الفكر الفلسفي المعاصر ، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر ، ط2، 1993، ص6.

عندما تعطيهم طعاما – ولو طعاما أكثر مما يمكنهم أكله – وعندما تغدق عليهم كل النعم الدنيوية ، فإنهم سوف يبتكرون وسائل جديدة لأنفسهم ، واضطرابات عصبية وأمراضا جديدة للتعامل مع تلك الإضطرابات والأمراض الجديدة ، على سبيل المثال ، التحليل النفسي أو العلاج بالروائح أو علم المنعكسات ، أو ماشابه وعندما يبدأ الشعور بقوة هذه المفارقة وجوديا ،تعود المسالة المهملة الخاصة بمعنى الحياة بحماس حقيقي ومخيف : يبدو لي أنني أمتلك كل ما أحتاج وأريد ، ولكن ما هو الهدف من حياتي ؟"[1]

" إن الفلسفة القديمة تميزت – من بين أمور أخرى –بهوية تقوم على المعرفة والحكمة ، أو على الأقل بمحاولة دمجهما معا أي إنمعرفة طبيعة الأشياء من شأنها أن تؤدي إلى الحكمة في تسيير المرء لحياته .والافتراض الذي يربط المعرفة والحكمة معا هو فكرة أن الكون على هذا النحو يعبر عن هدف إنساني ، ومن ثم فإن معرفة الكون ستكون جزءا لا يتجزأ مما يعنيه أن يكون المرء إنسانا ، وهذا هوما يسمى " النظرة الغائية للكون " ، حيث يمكن تفسير كل شيء طبيعي في ضوء ما أطلق عليه أرسطو سببه النهائي ، هذا الهدف الذي من أجله يكون أي شيء على ما هو عليه ، وأدّت هذه النظرة إلى وحدة ملائمة بين النظرية والتطبيق ، بين المعرفة والحكمة ، بين التفسير السببي والفهم أو المعنى الوجودي ، حيث يمكن على سبيل المثال أن ينظر إلى الكون على أنّه كتاب حيّ كتبه الرّب " [2]

أما عن مصدرها ونشأتها" فإن الفلسفة لا تنشأ من ترف فكري ، بل من أزمة في الفكر والحياة ، تحاول أن تعبر هذه الأزمة وأن تتجاوزها ، وتبدأ رحلتها بفقدان أمان الحياة اليومية ، فهذا هو أصل الفلسفة " [3]

---

[1]– سيايمون كريتشلي، الفلسفة القارية ، تر أحمد شكل ، ط1 ، 2016، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، مصر ، ص30

[2]–المرجع نفسه ، ص 20.

[3]–مجاهد عبد المنعم مجاهد ، مدخل إلى الفلسفة ، الأعمال الكاملة ، ج 19 ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، القاهرة ، (د.ط) (د.س ط) .ص 18.

" يقول كونفوشيوس :" الحكمة هي أن تعرف الناس ، والفضيلة هي أن تحب الناس " هكذا حدد كونفوشيوس منذ هذا الزمن السحيق رسالة الفلسفة ...إنها ليست بحثا في العالم بقدر ماهي بحث في الإنسان وفي وجوده وفي قدراته المعرفية وكل هذا موجه لكي يحب الإنسان الإنسان ...إنّالتأمل وحده لا يرشد إلى الحكمة، وهو بهذا يجعل الفلسفة تساؤلا ، ولهذا يستنكر قائلا :" إذا لم يسأل الإنسان دوما نفسه : ماهو الصواب فأفعله ؟ فإنّني لا أعرف حقا ما يمكن أن أفعله بالنسبة له " ويقول :" إنني أبحث عن الوحدة الشاملة وهذا هو جوهر الفلسفة "[1]

الإنسان المعاصر وحاجته إلى الفلسفة :

" ينبغي الإعتراف بأن الواقع اليومي ليس هو المجال الأوحد للنشاط الأصيل للإنسان لأنه في حقيقته ليس سوى المظهر الخارجي لهذا النشاط ، ففي الحياة مع الواقع اليومي نلاحظ أننا بصدد وعي مؤسس ،بل وعي يتوهّم أنّه يؤسس ،وهو واهم لأنه مجرد عنصر في نسق الواقع يأتمر بأمره ويخضع لقانونه. والسؤال الذي يتبادر إلى الذهن هو : هل يمكن لهذا الوعي أن يتحرر من الوهم وأن يستعيد إستقلاله الخلاّق ؟ وهل يمكنه أن يؤكد حقيقة هذا الاستقلال ؟ "[2]

إن استقلال الوعي ليس في حقيقة الأمر سوى التفلسف. فالفلسفة هي الإلتزام بالنظرة التي تتعدى الحدود وتتجاوز الملموس وتبحث في الأعماق .إذ يحلق الإنسان في آفاق تنسيه الإغتراب وتشعره بحريته ولو للحظات .ومن هنا يتبين أن القدرة على التفلسف تعني قدرة الذات على التحرر ، كما تظهر الفلسفة على أنّها كشف لجزيرة الحرية في بحر من الإغتراب .وباستطاعة هذه القدرة الفلسفية أن تضفي معقولية جديدة على الأشياء ، فتخرج

[1]– مجاهد عبد المنعم مجاهد ،مدخل إلى الفلسفة،ص33.

[2]– علي عبد المعطي محمد ، د عبد الوهاب جعفر ، من قضايا الفلسفة ومشكلاتها ، دار المعرفة الجامعية ، مصر 2003.(د ط) ص 29

بها عن مجرد عناصر تستجيب لآلية الطبيعة ، كما تخرج بالأنا من حلبة الحتمية وصراع الأضداد "[1]

" وليس للإنسان أن يمارس وعيه المستقل أو قدرته الفلسفية إلا باكتساب المعرفة الوضعية أولا كي يعرف إتجاهات الواقع الملموس ويكشف عن آلياته الأساسية ، وإلا ضاعت جهوده –بسبب الجهل في ردهات الإغتراب "[2]

" إن الذات المتفلسفة ينبغي أن تتصف بالمثابرة في طلب العلم إذا أريد لها الإستمرار في الوجود "[3]

" وإذا كانت المعرفة الوضعية تستند إلى قوانين الحتمية وتؤمن بالإستمرارية التاريخية وتعتبر الأحداث المستقبلية إمتدادا للواقع الذي نعيشه الآن ، فإن النظرة الفلسفية تتعدى نطاق الملموس ولا تزعم التنبؤ بأحداث الغد لأنها تستهدف بالدرجة الأولى تصفية الإغتراب ، ومع ذلك فيمكن القول أن هذه النظرة تحدد بنيات (أو بناءات) المستقبل إبتداء مما لديها من وعي شامل بأركان الحاضر .ولا يعني هذا التحديد أن يكون المستقبل إمتدادا للحاضر بل نتيجة لإرادة مستقلة هي التي أوجدته "[4]

" إن التفلسف ليس شيئا آخر سوى الوعي بالإغتراب ومحاولة تصفيته ، وهو دليل على عظمة الإنسان . كما نخلص إلى أن الفلسفة هي قصدية خالصة تهدف إلى وضع خطة للعمل الخلاق تحل محل التتابع الآلي .وهذا معناه : خلق مواقف جديدة وتنمية ما لدى الفرد من قدرات حرة على أرض الواقع الحتمي " [5]

---

[1]–علي عبد المعطي محمد ، د عبد الوهاب جعفر ، من قضايا الفلسفة ومشكلاتها ، دار المعرفة الجامعية ، مصر 2003.(د ط) ص 29

[2]–المرجع والمكان نفسه .

[3]–المرجع نفسه ،ص 30.

[4]–المرجع والمكان نفسه .

[5]–المرجع والمكان نفسه .

"إن مستقبل الفلسفة يتعلق "بالمعرفة ": فكثير من الباحثين ، من بين الأكثر أهمية وشهرة ، يشعرون بضرورة إعادة التأكيد على الحرية الأساسية للبحث النظري الأساسي ضدا على التوجه الراهن الذي يود أن يخضع تطوره لغايات تكنولوجية صرفة . إنّهم يدعوننا إلى إعادة اكتشاف الحجاج الفلسفي في المكان الذي لم ينقطع فيه أبدا ، في الواقع ، رغم الإنكار الوضعي ، عن أن يكون حاضرا وفاعلا : في مركز إنتاج المعارف الجديدة .فالطلاق المزعوم بين العلوم والفلسفة يظهر كخدعة إخترعتها النزعة العلموية للقرن التاسع عشر وتلاعبت بها النزعة التقنوية للقرن العشرين لصالح التقنوقراط "[1]

لذلك كانت الفلسفة "نمطا متميزا من التفكير يربط معا مسائل تتعلق بالمعرفة (العلوم والتقنيات في المقام الأول) والمدينة (السياسة والقانون) ضمن منظور شمولي يسمح بمقارنة المشكلات الدينية ومشكلات واقع الفن من زاوية التفكير النقدي "[2]

الفلسفة ونظرية التنمية :

الفلسفة ؟التطور ؟أية علاقة توحد بينهما وأي تراث يجمعهما ؟ ثمة أسباب شتى ، من طبيعة مختلفة تسوغ التسليم بوجود علاقة أساسية بينهما،"أولا لأننا نعترف ، منذ أفلاطون ، بأن الفكر ينبثق مع التناقض، وبأن مفهوم التطور هوالكاشف لمفارقة عصرنا الجوهرية : إرادة التقدم والإحتراز منه –ثم،والعكس بالعكس،لأن إشكالية التنمية هي أيضا مفتاح إدراك الحاضر والواقع ، وفي مضمونها النقدي والإيجابي ، التعبير عن ضرورة تقضي بالاعتراف برؤيا الحاضر العقلانية ، بارقة في ظلام تحديات نهاية قرن ، أو بشائر مشروع يعطي لإمكانياتنا صورة نياتنا ."[3]

---

[1]– لوكور دومينيك ، فيما تفيد الفلسفة إذن ؟ من علوم الطبيعة إلى علوم السياسة ، تر محمد هشام ، أفريقيا الشرق ،2011، المغرب (دون طبعة)،ص 10.

[2]–المرجع والمكان نفسه .

[3]–فرانسوا بيرو،فلسفة لتنمية جديدة ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، اليونسكو، بيروت ،ط1، 1983 ، ص 9.

"والفيلسوف أي دور له اليوم ؟ لا شيء سوى دور الإنسان الذي يسعى ، رغم المخاطر في مجال تكابد فيه الأفعال الأفكار تخوم الأنانيات والإيديولوجيات ، على تقدير القيمة المنيرة لجهود الفكر . إنه يحلّل المفاهيم والنظريات التي يجرّها الخطاب الإقتصادي وراءه ، هذا **هو** الجزء الذي لا يتجزأ من عمله التوضيحي ، وبخاصة من مهمته الفلسفية التي تطمح ، باهتمامها وتساؤلها ، لفرض صيغة للحق بل إلى إنارة الإتجاه وتوجيه البحوث المعرضة بوجه خاص ك: "كل معرفة وكل جهالة أو سلوك مسالك انتهازية " .لا لأن المطلوب هو فقط نقد التوجهات المتحيزة للبحوث الخاصة بالتطور : بل ينبغي أيضا وخصوصا عدم إرخاء زمام اليقظة ، لأن التطور المبتغى في كل مكان والذي تلهج به الألسنة في كل مكان يستطيع أن ينسينا بأن للطغيان دوما بشائر سعد "[1]

وسيظل رغما من كل شيء هاجسنا الأساسي هو البحث عن فعل ذي قيمة " ينبغي أن نطمح دوما إلى فعل يلهمه دوما تأمل معنى الفعل ومعنى المعرفة " [2]

ولا يمكن اعتبار كل زيادة تنمية وتقدما ، فقد تنمو أعداد الحاسب الآلي المستخدمة في قطاع من القطاعات ، كما قد تشهد بعض المناطق من العالم استخداما لأعلى التقنيات في مراكز بحوثها وجامعاتها ، ولكن ذلك لا يعني بالضرورة أن هذه المجتمعات تنمو معرفيا أو أنها تقدم إضافة ومساهمة في تطور المعرفة ، لأنها ركزت جهودها على الوسائل المساعدة في إنتاج المعرفة ،وليس في طرق إنتاجها.

" لا ينتج ارتفاع الدخل بالضرورة تحسنا مماثلا في رفاه الإنسان ، ففي المدن الكبيرة مثلا ، يكون متوسط دخل الفرد مرتفعا ، ولكن مستويات الجريمة والتلوث و ازدحام المرور تكون مرتفعة أيضا ، وفي المناطق الريفية قد ينمو دخل الأسر المعيشية الزراعية ، بينما تفتقر إلى مدرسة أو مركز صحي في القرية ، وللظروف الأساسية التي تنطلق منها البلدان

[1]–فرانسوا بيرو، فلسفة لتنمية جديدة ،(ص ص/9،10)

[2]–المرجع والمكان نفسه.

تأثيركبير على سرعة التنمية في الحاضر وفي المستقبل ،وإنما هذه الظروف هي عنصر هام وليست كل ما يهم "[1]

" **والواقع** أن علاقة الترابط بين النمو الإقتصادي والتنمية البشرية انكسرت مرات عدة ، وقد حدد تقرير التنمية البشرية لعام 1996 ستة أنواع من النمو غير المجدي هي" نمو البطالة الذي لا يولد فرص العمل ، والنمو المتوحش الذي يسهم في تعميق عدم المساواة والنمو الذي لا صوت له ، أي الذي يحرم االمجتمعات المحلية الأكثر تعرضا للمخاطر من المشاركة ، والنمو الذي لاجذور له ، الذي يرتكز على نماذج منقولة من مكان إلى آخر ، لا جذور لها في الإقتصاد المحلي ، والنمو الذي لا مستقبل له الذي يقوم على الإستغلال المفرط للموارد البيئية دون اعتبار للمستقبل "[2]

المدينة كفضاء مشترك للتعايش :

لعل التفكير في واقعة المدينة هو تفكير في المعرفة باعتبارها تجليا لعلاقات بينية تتأسس داخل فضاء مشترك خاصيته الأساسية تتمثل في الغيرية .

والغيرية هي الإمكانية المفتوحة التي تجعل من الفضاء المشترك للمدينة ممكنا ، إنها إذن قابلية للتقاسم العيش ، وتبادل الخبرة والمعرفة ، والإحساس بالمسؤولية تجاه الآخر المجاور ، ومن حيث هي قابلية لتقاسم العيش فإنها تغدو ، تعبيرا عن التلازم الضروري للحق والواجب بوصفه ضمانة للفضاء الحر للوجود ، بما هي وجود بالمعية ،ومن حيث هي قابلية تبادل الخبرة والمعرفة ، فإنها تغدو تعبيرا عن الإفادة والإستفادة التي تتأسس على الحاجة والرغبة ، الحاجة إلى إشباع النقص ، والرغبة في إنماء القدرات ، وهو ما يعني تدبير تناهي الإنسان ، لا بوصفه محدودية للآفاق ، ولكن باعتباره إمكانية لا متناهية للرغبة في أن تصير أكثر التحاما بالحياة ، إنها إمكانية لدرء العجز الأنطولوجي للكائن ، الذي يبحث من خلال الرغبة في المعرفة أي المرغومية ، إلى إبداع الوسائل والطرق ولبناء أفضل

[1]– ص67 ، تقرير التنمية الإنسانية 2003.

[2]– ص 67 ، تقرير التنمية الإنسانية 2003

العوالم الممكنة ، داخل وحشة الوجود ، ومن حيث هي قابلية لبذل المسؤولية ، فغنها تغدو تعبيرا عن القرابة ، أي عن العلاقة بالآخر التي يستحيل اختزالها داخل التطابق بجميع تلاوينه "[1]

الفلسفة طريق نحو المعرفة و الحرية وممارسة الخصوصية :

إن الفلسفة لا يكون لها وجود إلا إذا ارتبطت بالموجود ، لذلك لا يمكن أبدا فصل الحديث عن التفلسف عن الحديث عن العيش أو عن حياة الإنسان ، فهي الوحيدة القادرة على مواصلة ومتابعة سمفونية تقلباته بين الرضى والسخط ، بين الإنزياح والإرتداد ، بين الثبات والسقوط ، بين النمو والنفوق،بين التحضر والتمدن ، بين التقدم والتخلف.

" فالفلسفة كلما تتصل بالناس وتنصت إلى همومهم وتحاول فهم طرق حياتهم وتقتسم معهم زادها تكون دائما في حوزتهاحلول وآمال ، فهي التي تدافع عن حرية التفكير المطلق موضوعا وتعبيرا ، تدافع عن حرية الإبداع والقول لأنها ستضمن لنا التفكير بوجه آخر كما ستضمن لنا المناقشة العلنية الحرة بعيدا عن التزمت والتعصب وعن الفكر الواحد والتوجه الأوحد "[2]

"**إن** الأمل معقود على تلاقح كل من الفلسفة والإبستمولوجيا والتربية لتكوين "رؤية " مستنيرة تنظر للآتي البعيد ، فتراه حاضرا ماثلا للأعين .فالرؤى لعبت دوما أدوارا حاسمة في تاريخ الإنسانية .إذ للرؤى وظيفة ، ألا وهي بث الأمل في االنفوس وتعبئة الإرادات وتحرير الطاقات التي تروم إنجازها تاريخيا ...في البدء تكون الرؤية مجردة هائمة ، تمور في الوجدان ، تداعب الخيال ، وتدغدغ الخواطر ، ثم إن الرؤية تغتني فتغدو فكرة ،ثم تصورا وعندما ينضج هذا التصور يتحلق حوله جميع أولائك الذين يتحمسون لما سيكون عليه مشروع المستقبل .هكذا يغدو الحلم " البروميثي" القديم في خدمة هدف راهن أكثر سموا

[1]–عبد العزيز بو مسهولي ، مبادىء فلسفة التعايش ، أفريقيا الشرق ، الدرا البيضا ء ،(د.ط) ،2013 ، ص 135.

[2]– فتحي التريكي ، فلسفة الحياة اليومية .ص 29 .

وإلحاحا ، ألا وهو بناء مجتمعات المعرفة على المستوى العالمي لتكون منبعا لتنمية يتقاسمها الجميع "[1]

لن تتنازل الفلسفة عن دورها في الإعلاء من مكانة الحرية وعن طلبها والتدليل عليها ، فالكل يتغنى بها كمطلب ويوهم الجميع الجميع بالطرق الضامنة إلى تحقيقها"هذه الحرية التي يقوم عليها التفلسف مرتبطة ارتباطا حميما بالطابع النظري للفلسفة، فالفلسفة هي أنقى صور التأمل في الواقع وحيثما ينظر الإنسان إلى أي شيء نظرة فلسفية ، فهو في الحقيقة يسأل عنه سؤالا نظريا خالصا من كل غرض نفعي أو عملي ، وتحقيق هذا النظر الخالص مرتبط بدوره بوجود علاقة بين الإنسان والعالم علاقة خالية من كل غرض،اللّهم إلا الرغبة في معرفة ماهيته وواقعه ، ولن تتيسر له هذه النظرة حتى يكون العالم أو الواقع أو الوجود أكثر من مجرد مجال أو مادة خام لنشاطه وفاعليته ولن تكون هذه النظرة فلسفية بحق حتى تحيط بالوجود كله وتحاول أن تجربه في مجموعه وبذلك تتحقق تلك العلاقة الأصيلة التي نبعت من حرية التفلسف وجعلت الفلسفة ممكنة "[2]

إن الوجه الآخر لفعل التفلسف هو الحرية"فالفلسفة لا تستخدم بالمعنى المباشر من كلمة الإستخدام وهي كذلك لا تسمح بأن تستخدم في سبيل هدف غريب عنها لأنها هي نفسها هدف في ذاته ، إنها معرفة حرة لا معرفة "نافعة" ،هذه الحرية تفترض أن المعرفة الفلسفية لا يسوغها الاستخدام والتطبيق ، ولا تستنفذ الوظيفة الاجتماعية رسالتها، بهذا المعنى وضع القدماء الفلسفة بين الفنون العملية التي تسخر لتحقيق منفعة معينة، بل جعلوها أكثر هذه الفنون نصيبا من الحرية " [3]

---

[1]–مؤلف جماعي ،من روائع النصوص المغربية ، منشورات سلسلة المعرفة للجميع (د.ط–د.سنة الطبع) المغرب، ص116.

[2]– عبد الغفار مكاوي ،لم الفلسفة ؟ ،منشأة المعارف بالإسكندرية (د.ط) (د.س) ، ص24

ا–

إن الفعل الفلسفي تعبير جازم عن حرية الذات المفكرة، فلا مناص من التفكير بحرية في سبيل إنتاج المعرفة ، لأن الحرية شرط أساسي وجوهري في تشكل المعرفة ، ومن أحسن دراية بمقومات الحرية من الفلسفة التي تشرّح المفهوم ، وتتتبع تداعيات في الواقع المعاش وحتى في الواقع المأمول .

المبحث الثاني :يوتوبيامجتمع المعرفة :

1- لماذا يوتوبيا مجتمع المعرفة ؟

كما هو متعارف عليه أن اليوتوبيا :" ما ليس له مكان ، وهي اسم أطلقه توماس مور Thomas More(1478-1535م) على البلد الخيالي الذي وصفه في كتابه الذي يضع فيه شعبا حكيما تماما ، قويا وسعيدا، بفضل المؤسسات المثالية التي يستمتع بها "[1]

ونجد في معجم المصطلحات السياسية :" يوطوبيا ، UTOPIE، UTOPIA ، المجتمع التخيلي لسعادة الإنسان الخالية من النقائص البشرية كما يعيش الأفراد في هذا المجتمع بدون أي صراع أو تنافس بينهم وما إلى ذلك من المساوئ التي تحدث عن التفاعل البشري في كل مجتمع بشري سواء في الماضي أو في الحاضر ، وتستخدم الكلمة اليوم للدلالة على مشروع النهوض السياسي والاجتماعي الذي يهدف إلى وضع نظام لم يوجد بعد ، وكل مصلح اجتماعي يجب أن يعتمد على نموذج مثالي معين يكون أساسا لعمله كما أن تقدم المجتمع يجب أن يكون له هدف أو مثل أعلى ، ومن ثم فإن اليوتوبيا ضرورية لسير المجتمع "[2]

إلا أن ما نسعى إليه من خلال جمعنا بين مفهومي اليوتوبيا ومجتمع المعرفة في هذا المبحث، هو الحديث عن الدور الهام والأساس الذي تلعبه الفلسفة في مرحلة حرجة من الزمن المعرفيّ ذلك أن ما يميز المعرفة حاليا هو التطور والتغير المستمر الذي قد نصبح في مرحلة من مراحله عاجزين عن مواكبة تغيراته المتسارعة ، ، وربما يمكن تضمين ما نود الوصول إليه من خلال هذه الرؤية فيما ورد من معنيين في موسوعة لالاند الفلسفية حول

---

[1]- أندريه لالاند ،موسوعة لالاند الفلسفية ،تعر خليل أحمد خليل،منشورات عويدات بيروت باريس ، ط2 ،2001، ص 1516.

2-معجم المصطلحات السياسية والدولية ، انجليزي ، فرنسي ، عربي ، د . احمد زكي بدوي ، دار الكتاب المصري القاهرة ، ط 1-1989.، ص 153.

اليوتوبيا ، حيث شمل المعنى الأول :" إن الطوبى من صنيع منظرين يسعون ، بعد رصد الوقائع ومناقشتها إلى وضع نموذج يمكن أن تقارن به المجتمعات القائمة لسبر ما تتضمن من خير وشر "[1]

في حين يتناول المعنى الثاني :" في الطوبى هناك دائما عنصر اعتقاد ، عنصر أمل وعلى هذا الصعيد ، لا تكون المسألة سوى مسألة درجة ...استعمال الكلمة للدلالة على مثال يرجى تحقيقه ، ولو ناقصا ،و لوسم أحلام تعتبر مستحيلة ومضادة لطبيعة الأشياء "[2]

وكذلك يمكن للمرء أن يشير إلى ميزة مشتركة بين الفلسفة واليوتوبيا ،"تتمثل في اهتمامهما بكشف الجوهر الكامن خلف المظهر ، ومن هنا فهي تقوم بإثارة توتر بين ماهو موجود وبين ما هو حري بأن يوجد ، ومقارنة بالفلسفة ، تكتسب اليوتوبيا قوة دافعة جديدة ، لتحقيق دورها النقدي ، وعبر نقطة الأفضلية ، التي يمتزج فيها الفكر بالخيال ، تسائل اليوتوبيا ماهو مأخوذ على أنه مسلّم به وتتهيأ لمواجهة محتملات جديدة ".[3]

لذلك لازالت اليوتوبيا تحيل إلى عدة دلالات منها

"إن اليوتوبيا تشير إلى معنى متحقق أكثر ليس في اللّامكان فحسب بل أيضا في اللّازمان ، ومن هنا فإن اليوتوبيا مرغوبة ، لأنها على المستوى الخيالي تفترض وجود اختلافات وإمكانية الانسجام بينها ، وهي أيضا مرغوبة ، لأنها على المستوى الواقعي توجه الحس النقدي لدى الإنسان ، نحو الانفتاح لما هو مختلف وآخر ، إن اليوتوبيا تنتمي إلى الرغبة الإنسانية في الحفاظ على الحياة ، لجعلها ذات معنى ولتأمين الكرامة الإنسانية "[4]

وترتبط اليوتوبيا ارتباطا واضحا بالمستقبل وتدعو إليه ذلك أن" قدر الطوبائيين هو رؤية المستقبل لا الماضي أو الحاضر، رؤية التقدم في الزمان باللعب بالزمان ... إن اليوطوبيا

---

[1]-أندري لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية،(ص ص/ 15-16).

[2]. -المرجع والمكان نفسه.

[3]-كامل شياع ، اليوتوبيا معيارا نقديا ، تر سهيل نجم ، دار المدى للثقافة والنشر ، بيروت ، ط1- 2012.ص 145

[4]- المرجع نفسه، ص 146.

مستقبلية، لكن ليست مستقبلية مارينتي (MARINTI) الإيطالي: التي تتغزل بحب المغامرة وتحبذ العدوانية والأرق المسعور، فهذا النوع من المستقبلية يعوق بناء الإنسان، وذلك لأنها تتطلب تحويل هذا الأخير، حتى يتكيف مع عالم التكنولوجيا والآلات، عكس ما تطمح اليوطوبيا لتحققه وهو جعل الآلات أي مجال التكنولوجيا والعالم المأتم (AUTOMATE) مؤنسنا بالقدر الذي يبقى معه الإنسان إنسانا "[1] ، وليست كل اليوتوبيات قابلة للتحقيق والتجسد ولو على مستوى الذهن " فاليوتوبيا تجهض نفسها عندما لا تفكر في تحقيق أشياء جديدة ، وما هو التاريخ إن لم يكن ميدان الأشياء الجديدة وسجل الإحتجاجات"[2]

2-الحلم بين الأمل واليوتوبيا :

الأمل ، الحلم ، اليوتوبيا كل هذه المفاهيم قد تختلف عن بعضها البعض ، لكنها أبدا لا يمكنها أن تختلف في الدلالة على المجهول الذي سيأتي ،و الذي لم يتشكّل بعد إلا في الأذهان ، "فاليوتوبية هي في الأساس فلسفة أمل ، وتتسم بتحويل أمل عام إلى وصف لمجتمع غير موجود ....إن الأمل ضروري لأي محاولة لتغيير المجتمع إلى الأفضل ، لكن هذا يطرح احتمال أن يحاول أحدهم فرض فكرته عن المستقبل المرغوب على الآخرين الذين يرفضونها . ودائما ما يواجه اليوتوبيون هذه المعضلة عندما يحاولون نقل حلمهم إلى أرض الواقع ، هل حلمهم متوافق مع فكرة فرضه على الآخرين ؟ وهل يمكن أن تتحقق الحرية من خلال اللاّحرية ؟ أو المساواة من خلال اللامّساواة ؟"[3]

إن الحلم يرتبط في أغلب الأحيان بالخيال وقد لا يتحقق أبدا ، إلا أنه يبقى هاجسا وأملا يعبر عن تطلعات الإنسان والمجتمع ككل لغد أفضل ، ولمستقبل واعد ، ينعم فيه أفراده

---

[1]- محمد علي الكبسي ، اليوتوبيا والتراث ، دار الفرقد للطباعة والنشر والتوزيع ، سورية ، ط1، 2008.ص 46 .

[2]- المرجع نفسه ،ص 28.

[3]- لايمان تاور سارجنت ،اليوتوبية، مقدمة قصيرة جدا، تر ضياء ورّاد ،مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ط 1، 2016،ص16 .

بالرفاهية والعدل والمؤاخاة "فالعقل الإنساني مطبوع على أن يتم بخياله ما يراه ناقصافي الحقائق الواقعة حوله ،ومهما قيدنا العقل ، ومنعناه من التفكير فيما يهوى ، فإنه ينفلت منّا ، ولو وقت النوم ، فيعوضنا من نقصنا الحقيقي كمالا متوهما "[1]

فلاغرابة إذا ما قررنا أن نسم الحلم بالأمل ،ذلك أنه لا يوجد ولا يظهر إلا في حالات اليأس والقنوط ، إلا في حالات الإنهيار واقتراب الزوال ، إننا لا نحلم إلا إذا كابدنا وتحملنا مشاق الحياة ومرارة المحاولات الفاشلة ، وظروف الحياة القاسية ، إننا نحلم حتى نستطيع أن نستمر، إننا نحلم حتى تزيد فرصة نجاتنا ، إننا نحلم حتى تتقوى مناعتنا ونستطيع أن نقاوم ، إننا نحلم لأننا نأمل وكذلك نؤمن بالأحسن والأروع والأجمل قادما . "لقد جرت العادة أن تقترن الحياة بالأمل مثلما أن العكس صحيح إلى درجة أن النقيض بمعنى اليأس صار رديفا للموت ، وهكذا فإن التأمل ليس مرادفا للحياة فحسب وإنما هو الحياة نفسها ، هنا ينبغي التذكير بأن كل فلسفة إذا لم تحمل ضمن مبادئها أملا فإن مصيرها في المستوى الاجتماعي سواء بالنسبة لمجتمع ما أو بالنسبة للدولة أو للأمة بل هو أهم حينما يتعلق الأمر بالإنسانية جميعها "[2]

" كل منا يعيش في عالمين : عالم الواقع ، وهو أبدا ناقص ، وعالم الخيال وهو أبدا كامل ، على النحو الذي نفهم به معنى الكمال ، فإذا آلمتنا الحقيقة لجأنا إلى الحياة ، أو بعبارة أخرى إذا رأينا الواقع خارجنا ناقصا مختلا مؤلما فررنا منه إلى الخيال داخل أذهاننا ، فاعتضنا من الحقيقة حلما "[3]

فلا يمكن لمجتمع المعرفة أن يتجسد دون أن يكون فكرة أو تصورا ، أو حلما يراود ليس فئة معينة من المجتمع ، بل المجتمع ككل ، والأهم من ذلك كله أن يراود الإرادة أو السلطة السياسية ، فليس للنخبة أو للمثقف الدور الوحيد في تسهيل الولوج لهذا الطريق ، ذلك أن

[1]– سلامة موسى، أحلام الفلاسفة ص 5.

[2]– يتشارد ر رورتي، ص 250

[3]–المرجع السابق ، ص 6.

مفردة المعرفة تتجاوز العلمي والتقني ، لتشمل حتى مفردات الأمثال والحكم والممارسات الشعبية من عادات وتقاليد.فالتنظير للمستقبل مهمة يتولاها الجميع ، ويتأثر بها الجميع لأننا في مرحلة معينة سنغدو جميعا فاعلين كما يقول علي حرب ، سواء كنا فاعلين إيجابيين أو سلبيين ، لأننا بطريقة أو بأخرى نساهم في تشكيل صورة المستقبل الذي سنحياه جميعا ، وكما نوّه إلى ذلك كارل بوبر في كتابه درس القرن العشرين :"المستقبل مفتوح ومتعلق بنا جميعا ، إنه متعلق بما تفعله وأفعله ويفعله غيرنا من الناس ، اليوم وغدا وبعد الغد ، وما تفعله وما سنفعله متصل هو الآخر بفكرنا ورغباتنا وآمالنا وتخوفاتنا ، بتعبير آخر فإنه متصل برؤيتنا للعالم وبحكمنا وتقديرنا للإمكانيات الكبيرة والواسعة والمفتوحة التي يحملها لنا المستقبل "[1]

وهل تحلم الشعوب ؟

": إن الشعوب تحلم كما يحلم الأفراد ،فكتاب ألف ليلة وليلة مثلا ليس سوى مجموعة من الأحلام الشعبية ، وهي بصفة خاصة أحلام الفقراء الذين يجوعون إلى المرأة الجميلة والقصر الفخم والطعام اللذيذ، والمظنّون أن عقيدة " المنقذ الإلاهي " ليست سوى حلم راود الشعوب القديمة في بعض مراحل تاريخها ، فالشعوب حين تتألم من ظلم حكامها ، ثم تشعر بالعجز عن إزاحة ذلك الظلم الواقع عليها ، تأخذ باعتناق عقيدة الإنقاذ الإلاهي "[2]

فأن نحلم يعني أن نفكر، أن ننظر، أن نؤسس لرؤى ، أن ننتج تصورات وأفكارا عن الحال التي يمكن أن نكون فيها أحسن تعليما ، وأكثر أمانا ، وأرقى وأسمى مما نحن عليه اليوم . "لقد جرت العادة أن تقترن الحياة بالأمل مثلما أن العكس صحيح إلى درجة أن النقيض بمعنى اليأس صار رديفا للموت ، وهكذا فإن التأمل ليس مرادفا للحياة فحسب وإنما هو الحياة نفسها ، هنا ينبغي التذكير بأن كل فلسفة إذا لم تحمل ضمن مبادئها أملا فإن

[1]–بوبر كارل ، درس القرن العشرين ،ص 103

[2]–علي الوردي ،الأحلام بين العلم والعقيدة ،ص 80

مصيرها في المستوى الاجتماعي سواء بالنسبة لمجتمع ما أو بالنسبة للدولة أو للأمة بل هو أهم حينما يتعلق الأمر بالإنسانية جميعها"[1]

ومن خلال الفحص النظري والتمحيص يتجلى لنا أن الحلم بمجتمع معرفة عربي هو في الأساس فلسفة للأمل ، ترفع الهمم وتدفع للبحث والعمل ، عوضا أن تكون نظرة تشاؤمية تكبح الإرادة الشعبية والسياسية من أجل التغيير .

ونجد هذه الفلسفة لدى الكثير من المنظرين والفلاسفة والمفكرين الذين دأبوا البحث في فلسفة المستقبل ، وفي محاولة استجلاء ملامحها ،وذلك بالنظر إلى مخلفات الفكر الإنساني ونجد منهم على سبيل الذكر لا الحصر روجيه غارودي (1913-2012) Roger Garaudy).الذي تبنى مشروع الأمل حيث يقول في ذلك :"إن هذا الكتاب مشروع ،أي بدء عمل ، وهو لا يزعم أنه يحمل وصفة معجزة لصنع مجتمع المستقبل ، إنه يدعو إلى تأمل أساسي في مبادىء مجتمعاتنا نفسها ،وفي الأسباب التي من أجلها قادتنا هذه المباديء إلى طريق مسدود وهذا المشروع المضاد-مشروع الأمل-قابل للتحقيق ، إنه ممكن بين ممكنات أخرى ، وهو يطمع في دعوة كل فريق وكل فرد إلى إضافة إسهامه النقدي والمبدع في وضع مشروع جديد للحضارة وفي تحقيقه"[2]

حيث يرى غارودي في هذا الكتاب أن الحضارة أصبحت تفتقر للبعد الإنساني ،فهي تعاني من أزمة ذات بعد إنساني بالأساس ، لذلك يطرح هذا المشروع والمتمثل في أنسنة الحضارة كبديل لتجاوز الأزمة ."النمو هو إلاه قاس ،إنه يتطلب ضحايا بشرية ، واليوم يثقل علينا لونا من القلق والضيق ، لم يثقل قط على البشر طوال تاريخهم ، هو قلق بقاء الكرة الأرضية وبقاء الذين يسكنونها "[3]

---

[1]- ريتشارد رورتي، مرآة الفلسفة ،ص 250.

[2]-روجيه غارودي ، مشروع الأمل ،دار الآداب بيروت ، ط1، 1977 ، (ص ص /143،142)

[3]-المصدر نفسه ،5

لا يكف الإنسان والعربي بالذات والمهمّش على قارعة الحضارة أن يولّد صورا وإرهاصات وتطلعات لغد أفضل ، وذلك بالنظر إلى الوضع الدامي والمتأزم العالمي والعربي خاصة ، فأن نفكر في المستقبل فذاك معناه أن نمد أجسادنا وحتى عقولنا بحقنة مخدرة نستطيع أن نتجاوز بها الألم ، نستطيع من خلالها أن نبصر ونعي دون أن نتنبه لأوجاع وأعطال الحداثة ذلك كما قال علي الوردي : "الأحلام تشبه صمام الأمان الذي يوضع في المراجل البخارية لكي يحميها من الإنفجار "[1]

فالأحلام هي المتنفس الذي ينسي الشعوب المكلومة مرارة العيش وقساوة الحياة واستبداد الحكام وضياع الأمل ....

وهل يحلم الفلاسفة ؟:

كثيرا ما يرتبط اسم أو صفة الفيلسوف بأنه ذلك الشخص الذي يهوم على وجهه في الحياة ولأنه شخص لا يحلم كما يحلم باقي البشر ، وأنّه يحلم في وضح النهار ،وهنا نستحضر كتاب "أحلام اليقظة " هذا المؤلف الذي ذاع صيته والذي كتبه روسو **Jean-Jacques Rousseau**(1712-1778) في أواخر حياته ، حيث كان هذا الأخير :" ينسخ الموسيقى وكان يكتب وكان يربط الأوراق بشرائط جميلة وكان يرتب النباتات بعناية كان يحيا بحواسه ولكنه الآن في أخريات العمر أصبح يعيش على لون جديد من الحياة لم يمارسه في عمق من قبل وإن اعتاده ... بدأ يحس إحساسا قويا بالأصوات الرائعة والسماء الجميلة والريف البديع والبحيرات الفاتنة والأزهار والعطور والعيون الساحرة والنظرات الحلوة البريئة ، إنه لا يزال يذكر زوايا مماثلة من ماضيه البعيد ... تنتابه الحسرة أحيانا على فواتها ويشده الألم أحيانا أخرى لأنه لم ينهل منها بقدر ما يطيق أو لأنه لم يدركها إلاّ بعد فوات الأوان .."[2]، وإنك لتقرأ عن روسو وكيف يتخبط بين ذكرياته وآماله وآلامه ونستحضر في

[1]- علي الوردي، الأحلام بين العلم والعقيدة، ص 76

[2]-جون جاك روسو ، أحلام يقظة جوال منفرد ،تر ثريا توفيق ، المركز القومي للترجمة ، القاهرة ، ط2 ، 2009، ص 36.

المقابل صورة الوطن العربي من التردي والتخلف إلى النهضة والتقدم بما يزخر به من طاقات بشرية وطبيعية ، وبما تجرّعه من مآس وحروب ومساومات وانتهاكات ....

" لقد كان يلذ لروسو أن يستمد من آلامه متعة وكان يردد أنه يعيش حقا في "أيام الإضطراب والقلق" ، إن أشد الساعات ألما تحل في النفس أعمق الآثار ومع الزمن تغدو ذكراها وهي تحمل فرحا لاذعا ...وتعاسة مع ذلك "[1] إلا أن التعاسة يخلفها أمل حيث عاد روسو" يمسك القلم ويعاود الكتابة دون أن يكترث بالناس ودون أن يهتم بما يدبرون بعد أن اعتزلهم إلى عالم هو عالمه وحده لأنه من خلقه ..فسطر بذلك صفحات رائعة في موضوع جديد يتفق أولا ومزاجه الطبيعي ويعد أخيرا خيرة انتاجه قاطبة "ـ[2].

إنه كان يصنع في أحلام اليقظة عالما آخر ، مختلفا تماما عن العالم الذي عاشه ، كان يرسم لنفسه حلما ، إنه كان شخصا ... يحلم

" لقد جهد روسو أن يهرب من مخاوف الإضطهاد وقد نجح إلى حد كبير فغدت له بعد ذلك سذاجة الأطفال وبراءة مباهجهم ..كان ميالا بفطرته إلى العزلة فطغى هذا الميل على نفسه حتى غدا غير صالح للحياة في المجتمع ... بل إن مخالطة الناس أضحت بالنسبة إليه شيئا كريها حرمه أحلى المتع وهي التأمل في الطبيعة والإنفراد "ـ[3]

فجميع الناس تبحث عن الراحة النفسية إلا الفيلسوف فهو الذي يدمر تلك الراحة ذلك أن من ميزات الفلسفة أنها وقحة مقلقة ، لا تحبو إلى الركون والسكون بل على العكس من ذلك إنها تتجه نحو الصخب والفوضى وإثارة المشاكل .

" الفيلسوف إنه وحده الذي يرفض المقدسات والمسلمات ويصرّ على مواجهة المأساة برمتها ..ويصر على البقاء في المعبد ..في حين أن أعمدته وأصنامه وكلماته تنهار وتتحطم على رأسه ..يرفض أن يلوذ بخرافة أو كذبة ..ليستريح .إن شهوة الحقيقة عنده أقوى من شهوة

---

[1]– المصدر السابق ،ص37.

[2]–المصدر والمكان نفسه.

[3]–المصدر نفسه ، ص 33.

الإيمان بصنم ..وألم الشك عنده أرحم من ألم التزييف والتضليل .إنه لا يستطيع أن يضلل نفسه ولا يملك إلا أن يقف بين المتناقضات يتمزق ..باحثا عن حل مخلص من خلال محنته "[1]، ولعله ليس الوحيد في ذلك ، إنما يشاركه في تلك الميزة كل من امتهن النظر والتفكر والتدبّر.

" فالفيلسوف والعالم والأديب كلهم يتخيل ويحلم ، وهم أكثر خيالا وحلما إذا اضطربت أحوال المعيشة وتنافر الخيال المشتهى مع الواقع الحتم ، ونحن في كل أزمة تقع ، أو نكبة تلم بنا ، تجدنا إزاء ثلاثة حلول لنا أن نختار منها واحدا ، فإما أن نفرّ ، كما يفعل الناسك ، يزهد في الحياة فيلجأ إلى صومعته مهزولا كالأسد الجريح يذهب إلى مغارته ، وإمّا أن نكافح مدافعين ، وهذا ما يفعله معظمنا ، وإما أن نهاجم ، وهذا ما يفعله الأديب أو العالم أو الفيلسوف ، فهو لا يفرّ وهو أيضا لا يكتفي بالمكافحة ، وإنما يتخيل وسطا يجعله بديلا من هذا الوسط الحقيقي ، فيهاجمه به ، ويدعو الناس إلى حلمه حتى يستبدلوا بحقائقهم خياله ، ولكل إنسان مزاج خاص ، ولكن أمزجة الناس متداخلة ، فليس فينا من لا يفكر في الفرار بعض الأحيان "[2]

فالفيلسوف ومن إليه من المفكرين ، يختلفون عن الكاهن المصري القديم ، الذي يمثل أحلام سواد الأمة من حيث أنهم لا يجعلون ميدان حلمهم في العالم الثاني ، فإن همومهم الذهنية مقصورة على هذا العالم ، "والناس على الأرض لا الملائكة في السماء هم موضوع كلامهم وخيالهم ، فهم يرون من الخبط والخلط في الهيئة الإجتماعية ومن الظلم والإسراف في معاملات الناس ، ما يحثهم على اختراع نظام أوفى يضمن لهم أكمل ما يتوهمون من صور العدالة والصحة والعمار ، فهم يحلمون لنا ونحن أحياء على هذه الأرض ولا يبالون بنا بعد موتنا ، لأن الحياة لا الموت هي موضوع تفكيرهم وغاية نظرهم في الإصلاح ولا

[1]– مصطفى محمود ، الأحلام،ص 7.

[2]– سلامة موسى ، أحلام الفلاسفة ،ص7.

ننس أن كل إصلاح حدث في الماضي أو سيحدث في المستقبل إنما هو حلم من أحلام أحد المفكرين "[1]

، وقد يختلف الكثيرون حوله :" المؤمنون يقولون عنه أنه ملحد ...ولكنه ليس ملحدا ..وإنما هو مؤمن على مستوى أرفع من إيمانهم ..شهوته أرقى من شهوتهم ..وهدفه أبعد من أهدافهم ..والثمن الذي يدفعه أبهظ من كل الأثمان التي يدفعونها ..إنه يسكن في أرض الزلازل ليعرف حقيقتها ..ويقضي عمره يرتجف ..والأرض من تحته تنشق مرة بعد أخرى ..وكلما خيل إليه أنه وصل إلى حقيقة ثابتة انشقت الأرض عن هوة تحتها ...لا يصدّه عن غايته خوف ولا طمع[2] فإذا كان السكون والطمأنينة هي من خواص الدين ، فإن الفلسفة مربكة ، مقلقة ، مفزعة، لا تقبل الرتابة والسكون ، وذلك يكون حال الفيلسوف أيضا

" الموت أو الجنون هو الذي لا يمكن أن يعفيه ..إن الفيلسوف هو الفدائي الذي يطهّر المستقبل من الألغام الفكرية التي وضعها المفكرون القدامى فيه ..هو الذي يرفع التقاليد من مكانها ..وهو الذي يحطّم الأفكار الجاهزة ليضع أفكارا جديدة ، وكل لغم من الألغام ينفجر في عقله وينفجر معه غضب الناس وسخطهم واضطهادهم ..ولكنه يمضي في طريقه لا يهتم ..وربما قاده الطريق إلى الصلب أو المشنقة ..أو المحرقة ..أو السجن ولكنه لا يبالي ..لأنه أدرك الحقيقة الكبرى ..أن الفناء في جوهره ..وأنه ميت لا محالة ..بل هو ميت من الآن يدبّ على ساقين ..فليقل كلمته وليتحطم ليقلها في وجه الناس ..إنه الناطق الرسمي باسم الفطرة ..ولهذا فهو يكرّس حياته للبحث عن الحقيقة وللبحث عن إيمان سليم ..فهذه هي فطرة الإنسان كما خلقها خالقها .لقد فطرها على البحث عن الحق والإيمان به وقال لنا في جميع كتبه إنه ..الحق ..ولهذا كانت كل خطوة في سبيل معرفة الحق هي عبادة ..وهي دين .، وهي علم ..وهي الفكر كما أراد له الله أن يكون[3]

---

[1]– سلامة موسى ،أحلام الفلاسفة، (ص ص/8،7)

[2]– مصطفى محمود ،الأحلام ،دار المعارف ، القاهرة،ص 7

[3]–المرجع نفسه ،ص 8.

إن الأحلام هي صورة بارزة عن ذواتنا ورغباتنا وعن الوجه الخفي فينا .

" وكل أسرار قلوبنا ووجداننا غير قابلة للإندثار ، كل ما في الأمر أنها تنطمس تحت سطح الوعي ، وتتراكم في عقلنا الباطن لتظهر مرة أخرى في أشكال جديدة .في زلّة لسان أو نوبة غضب أو حلم غريب ذات ليلة .وما الأحلام إلا الحياة التي تدبّ في هذه العواطف التي ظننّا أننا نسيناها "[1] والأحلام جزء من هوياتنا، إنها جزء معقد من تركيب عقولنا ومن ذكرياتنا عن ذواتنا وعن العالم بأسره.

"لأن مضمون الأحلام تصنعه الذاكرة ...وشكل الأحلام تصنعه الحواس .. تماما كما يحدث في اليقظة ..الشكل الذي نراه في الواقع تصنعه الحواس وفكرتنا عن هذا الشكل تصنعها الذاكرة "[2]

يقول جون فرانسوا ليوطار في كتابه لماذا نتتفلسف؟ :" أن نتتفلسف ليس معناه أن نرغب في الحكمة بل أن نرغب في الرغبة ذاتها "[3]

كما يضيف أيضا أن :" الفلسفة ليست في الواقع سوى مساءلة الأشياء "[4] وبيم الفلسفة والرغبة اتصال " وفي تقديري أن محايثة التفلسف للرغبة تظهر مع أصل الكلمة إذا أخذنا بعين الإعتبار جذر كلمة " صوفيا" sophia ، فالجذر soph هو نفسه الجذر اللاتيني sap و saper ، والجذر الفرنسي savoir وsavourer ، وكلمة صوفون sophon تعني الشخص الذي يجيد الذوق savourer، والذوق يفترض أيضا تذوق الشيء بدل إقصائه عنا، وإننا لا نمانع تأثير الشيء فينا بل نتلبّس به ونقصيه عنّا في نفس الوقت حتى يتسنى

[1]– مصطفى محمود، الأحلام ، ص13 .

[2]– المرجع نفسه ،ص 16.

[3]– ليوتار جون فرانسوا ،لماذا نتفلسف ؟، تر يوسف السهيلي ،دار التنوير للطباعة والنشر ،تونس ،ص 40.

[4]–المصدر نفسه ،ص43.

لنا البوح به والحكم عليه بواسطة العقل ، إنّنا نحتفظ به في هذا الخارج الذي يوجد في الداخل ونعني بها الفم الذي يعتبر هو أيضا موضع الكلام "[1] وبين القول والإصغاء فإن " الفلسفات السابقة ليست لاغية بما أننا ما نزال بعد في وضع الإصغاء إليها والجواب عن أسئلتها....لأنالتفلسف يمكن أن يتملّكنا من أي صوب "[2] ذلك أننا " نتفلسف لأننا نرغب "[3] يقول هيغل "عندما تتلاشى القوة الموحدة لحياة البشر وتفقد التناقضات علاقاتها وتفاعلاتها الحية وتحصل على استقلالها الذاتي تنشأ إذن الحاجة إلى الفلسفة "[4]

بعد ما يقرب من أربعة قرون عن تقديم فرانسيس بيكون(1561-1626) Francis Baconلنموذج المدينة العلمية القائمة على المعرفة " أطلنطس الجديدة " لا يتهاون مسودا الياباني عن الحديث عن شكل جديد من المجتمعات العلمية القائمة على المعلومة والمعرفة وعلى أهم انجازاتهما وهو الكمبيوتر " مبشرا بمدينة فاضلة جديدة ، أو " كمبيوتوبيا مجتمع المعلومات " ، وخلاصة نبوءته أن المجتمعات ستتغير تغيرا جذريا " حميدا" يتم بصورة متدرجة ومنهجية دون صراع أو نزاع سواء بين المؤسسات أو الأفراد أو بين بعضهم البعض "وسيتحقق هذا التناغم الاجتماعي بفعل الابتكارات التكنولوجية ، وقدرة المجتمعات على إعادة صياغة العلاقات بين الأفراد والجماعات والمؤسسات ، وستزداد سيطرة الإنسان على مقدرات حياته حيث ستتيح له النظم المعلوماتية المتقدمة وسائل عملية لتوقع المستقبل وتجنب الآثار السلبية للعوامل الخارجية وشحذ قدراته وتوجيهها لتحقيق الغايات الشخصية التي وضعها لنفسه مسبقا ، مجتمع بلا نخبة ، لا طبقي ، يحل فيه التعاون بدلا من التنافس

---

[1]- المصدر السابق ،44.

[2]-المصدر نفسه ،ص 42.

[3]- المصدر نفسه ،ص45 .

[4]- المصدر نفسه ، ص 49.

والتناحر ، يعمل فيه البشر تحت تأثير الدوافع الذاتية وروح المشاركة بدلا من أساليب السيطرة الإدارية والسياسية "[1]

لماذا نسم مجتمع المعرفة باليوتوبيا؟ ، ولماذا حلم إقامة مجتمع المعرفة وليس السعي لإقامة مجتمع معرفة عربي ؟ كثيرة هي الأسئلة التي قد تختلج ذهن القارئ لعنوان الأطروحة

فهل يمكن أن نتماشى مع آمال وأحلام الجنس البشري في عصر المعلومات وسيطرة التكنولوجيا ، أنه في يوم من الأيام ستصبح المعلومات والمعارف للجميع ، وأنه سيصبح في يوم من الأيام التعلم حق ومجاني للجميع ؟ " فهل نصدّق السياسي ونرتكن إلى تصور بعض أصحاب النظرة المتفائلة في أن " التكنولوجيات كالماء والهواء " لا تقبل الاحتكار ومادامت هي حصيلة تراكم النشاط البشري على مدى العصور، فمن حق الجميع أن يستفيد من نتائجها أن نقلق مع الفيلسوف الذي ينذرنا بأن عصر المعلومات ما هو إلّا مرحلة جديدة من مراحل الصراع العالمي ، ومع كون تكنولوجيا المعلومات هي وسيلتنا للسيطرة على الظواهر المعقدة وحل المشاكل ، إلا أنها ذاتها قد أضافت بعدا جديدا يزيد معظم ظواهر حياتنا تعقيدا ، ويولد لنا مشاكل جديدة لم تكن في الحسبان "[2]

إن السير في طريق بناء مجتمع المعرفة هو السير تبعا لأمل ترفعه مجموعة من الهمم ، وهذا ما نجده واضحا وجليّا في الفصل التاسع والأخير من تقرير التنمية الإنسانية العربية 2003 والذي يتراوح بين صفحتين متتاليتين بين اليأس والتخوف وكذلك الأمل ، إذ ورد في الصفحة الواحد والستون بعد المائة :" نخشى أن يؤدي دوام الإتجاهات الراهنة إلى تهميش دور المعرفة في المجتمعات العربية بما ينطوي عليه من استمرار تدني الرّفاه الإنساني في الوطن العربي ، ويقلل من فرص بناء التنمية الإنسانية في ربوعه ، هذا على حين يتحول العالم المتقدم إلى مجتمعات كثيفة المعرفة ، إنتاجا واستهلاكا ، مما قد يمكن لبعضها أن يستغل تفوقه المعرفي في فرض هيمنة من نوع جديد ، خيوطها حريرية ولكن قبضتها فولاذية

[1]– نبيل علي ،العرب وعصر المعلومات ،ص 25.

[2]– المرجع نفسه ،ص23.

" ويضيف قائلا :"وعليه فإن النتيجة المنطقية لإستمرار غياب المعرفة عن الوطن العربي ليست أقل من كارثية ،النتيجة المتوقعة هي استمرار العرب في موقع هامشي من تاريخ البشرية القادم ، هذا الموقع قد يكون عاقبة منطقية لانحطاط دام سبعة قرون بينما القطاعات المتقدمة من البشرية ترتقي معارج مطردة الرقي من إنتاج المعرفة والتنعم الإنساني ، غير أن مثل هذا الموقع لا يفي بحمل المطامح المشروعة للشعب العربي في وجود كريم ومقتدر في الألفية الثالثة "[1].هذا عن نبرة اليأس والتخوف من المستقبل القادم ،أما عن نبرة الأمل والاستبشار بمستقبل العرب فنلمسه في الصفحة الموالية :"ولن نملّ من تكرار أن فرصة أي بلد عربي ، أيّا كان ، في الفوز منفردا في " حرب المعرفة "هذه تكاد تكون منعدمة ، وإنّما يمر درب الفوز عبر تعاون عربي متين يستهدف الوحدة على صورة " منطقة مواطنة عربية حرة " ...يفضي تمتين التعاون العربي إلى تعظيم القدرة التفاوضية لجميع العرب في المعترك العالمي بما ييسر الإستفادة من فرص العولمة في اكتساب المعرفة ويساعد على توقي مخاطر احتكار المعرفة من قبل منتجيها ، من هذا المنطلق فإن إقامة مجتمع المعرفة في عموم الوطن العربي هي سبيل العرب للوجود الكريم ، من موقع قدرة ومنعة ، في عالم الألفية الثالثة "[2]

االيوتوبيا باعتبارها عملا ثوريا :

تولد اليوتوبيا من رحم الأزمات والنكبات لتشحذ الهمم ، وتكون بداية لثورة العقل الذي يرفض الرضوخ والقبول لدناءة الأوضاع ولسوء المصير.

"لقد كان الكتاب اليوتوبيون ثوريين عندما دافعوا عن مشاعية السّلع في وقت كانت تعد فيه الملكية الخاصة مقدسة ، وعن حق كل فرد في الحصول على لقمة العيش في وقت كان يشنق فيه الشحاذون ، وكانوا ثوريين عندما دافعوا عن المساواة بين الرجل والمرأة في عصور كانت تعتبر فيها المرأة أفضل قليلا من العبيد ، وعن كرامة العمل اليدوي الذي كان ينظر

[1]– ، برنامج الأمم المتحدة الإنمائي ، تقرير التنمية الإنسانية العربية 2003، نحو إقامة مجتمع المعرفة ، ص 161.

[2]– المرجع نفسه ،ص162.

إليه على أنّه عمل مهين أو مخز، وعن حق كل طفل في طفولة سعيدة وتعليم جيد ، بعد أن كان ذلك الحق مقصورا على أبناء النبلاء والأغنياء ، كل هذا ساهم في جعل كلمة يوتوبيامرادفة للسعادة أو مرتبطة بها ، وجعلها شكلا اجتماعيا مرغوبا فيه ، وفي هذا المقام تمثل اليوتوبيا حلم الجنس البشري بالسعادة واشتياقه الخفي للعصر الذهبي ، أو لجنته المفقودة "[1]

ولعل أهم ما تتسم به الدولة المثلى (يوتوبيا) من سمات العمل الذي يخلده الزمان "هو أنّها ترتبط بأحلام الإنسان وبواقعه على حدّ سواء ، فإن ما تعالجه من قضايا سياسية واجتماعية ليست وقفا على عصر معين أو مكان بالذات ، ولكنها قضايا إنسانية عامة قد تتخذ أشكالا مختلفة في العصور المتعاقبة ، ومن هنا ظلّت الدولة المثلى (يوتوبيا) عملا حيا "[2]

والحلم ربما يعد ركيزة أساسية لانطلاقة أي فكرة نحو واقع أفضل ،"ولكن الخوف هو أن تبقى هذه الأفكار مجرد حلم والحلم يبقى مجرد حلم "[3]

ذلك أن " الفلسفة ليست مطارحات فكرية وأسئلة نقدية فقط ، بل يوتوبيا ، أي عبارة عن التنظير وطرح البديل لما هو موجود في الحياة السياسية والاجتماعية ، بتعبير آخر : إن الفلسفة تطرح أسئلة نقدية من خلال عرض وابتكار احتمالات جديدة وغير مجربة سلفا على أرض الواقع ، لأن طرح الاحتمالات الجديدة من الناحية النظرية ، جديرة بالذكر والامتحان ، أمّا من الناحية العملية فإن اليوتوبيا تعني الانفتاح فكريا على ما سيكون في المستقبل "[4]

وبين الحاضر وإخفاقاته تسعى اليوتوبيا لتجاوز الأوضاع الصعبة ، لكن ذلك لا يعني أن ليس لها ارتباطا بالماضي لأن :

---

[1]– ماريا لويزا بنيري،المدينة الفاضلة عبر التاريخ ،تر عطيات أبو السعود ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، رقم 225، 1997،(د،ط) ، الكويت ،(ص ص/16–17)

[2]– عامر عبد زيد الوائلي وآخرون، اليوتوبيا والفلسفة الواقع اللاّمتحقق وسعادات التحقق، ، منشورات ضفاف ، لبنان ،ط1–2014.ص57.

[3]– المرجع نفسه ،ص221.

[4]– المرجع نفسه ،ص 175.

" إن الجذور الفلسفية للفكر اليوتوبي ترجع إلى محدودية الواقع ، بمعنى أنه نابع من ضيق الأفق الحياتي ، والوجودي للإنسان مع القصور الذاتي للطاقات البشرية لكونها محدودة ، حيث ليس بإمكان الإنسان نيل كل ما يريده ويتوقعه في الوجود على وجه الكمال ، من هنا نعني بالمحدودية الموضوعية : العوامل الطبيعية كالبيئة الجغرافية والوجودية التي تعرقل الإنسان على الحصول عمّا يريده أو يتمنّاه ، كما أن المحدودية الذاتية تعني محدودية المواهب والقدرات البشرية في تحقيق آمالها ، فالإنسان يحاول تخطي الطوق الزماني والمكاني والأنطولوجي –الوجودي "[1] لأننا قد نرهن أقدارنا بفكرة الوجود كما وجد ، في حين أن قدرنا مرهون بفهم واستيعاب حقيقة هذا الوجود.

" من هنا يأتي جوهر فكرة اليوتوبيا كرد فعل فكري وللخروج عن الواقع القائم "المظلم " ، أي الإختراق الكلي للوجود ونفي هيمنته الأبدية وشبه الحتمية على مصير الإنسان وإيقاظ للإرادة الحرة لدى الإنسان لأجل التحول "[2] وكما أن الوجود وسيلة للفهم والتعقل ، قد يكون أيضا عائقا حيث يمكن القول أن :"الوجود كان ولا يزال العائق الأساسي للإنطلاق الفكري والإبداعي للسبب الآتي : أن الطبيعة الإنسانية المحدودة كنتيجة حتمية للموت وانتهاء الحياة عامل نفسي هدّام ، إذن اليوتوبيا نفي الموجود والتفكير بما يمكن أن يتواجد أو أن يوجد ، ومن الناحية الثانية ، إن فكرة النفي ناتجة عن عدم رضا الإنسان وارتياحه لما هو موجود ، أيضا تعني عدم الاستسلام لما يسمى بأمر الواقع الجائر ، أي الوضع المفروض ، وهنا يكمن المحتوى السياسي للفلسفة اليوتوبية"[3]

إلا أنّالإنسان كائن ارتدادي(أي كثيرا ما يرتد البشر عن بيئته ويناقضه) بطبعه وكنهه "فهذا الدافع وازع مؤثر في نشوء أفكار تحررية وتغيرية لدى الإنسان المبدع ، فالإنسان بطبعه يميل إلى التغير والتغير ناتج عن طرح البديل ، أيضا لأن الإنسان يطمح إلى الكمال

---

[1]– المرجع السابق، ص 179.

[2]–المرجع نفسه (ص ص/ ص.ص 179–180).

[3]– المرجع نفسه ،ص 180.

وتحسين ظروفه الحياتية ، فالكمال أيا كان محتواه ، ثقافيا أو أدبيا أو دينيا أو علميا مستوحى من الفكر اليوتوبي ، من ناحية ثانية ...فإن اللاّمكان أساس اليوتوبيا ، لذلك فإن التغير في البيئة والمحيط الذي يعيش فيه المرء من خلال الهجرة إلى مكان آخر ، استجابة للطموحات والأهداف النبيلة من أجل تحقيق الحياة الأفضل ، فالتفكير اليوتوبي يجعل من الإنسان مهاجرا عندما يترك المكان المألوف للوصول إلى المتخيل ، عندما يصل المرء إلى النتيجة التالية : إنه محصور في الزمان والمكان ، تتبع لديه أطماع التحرر وفكّ القيود الملقاة عليه "[1]

إن فكرة التحرر سواء كمشروع أدبي أوسياسي هي يوتوبيا بذاتها ، فمثلا " الطبيعة" كانت ولازالت لها هيمنة وسيطرة على الإنسان لذلك كان العلم أحد أسلحة الإنسان للتحرر من سيطرتها ، فالعلم وإن كان يوصف بالواقعي،هو ناتج عن يوتوبيا وطموحات الإنسان من جانب وخوفه من الطبيعة من جانب آخر ، إذن نجد التقارب بين العلم واليوتوبيا وإن اختلفا في المحتوى والمنهج ...ولكنهما متماثلان من ناحية الهدف : كسر القيود سواء كانت من لدن الطبيعة أو من لدن الأعراف وقوانين الإنسان ، وجدير بالذكر أن وراء كل فكر يوتوبي واقعي ، نقد فلسفي تجاه الواقع "[2]

إن التمييز بين اليوتوبيا المحددة المعالم أي المبنية على رؤية واقعية محظة كعملية واضحة ومدروسة"تتم داخل الفكر وليس من نسج الخيال من يوتوبيا خيالي ، الذي تطرح فقط في الروائع الأدبية الخالصة ، لأن الرؤية الواقعية اليوتوبية تأتي من فهم الواقع من خلال الهامات شعرية قصصية "[3]

ولليوتوبيا علاقة أيضا بالتاريخ حيث أن " التاريخ يبدأ من طوبى ، من لحظة خلق وإبداع تبتكر عالما أشبه ما يكون بالمستحيل ، لأنه من صنع خيال متمرد على المرئي والمباشر ،

---

[1]– المرجع السابق ،ص180.

[2]–المرجع والمكان نفسه .

[3]– المرجع نفسه ،ص188.

ليس في وسع أي طوبى أن تصير إلى فكرة خلاقة ومشروع في التاريخ ، فما أكثر ما تولد الطوبى وتقضي في المهد ، "غير أنه ليس في وسع أية فكرة كبيرة أن تولد من دون أن تنشأ في رحم الطوبى ،ولكن الفكرة تمتنع عن التحقق المآدي ، عن الصيرورة واقعا وظاهرات ومؤسسات ، غلا بعد فطامها وخروجها من الطوق الطوبوي ، إن إمكانها لا يبدأ إلاّ متى حافظت من الطوبى على ماليس فيها مستحيلا ، ونزلت من علياء الخيال الحر إلى واقع تتشبع فيه بما يجعل منها ممكنا ، أو داخلا في حكم الإمكان "[1]

ومثلما تبدأ الظواهر والمؤسسات من أفكار فلسفية أو اجتماعية أو سياسية أو علمية ، تبدأ هذه من بداية غائمة أشبه ما تكون بالحلم البعيد المنال ، "فتبدو طوبوية أوشيئا بهذه المثابة إذا رمنا التعبير عن هذه الفجوة بين الفكرة في أول استوائها طوبى والفكرة في صيرورتها مادة لتشكل الظواهر والمؤسسات ، قلنا إنّها الفارق بين فكرة ينوء بحملها الواقع وفكرة أنضجتها الواقعية فباتت إمكانا يسير التحقق ، وليس يعني ذلك أن الطوبى (اليوتوبيا) قرينة المستحيل دوما ، ولا أنّها شطح من الخيال لا يعقله عقال من الذهن أو الواقع ، إنما يعني أن فكرة عظيمة في التاريخ تبدأ دائما على مسافة بعيدة من الممكن الواقعي ، وأقرب ما تكون إلى الإستيهام ، قبل أن تنضج لها شروط الإمكان . وشروط إمكانها هذه إنما تكون منه ومن الواقع الخارجي على السواء "[2]

وكل يوتوبيا هي فكرة" و الفكرة ثمرة اتصال وتواصل بين ذات عارفة وواقع يقع خارجها ، وليس الواقع هذا واضحا لها بداهة ، لكنها تقترب من حقائقه كلما اتصلت به وثيق اتصال ، وأتقنت كيف تستنطقه بأسئلة العقل والتجربة ، فتعيد بناءه نظريا : علميا أو منطقيا أو رمزيا "[3]

---

[1]– عبد الإلاه بلقزيز ،اليوتوبيا بوصفها مادة خاما للتاريخ ، مجلة مدار النظر ، العدد 3–4 خريف 2012–ربيع 2013 المغرب .ص235

[2]–المرجع والمكان نفسه.

[3]– المرجع نفسه،ص203.

وأعود إلى مشاهد الثورات في البلدان العربية لنتأمل قليلا في دلالات حشودها في الميادين أيام الثورة "تلك الحشود العارمة التي كانت تصدح بالحرية والكرامة والعدالة الإجتماعية ، بلا تفكير في تفاصيلها العملية ، ولا في مستلزماتها ، وإنما بما هي مثل عليا في ذاتها تلك الحشود التي كان الله حاضرا بينها بقوة ، لكنه حضور بغير المعتاد إن صح التعبير ، إنه حضور المحرض على الحرية والكرامة الإنسانية والمساواة المطلقة ، إنه المتعالي الذي هو للجميع وفوق الجميع بلا تمييز ديني أو مذهبي وبلا تمييز بين المرأة والرجل "[1]

فالأمل واليوتوبيا يتشابهان في درجة التوق إلى التحقق والتجسد على أرض الواقع

" الخطاب اليوتوبي يختلف عن الخطاب الايديولوجي ، لأن التصريح بالأمل ، والحلم بمجتمع أمر طبيعي لا يتطلب التخفي ، أما القول الايديولوجي فيتطلب الاخفاء "[2]

لا ينبغي أننسى أن هناك يوتوبيات خالصة وأخرى مبطنة في إيديولوجيا حاملة لها ،"كما أن هناك يوتوبيات ذات منطلقات أيديولوجية رجعية ،أو محافظة ، وهناك أخرى ذات منطلقات أيديولوجية مستنيرة ولكنها غير متلاحمة مع الواقع التاريخي ، وهناك ثالثة تقدمية قريبة منه ودافعة له ، فاليوتوبيا ليست دائما قوة ثورية تقدمية "[3]

إلا أن التفكير اليوتوبي لا يتوقف عند جملة من العوائق سياسية كانت أو اقتصادية أو اجتماعية ، فهذه الظروف هي التي تصبح في مرحلة من مراحل التاريخ ليس عائقا بل دافعا محرضا، من أجل هجرة الأوضاع البائسة وإزالة الواقع المستبد والمستفز، وتغيير الحال من الردة إلى التقدم والنهوض، والتي يمكن حتى أن تتطور إلى دافع أنطولوجي، ينشأ عن رفض الوجود على الحال التي هو عليها، فيكون أي تفكير أو تحرك في سبيل تغيير ورفض هذا الوجود ، وقد يضطر به الأمر إلى الإشتغال على الطبيعة وتسخير مواردها من أجل تحييد أو إزاحة ورفض بعض الصور غير المرغوبة في الوجود.

---

[1]– في راهنية اليوتوبيا، محمد الحبيب طالب، مجلة مدار النظر ، العدد 3–4 خريف 2012–ربيع 2013 ، ص 230

[2]– شريف الدين بن دوبة .اليوتوبيا والمواطنة ، دار الروافد الثقافية ناشرون ،ط1–2017–لبنان،ص 29.

[3]–المرجع السابق ،ص 227.

" إن مجتمعا يفتقر إلى الطوبيا محكوم عليه بالموت البارد "[1]

فأن يغيب الحلم عن المجتمع ، وأن لا يرسم لنفسه يوتوبيا يتوق لها يوما بعد يوم ، فهذا معناه أنّه كف عن الوجود ، كّف عن المحاولة ، حتى ولو كانت المحاولة تحمل معنى اليأس والرضوخ ، فقد يتأتى منها بريق الأمل ، أما أن تفقد المجتمعات القدرة على صنع يوتوبيات لها فذلك مؤذن بخرابها وبزوالها .

[1]–تيبري باكو، الطوبيا والطوباويون ،تعريب أ.د خليل أحمد خليل ، دار الفرابي بيروت ، ط1–2008.ص 32.

المبحث الثالث :المجتمعات المثالية في الفلسفة وعلاقتها بمجتمع المعرفة :

1- عند اليونان:

أ- 1- **أفلاطون**:Platon (427-348) ق.م

تراوحت أفكار أفلاطون عن المجتمع المثالي بين مدينته الجمهورية ومدينة القوانين حتى ولو كانت توسم الثانية بأنها أكثر واقعية من الأولى التي تحمل في طياتها شروط إخفاقها.

وقد خطّ أفلاطون في الجمهورية صورة مثالية، كانت رد فعل على واقع سياسي قائم امتاز بالنقص، وبالكثير من المساوئ وتجدر الإشارة إلى أن أفلاطون قد كتب كتابه الجمهورية "وهو في شبابه أو في باكورة رجولته تقريبا، ثم قدم بعد الجمهورية كتابه "السياسي" الذي اتسمت أفكاره وآراؤه فيه بالنضج والكياسة وبعد ذلك وضع خبراته النظرية والعملية في كتابه "القوانين" حيث نجده قد هذّب من أحلامه في الجمهورية ونزل بها إلى الميدان العملي حتى يتلاءم ويتوافق مع طبيعة الإنسان وما تتميز به من ضعف"[1].

ونظرا لأن أفلاطون قد تتلمذ على يد معلمه سقراطSocrate (470-399) ق .م الذي اشتهر بالعبارة "أعرف نفسك بنفسك" فقد كان لحياة ولفكر ولسلوك سقراط الذي أنزل الفلسفة من السماء إلى الأرض متجها بها إلى تقويم السلوك الإنساني ومعطيا قيمة كبيرة لجانب القيم الأخلاقية والفضيلة ودورهما في نشوء الدولة يظهر، أثر سقراط في كتابات أفلاطون خاصة في الجمهورية وفي دعوته لإنشاء الأكاديمية التي كانت لا تتوالى عن دفع الفرد دائما من أجل استثمار مواهبه والارتقاء بها، لما لذلك من أثر حميد على الدولة وعلى رقيها حيث تتوقف أهمية الفرد الاجتماعية على قيمة العمل الذي يقدمه للمجتمع، فالفرد في الدولة يحتل مركزا اجتماعيا معينا وهذا المركز يتطلب التزامات معينة وعلى الدولة أن توفر الأسباب التي تسهل قيام الأفراد بالتزاماتهم وعلى ذلك فالحرية التي تكفلها الدولة للفرد لا يقصد بها منحه

[1] محمد فضل الله إسماعيل،الدولة المثالية بين الفكر الإفريقي والفكر الإسلامي دار المعرفة الجامعية، مصر1996.(د.ط)

إرادة طليقة، بل تعني تمكينه من آراء الخدمات والالتزامات المطلوبة من المركز الذي يحتله"[1].

وخير وسيلة تمكن الدولة من معرفة قدرات ومواهب الأفراد وتطويرها والاستفادة منها هي عن طريق التربية والتعليم، حيث أولى أفلاطون أهمية قصوى لهذا المجال حيث يرى أن "الدولة منظمة تعليمية، فإذا صلح تعليم المواطنين في الدولة استطاعوا في سير أن يتبينوا حل الصعوبات التي تعترضهم، وأن يواجهوا الشدائد عند قيامها ،وأن الدور الذي يناط بالتعليم في دولة أفلاطون المثالية ليلفت النظر إلى حد جعل البعض يعدّونه البحث الأساسي في الجمهورية"[2]

وقد قسّم أفلاطون الجمهورية إلى طبقات: طبقة الحرفيين، طبقة الجند، وطبقة الحكام" وهذا التقسيم الطبقي الهدف منه أن تؤدي كل طبقة وظيفتها متحلية بإحدى الفضائل الأخلاقية، إذ ينبغي أن يقوم المنتجون بإنتاج الخيرات المادية المختلفة بكل جدية وبكل إتقان ودون أن يتدخل أصحاب حرفة في الحرف الأخرى، وعلى الجميع أن يتحلّوا بفضيلة العفّة فيحصلوا مما ينتجونه على ما هو ضروري لهم وتصبح بقية المنتجات ملكا للدولة توزعها على أفراد الطبقات الأخرى"[3].

إلا أن أفلاطون كان يؤمن بقدرة الأفراد على التعلم المستمر، وأنّ بإمكانهم أن يترقّوا، ويتوافقوا في طلبهم لمختلف المعارف حيث يمكن لهم أن ينتقلوا من طبقة لأخرى "إذ يمكن لابن الصانع أن يصبح جنديا أو حاكما إذا توافرت فيه الشروط اللازمة لذلك أي إذا ما أهلته قدراته الطبيعية لذلك، وإذا ما نجح في اجتياز المراحل التعليمية التي تؤهله بصورة لائقة

[1] المرجع السابق، ص 138.

[2] –جورج سباين ،تطور الفكرالسياسي، الهيئة المصرية العامة للكتاب(د،ط) (د،س.ط) ، ص 196.

[3] – مصطفى النشار، تطور الفكر السياسي القديم من صولون حتى ابن خلدون للطباعة والتوزيع القاهرة، 2003، ص 71(د، ط).

ليصبح أحد أفراد طبقة أعلى،فالحركية الطبقية واردة بين الطبقات بحسب اختلاف المواهب والقدرات وبحسب اكتساب الفرد للقدرات الأعلى بالتعليم"[1].

حيث يؤكد أفلاطون في الباب الخامس على أهمية التعليم في بناء الدولة والحفاظ عليها فيقول في ذلك: "ويقينا أن المدينة عندما تبدأ بداية سليمة فإنها تنمو كالدائرة فالتربية والتهذيب إذا ما أحسن توجيههما تكون أناسا أخيارا، وهؤلاء الأخيار بدورهم إذا انتفعوا بتعليم كامل يغدون أفضل من كل من سبقهم ،وترتقي كل صفاتهم ومنها الصفات الموروثة"[2]

فلا عجب إذن، أن نجد التقارير الدولية المختصة بمؤشرات التنمية ومنها منظمة الأمم المتحدة، تدعو إلى التركيز على قيمة التعليم وعلى ضرورة تحضير الأجيال اللاحقة وتكوينها تكوينا يمكنهم من معايشة وتجاوز عقبات الواقع التقني الذي يتطور يوما بعد يوما ذلك أن: "هدف التربية هو أن تساعد المرء في المحافظة على مقومات الشخصية، وفي تحقيق إمكانية الرقي ،أما فيما يتعلق بالشغل والتقدم الاقتصادي، فإن هدف التربية لا ينبغي أن يقتصر على إعداد الفتيان والراشدين لمهنة معنية يمارسونها طوال الحياة، لأن الأهم من ذلك هو تمكينهم من التنقل في مجال المهنة وإذكاء روح التعلم والتكوّن في نفوسهم وبكلمة مختصرة، لابد من إعادة النظر في أهداف التربية وفي طرائقها وبنياتها، من غير تهاون في نشر التعليم في جميع أنحاء البلاد[3].

فالذي كان يهدف إليه أفلاطون من خلال تقسيم المجتمع إلى طبقات و تقسيم العمل، هو تزويد كل فئة بما تحتاجه من معارف تمكنها من إجادة المهام الموكلة إليها، كلّ في مجاله، فالمعارف التي يتلقاها الحرفي ليست هي التي تتلقاها طبقة الجنود، وليست هي التي تتلقاها

---

[1]–المرجع نفسه، ص 73.

[2]–أفلاطون الجمهورية، تر فؤاد زكريا، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، (د، ط)، ص 292.

[3]–إدجارفور وآخرون، تعلم لتكون، تر حنفي بن عيسى اليونسكو الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 1979، ص 31.

فئة الحكماء أو الحكام وكل ذلك التخصيص إنما يعود فضله أولا على الفرد ومن ثم على الدولة واستقرارها.

وقد ركز أفلاطون تركيزا منقطع النظير في كتابه الجمهورية على أهمية التعليم وخاصة في المراحل العمرية المبكرة حتى أنه اهتم بطريقة لهو ولعب الأطفال،لما لها من قدرة على ترسيخ القيم فهو يتعلم عن طريق اللعب.

"إذن فعلينا كما قلنا في البداية أن نخضع ألعاب أطفالنا منذ الوهلة الأولى لنظام دقيق، إذ أنه لو خرج لهو الأطفال على النظام ،لغدا من المستحيل عليهم أن يشبّوا فيما بعد رجالا يعرفون الواجب والفضيلة الصارمة"[1].

وهذا ما ورد في تقرير التنمية الإنسانية "عن تعلم لتكون" "ينبغي أن لا تفصل المدرسة عن معترك الحياة، وأن لا تكون شخصية الطفل ممزقة بين عالمين متناقضين، بحيث تجده، من جهة يتثقّف، ولكنه في نفس الوقت ينسلخ من مقوماته الذاتية، كما تجده من جهة أخرى يتفتّح لكنه في نفس الوقت يسلك سلوكا لا يمتّ إلى التربية بصلة"[2]

فمعرفة مميزات شخصية الطفل أو التلميذ المتلقي، تسهّل معرفة ما يحتاجه وما يتوافق مع قدراته وما يؤمل منه أن ينجزه "إن شخصية الإنسان متعددة الجوانب، ولا شك أنّ مراعاة هذا الأمر شيء ضروري في المدارس لكي ينمو التلميذ نموا سليما، فينفع نفسه، وينفع غيره، ولا بدّ من تشجيع الفرد على مواجهة المواقف الصعبة، وتنشئته في مرحلة التكوين على تحمل الشدائد، وبذلك يتحقق التوازن بين مقومات شخصيته[3].

وقد قدم أفلاطون في الجمهورية نظريته الشاملة في التربية والتعليم بغرض تخريج تلك الطبقة المتميزة "طبقة الحكام الفلاسفة ولكنه في ثنايا ذلك قدّم لنا نظرية متكاملة في التربية

[1]– إدغارفور، تعلم لتكون ،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 1979، ص 31.

[2]–أفلاطون ،الجمهورية ، ص 29.

[3]–المرجع نفسه، ص 29.

والتعليم واعتبرها جان جاك روسو أعظم ما كتب في فلسفة التربية على الإطلاق"[1] وقد تم تقسيم هذا النظام التربوي وتأطيره إلى مجموعة من المراحل:

ففي المرحلة الأولى: يهتم القائمون بالنظام التربوي بالتمييز بين الأطفال فيختارون أولئك الأطفال الأصحّاء القادرين على تحمل التمرينات الرياضية بدون نظر إلى أصلهم الطبقي، ويخضع هؤلاء الأطفال بعد ذلك لبرنامج تربوي موحد لا فرق فيه بين صبي وفتاة.

وتستمر المرحلة الأولى من هذا النظام حتى بلوغ هؤلاء سن الثامنة عشرة "ويخضعون فيها لنظام غذائي متكامل تحت إشراف طبي مع ممارسة التدريبات الرياضية البدنية ذلك لتصحّ أجسادهم، أما غذاء النفس فيكون من خلال تعلم الآداب الراقية والاستماع إلى الموسيقى الهادئة أما الآداب الراقية فهي تلك التي تليق بأن يتعلمها الفضلاء، فالشعر ينبغي أن يكون حاملا للمبادئ الدينية الصحيحة والأخلاق الفاضلة، وألاّ يكون في ذات الوقت مفتقرا إلى الجمال الشعري"[2].

أما بالنسبة للموسيقى ،التي يفضل أن يتعلمها الأطفال فيجب أن تكون ايقاعاتها ونغماتها قادرة على التغلغل في النفس وبث الشعور الراقي فيها وأن تبتعد عن النغمات الشاذة الصّاخبة.

أما عن الطريقة التعليمية المثلى لمثل هؤلاء الأطفال فهي تقوم على مراعاة حرية الأبناء وعدم القسوة عليهم "فتعليم الحر كما يقول أفلاطون ينبغي أن لا يتضمن شيئا من العبودية فالتدريبات البدنية التي تؤدى قهرا، لا تؤذي البدن في شيء، أما العلوم التي تقحم في النفس قسرا، فإنّها لا تظل عالقة في الذهن، إن على المعلمين أن يجعلوا التعليم لهوا بالنسبة للأطفال حتى يتمكنوا من اكتشاف ميولهم الطبيعية ويركزوا على تنميتها"[3].

---

[1]–مصطفى النشار، تطور الفكر السياسي القديم من صولون إلى ابن خلدون، ص 73.

[2]نقلا عن أفلاطون، المرجع السابق، ص 74.

[3]نقلا عن أفلاطون، المرجع نفسه، ص 75.

أما المرحلة الثانية، فتبدأ من سن الثامنة عشر حتى بلوغهم الثلاثين ،بعد أن يجتازوا الاختبارات التي تعقد لهم في ختام المرحلة الأولى بنجاح وهي تبدأ بفترة تستمر من سنتين إلى ثلاث سنوات يتدربون فيها تدريبا عسكريا إجباريا، وإذا ما اجتازوا هذه الفترة من التدريبات العسكرية بنجاح ،يتحولون بدءا من سن العشرين وحتى الثلاثين إلى دراسة العلوم خاصة العلوم الرياضية وهي: الحساب والهندسة والفلك والموسيقى ،وهذه الدراسة تستهدف أن يتدرب هؤلاء الشباب على التفكير المجرد ،وعلى إدراك العلاقات المجردة ببين الأشياء وذلك ليتأهّلوا بعد ذلك لدراسة الديالكتيك الفلسفي.

وبعد ذلك تبدأ المرحلة الثالثة، من سن الثلاثين حتى الخامسة والثلاثين ،وهي المرحلة المخصّصة لدراسة الديالكتيك ،أي لدراسة الفلسفة وفيها يتعرفون على طريق الوصول إلى اكتشاف الحقيقة المجردة بالجدل ،الذي يرتفعون به من المحسوس إلى المعقول بدون وساطة أي أداة من أدوات الحسّ.

أما المرحلة الرابعة والأخيرة فيخضع لها أولئك الذين اجتازوا بنجاح اختبارات المراحل السابقة، وهي تستمر لمدة خمسة عشر عاما أخرى، وقد خصصت للتدريب العلمي على ممارسة الوظائف العليا وتولي المهام العسكرية الفعلية، والغرض من ذلك هو اختبار قدرة الأبناء على الصمود أمام المغريات التي تجاذبهم من جميع الاتجاهات ،فضلا عن أن هذه التدريبات تجعلهم يتميزون عن كل ما عداهم في الشؤون العلمية وفي المعرفة.

ولما كانت الفلسفة عند أفلاطون "تنطوي على الحب فحب العدالة فلسفة، وكذا حب الحق، وحب الخير، وحب الفضيلة، أما حب المعرفة فهو غاية الفلاسفة، فهي كنه الوجود، وينبغي أن نميز بين العارفين حقا وبين أدعياء المعرفة أو الفلاسفة المزيفين "فالفيلسوف الحق محب للعدالة" ،سليم العقل معتدل المزاج ،موفور الشجاعة له ذاكرة قوية ناقدة وواعية "ولا يكفي

أبدا أن تكون له عيون برّاقة حادة فهذا حسن البصر، وإنّما بيت القصيد هو البصيرة ولا مجرد البصر"[1].

وهنا تتضح الغاية التي يسعى إليها أفلاطون من نظامه التربوي التعليمي، حيث أنه يسعى إلى تخريج تلك الفئة الممتازة القادرة على حكم المدينة المثالية الفاضلة، وهم أولئك الفلاسفة الذين يستطيعون ممارسة وظيفة الحكم محاولين تحقيق هذه المثل فيدولتهم ،دون سعي إلى تحقيق أي غرض شخصي أو أي مصلحة أنانية[2].

نظريته في حكومة الفلاسفة:

على أية حال فإن الدولة المثالية قوامها في الأساس تلك الطبقات الثلاث متحلية بتلك الفضائل الثلاث، وتربى أفرادها على هذا النظام التعليمي الصارم الذي خَرَّج أولئك الحكامالفلاسفة الذين تدربوا على الحكم بمعرفة مثاله نظريا، و تطبيقه عمليا بتولي الوظائف المهمة في الدولة.

إن حكومة الفلاسفة هي الغاية إذن من ذلك النظام التعليمي التربوي، وهي أساس الدولة المثالية وما ذلك، إلا أن هؤلاء الفلاسفة إذا ما حكموا فلن يكون لهم من غاية يسعون إلى تحقيقها سوى تحقيق العدالة للمواطنين، وسيكرسون كل وقتهم لخدمة مواطنيهم، فهم حسب تعبير أفلاطون "يرون في الحكم واجبا لا مفر منه أكثر من كونه شرفا، وهم يزهدون في ما يسعى إليه الناس من تكريم ويعتبرونه تافها ،وغير خليق برجل حر ،ولا يحرصون إلا على أداء الواجب وعلى الشرف الذي يترتب على أدائه وعلى العدالة التي يرونها أهم الأشياء وأكثرها ضرورة "إنّهم يتفانون في خدمتها ويقيمون صرحها عاليا في تنظيمهم لدولتهم"[3]

[1]–إسحاق عبيد، المدينة الفاضلة ، دار الفكر العربي ، القاهرة ،1999(د.ط)، ص 30.

[2]–مصطفى النشار، تطور الفكر السياسي القديم من صولون حتى ابن خلدون، ص 76.

[3]–المرجع السابق ، ص 80.

وعلى ذلك يرى أفلاطون ضرورة أن يتوالى هؤلاء الفلاسفة ،الذينأحسن تربيتهم وتعليمهم الحكم، وأن يتناوبوا على حكم الدولة المثالية،فيما بينهم سواء واحد بعد الآخر فيصبح الحكم ملكيا، أو مجموعة بعد أخرى فيصبح الحكم أرستقراطيا.

2- دولة أرسطو المثالية وعلاقتها بمجتمع المعرفة:

لا يمكن فصل التفكير في إقامة مجتمعات المعرفة عن التفكير في إقامة المدن المثالية في الفكر الفلسفي، فكل فيلسوف حاول بمنهجه ومنطقه، ووسائله الخروج عن الواقع المأزوم وتجاوزه نحو واقع أفضل للعيش ولتأسيس دولة مثالية يحكمها العقل وتسيّرهها الحكمة وينعم أهلها بالرفاهية والاستقرار والسلام.

"والدولة المثلى أو (اليوتوبيا) عند مختلف الفلاسفة تقدم صورة متكاملة لعالم مثالي تختفي منه شرور عالم الواقع وتتحقق فيه أحلام الإنسانية بالسعادة والكفاية والعدل، عن فكرة العالم المثالي أو الفردوس الأرضي أو اليوتوبي كما يحب أن يطلق عليها بعض الفلاسفة أو المشتغلين في الفلسفة، فكرة راودت خيال الإنسان من قديم الزمان وتناولها الفلاسفة والمفكرون وقدموا لها صورا مختلفة اتخذت الطابع الديني أحيانا والطابع الفلسفي أحيانا أخرى" [1]

ولا تخرج رؤية أرسطو تلميذ أفلاطون عن مفهوم اليوتوبيا ،ذلك أن من سمات هذه الأخيرة أنها "ترتبط بأحلام الإنسان وبواقعه على حد سواء، فإن ما تعالجه من قضايا سياسية واجتماعية ليست وقفا على عصر معين أو مكان لذات ولكنها قضايا إنسانية **عامة** قد تتخذ أشكالا مختلفة في العصور المتعاقبة، ومن هنا ظلت الدولة المثلى (يوتوبيا) عملا حيا[2].

1- اليوتوبيا والفلسفة (ص ص 56 – 57).

2-المرجع نفسه، ص 57.

وإذا كان يوصف أفلاطون بمثالتيه في الجمهورية فإن أرسطو في كتابه السياسات يوصف بأنه أكثر واقعية حيث يهتم "بما هو كائن من حيث وصف النظم الممكنة وبيان نشأتها ووضع نظرية في الدولة على أساس الدراسة الموضوعية والواقع العلمي"[1]

يبدأ أرسطو كتاب السياسة بالحديث عن الدولة قائلا: "بما أننا نشاهد أن كل دولة مجتمع، وأن كل مجتمع يتألف ابتغاء مصلحة إذا الجميع يجدُّون في كل شيء إلى ما يبدو لهم خيرا من الواضح أن كل المجتمعات ترمي إلى خير، وأن أخطرها شأنا ،والحاوي كل ما دونه يسعى إلى أفضل الخيرات، وهذا المجتمع هو المسمى دولة أو مجتمعا مدنيا"[2].

كما يتوقف عند علاقة الفرد بالأسرة وبالدولة حيث يجعل هذه الأخيرة سابقة عن الأسرة والفرد، كما يسبق الكل الجزء ويحتويه حيث يقول في ذلك: "والدولة بالطبيعة مقدمة على الأسرة وعلى الفرد، لأن من الضرورة أن يتقدم الكل على الجزء فإن قضي على الجسم فلا رجل ولا يد إلا بالاسم، كأن تقول يد من حجر فإذا شلت اليد، أضحت كأنها من حجر"[3]

"والأسرة هي نواة الجماعة وهي نواة تكفي نفسها مؤقتا لتأمين حاجاتها اليومية، فإذا أرادت أن تحقق حاجات أخرى فوق الحاجات اليومية، ارتبطت بأسر أخرى ،فحصلت القرية، فإذا تشبعت حاجات القرية فتطلعت إلى قرى أخرى غيرها تتبادل معها المنافع والمصالح نشأت الدولة أو كما تسمى دولة المدينة، فدولة المدينة تشمل سائر المجتمعات وتكفي بأوسع حاجات الإنسان"[4]

---

[1]–عبد الرحمن مرحبا،من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية ،منشورات عويداتبيروت باريس، ط3، 1983، ص 210.

[2]–أرسطو ،في السياسة، تر، أوغسطين برباره البوليسي، ط2، 1980، المكتبة الشرقية، بيروت، ص 05.

[3]–المصدر السابق ، ص.9

[4]–عبد الرحمن مرحبا، من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية،ص 210.

صحيح أن أرسطو يفند مقولة أن الفرد هو نواة المجتمع، ذلك أن نواة المجتمع هي الأسرة لا الفرد "لأن الفرد حيوان مدني بالطبع، أي لا يمكن ان يعيش منعزلا عن الآخرين، بل لا بد أن يوجد في جماعة" [1]

إلا أنه يعلي من قيمة الفرد مقارنة بالكائنات الأخرى، وإنما فضل ذاك يعود إلى اختصاصه بأنه كائن عارف حيث يقول في ذلك "وما اختص به الإنسان دون سائر الحيوان انفراده بمعرفة الخير والشر والعدل والظلم وما إليها وتبادل تلك المعرفة ينشئ الأسرة والدولة"[2]

فالمعرفة هي ما يميز الإنسان وهي ما يؤدي إلى نشأة الدولة وقبلها الأسرة وذلك ما نجده في الكثير من أدبيات التقارير الدولية.

وقد قرن أرسطو بين السياسة والفضيلة ذلك أن "الإنسان السياسي فاضل وممارسة السياسة لا تتعدى كونها ممارسة للفضيلة أي أن ترك السياسة وشأنها يعني رفض عنصر أساسي يقود إلى تحرر الإنسان واتحاده مع نفسه، الإنسان الفاضل لا يحتكر ممارسة الفضيلة بل يعمل أيضا على العيش في مجتمع فاضل، الإنسان الفاضل يوظفهمفهوما لا يختلف عن مفهوم الإنسان ،فهو لا يتّحد مع نفسه فقط في تحقيق إنسانيته وإنما يتّحد مع أخيه الإنسان أيضا ولهذا فإن ممارسة الفضيلة، لا تكفي لخلق مجتمع فاضل، فهي يجب أن تكون متبوعة بممارسة الفضيلة عمليا والفضيلة تنقسم إلى قسمين متلازمين: أحدهما يمكن أن نسميه الفضيلة عمليا والفضيلة النظرية أو العقلية أو الذهنية والآخر يمكن أن نطلق عليه الفضيلة العملية أو الأخلاقية".[3]

ويختلف أرسطو عن أفلاطون في تقسيم الأسرة فإذا كان أفلاطون يعتمد مفهوم مشاعية النساء والأولاد حتى يكبر الجميع في بيت وواحد ،يكنون الاحترام لبعضهم البعض، فكل أب أو أم هما والدي الجميع وبذلك يعتبر الطفل جميع الآباء والأمهات أباء وأمهات له، إلا أن

---

[1]–المرجع والمكان نفسه.

[2]–أرسطو ، السياسات ، ص9

[3]–عامر عبد زيد الوائلي وآخرون، اليوتوبيا والفلسفة الواقع اللاّمتحقق وسعادات التحقق ،ص78

أرسطو يقسم الأسرة إلى الزوج والزوجة والعبيد، فإذا كان أفلاطون يساوي بين المرأة والرجل في الحقوق والواجبات كالتعليم والتدريب البدني، فإن أرسطو يرى أن "الرجل هو رأس الأسرة وسيدها وإليه تعود أمورها، لأنه يتميز بالعقل والحصافة وجودة الرأي، وأما المرأة فدونه عقلا، ووظيفتها العناية بالأولاد والمنزل" [1].

ولا تخلو دولة المدينة من العبيد الذين ينظر إليهم على أنهم أجناس أقل درجة من طبقة الأحرار حيث "يرجع إلى العبيد تحصيل الثروة وتأمين الحاجات الضرورية بالأعمال المنافية للمواطنين الإغريق الأحرار، فهؤلاء سادة لا يجوز استرقاقهم لأنهم جمعوا بين الروح العالية والشجاعة التي ينفرد بها أهل الشمال وبين الحذق والذكاء والمهارة التي يتصف بها الشرقيون فإنما الناس مقامات ودرجات وعلى الأعلى أن يسيطر على الأدنى كما على الأدنى أن يخضع للأعلى ويطيعه، هذا هو حكم الطبيعة وهذا هو ناموسها فأنى اتجهت تجد فروقا بين الكائنات والأشياء بين النفس والجسد بين الإنسان والحيوان بين الذكر والأنثى، فلا تثريب عليك أن تجدَ نفس الفروق بين طوائف البشر"[2].

إلا أن ما تنادي به مجتمعات المعرفة من أن التعليم حق للجميع وأن المعرفة حق للجميع، لا يمكن أن يصدق على دولة المدينة عند أرسطو خاصة بالوقوف عند طبقة العبيد التي تحرم من أبسط ضروريات حياته لأمر مغاير تماما حيث "حاول أن يخفف من وطأة نظام الرق فأوصى السيد الذي يسيء معاملة عبيده أن يحسن معاشرتهم ويهبهم الأمل في العتق والحرية ،كما رأى أن الفرق بين السيد والعبد ليس واضحا على الدوام وأنه لا يلزم لابن الرقيق أن يكون رقيقا بالوراثة والطبع، بل إن أرسطو يرى أن ذلك الاستبعاد ليس مشروعا لأنه قائم على القهر والبطش، لا على انعدام بعض المزايا الطبيعية فالقوة والغلبة لا يعنيان دائما التفوق والامتياز، فالحر حر رغم ما ينزل به من عسف وعبودية، وعبوديته إنما هي عبودية بالعرض ،والعبد عبد رغم ما يحققه من نصر واستعلاء وهكذا فمن العبيد من لم

[1]–عبد الرحمن مرحبا،من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية. ص 211–

[2]–المرجع والمكان نفسه.

يخلق للعبودية ومن الأسياد من لم يخلق للسيادة فكلاهما عبد أو سيد بالعرض لا بالجوهر والحقيقة، فما لم يكن النصر والغلبة ناتجين عن مزايا ذاتية لم تكن الحرب عادلة ويجب أن يسقط حق الاستعباد ولما كان نظام الرق في معظمه ناشئا عن الحرب فهو أمر مستهجن كريه وعمل غير مشروع" [1]

وحتى ولو كانت التقارير الدولية قد دأبت على ترويض مطالب الشعوب في الحرية والديمقراطية، وحتى وإن غابت عنها فكرة العبيد أو الاستعباد، ولكن بالنظر والتدقيق إلى حال الدول التي تصنف ضمن مجتمع المعرفة القائمة بذاتها نجد نزعة التعالي عند بعض الشعوب اليهودية وكذا الأمريكية (مثلا حولون مدينة للمعرفة) هذه المعرفة التي تقتل وتبيد الأخضر واليابس في غزة.

وهل تعكس هجمات نهب المتاحف العراقية غير التسابق نحو المجد لا المعرفة، فالمعرفة قوة هذا أكيد، ولكن لا يمكن أن تكون للجميع، بل لا بد من تدمير آثار ومعالم التحضر والتمدن، ولا بد من طمس العقول ومسح الذاكرة (سوريا / العراق) ففكرة التعليم للجميع غير واردة عند أرسطو، لأن هناك دائما طبقات في المجتمع، إلا في مجتمع دولة المدينة التي أسسها الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، وبحسب نظري أنه كان اللحظة التاريخية الوحيدة التي تجسد فيها المجتمع المثالي على أرض الواقع.وهو اللحظة التاريخية الوحيدة التي تعايشت فيها الديانات الثلاث اليهودية والمسيحية والإسلام .

نظرية الحكومة:

فرق أرسطو بين الدولة والحكومة تفرقة شديدة فالدولة في نظره هي المواطنين أما الحكومة فهي الفئة التي تأمر وتنظم أمور الدولة وتتولى الإشراف على الوظائف العامة ويرى أن هذه الهيئة تختلف أشكالها باختلاف الغاية التي ترمي إليها وتختلف كذلك باختلاف عدد الحكام فمن الناحية الأولى الحكومة إما صالحة وإما فاسدة والحكومة الصالحة هي التي تعمل لخير

[1]–المرجع السابق ، ص212.

الأفراد وغايتها تحقيق سعادة المجموع والحكومة الفاسدة هي التي تتوخى مصلحة أفرادها وتدبر مصالحها الخاصة على حساب مصلحة أرستقراطية أو ديمقراطية .

فالملكية حكومة الفرد العادل الذي يعمل لخير الجميع، والأرستقراطية حكومة الأقلية العادلة الفاضلة التي تعمل للصالح العام والديمقراطية هي حكومة العامة أو الكثرة التي تعمل لخير المواطنين وتمتاز بالحرية والمساواة والسير بمقتضى الدستور.

"فإذا جنح الملك الفرد إلى الظلم وتوخى مصلحة الخاصة انقلبت حكومته من ملكية فاضلة إلى استبدادية أو طغيان وإذا حادت الطبقة الأرستقراطية عن الطريق السوي فإنها تنقلب إلى حكومة الأغنياء الطماعين (الأوليجاركية) وعلى هذا النحو أيضا إذا فسدت الديمقراطية وأسرفت في الحرية فإنها تتحول إلى حكومة الغوغاء والدهماء التي يعوزها التبصر وإدراك حقائق الأمور" [1]

وقد درس أرسطو هذه الأشكال بالتفصيل في كتابه السياسية وأوضح أن "الملكية قد تبدو ولأول وهلة هي الحكم الأصلح بيد أن الفرد الذي ينفرد بالفضل لا يوجد إلا نادرا، والفرد بعده إلى ذريته ويحتكر السلطة لعائلته، ويضيف أرسطو بأن الملك دائما يحتاج إلى أصدقاء يعاونوه في الحكم وما دام هو في حاجة إلى معاونين يشاركونه السلطة فلماذا لا نصنع مبدأ المشاركة من الأصل بدلا من ترك الدولة لإرادة فرد؟ ويوحي هذا بأن حكم الجماعة الفاضلة خير من حكم فرد واحد، لأن أكثر أشكال الحكومات فسادًا هو فساد الحكومة الملكية، فالطغيان هو أسوأ الحكومات وهو أبعدها عن الحكم الفاضل، ثم تجئ الأوليجاركية وهي بعيدة كل البعد عن الأرستقراطية الفاضلة، أما الديماغوجية فإنها هي ما يمكن أن يطلق من بين أشكال الحكومات الفاسدة" [2]

وإذا تساءلنا مع أرسطو بعد ذلك التحليل الواقعي لأنواع الحكومات عن أصلح حكومة ممكنة للدولة لأجاب بذكر" حكومة وسطى بين الحكومات الصالحة يسميها بالحكومة الدستورية

[1]–المرجع السابق،ص 213.

[2]–المرجع نفسه(ص ص/213.214)

politeia (البوليتيا) وهي حكومة وسط من الأرستقراطية والديمقراطية واهم ما يتميز به هذا النظام انه يولي الحكم للطبقة المتوسطة فيتفادى حكم الأغنياء والفقراء على السواء"

وقد طبق أرسطو هنا نظريته الأخلاقية في أن "خير الأمور الوسط" "فالفضيلة هي الوسط بين طرفين مرذولين وتتألف تلك الحكومة من طبقة أفرادها بطبيعة مركزهم الاجتماعي بعيدون عن الثروات الضخمة وعن الفقر المدقع فلا تدفعهم شهوة حب المال إلى الطمع الأعمى ولا يحفزهم الفقر الشديد إلى الإنقضاض على الثروة والثورة والتنكيل بمصالح الآخرين وهؤلاء يتحملون أعباء الحكم ولا سيما إذا ساروا بالدولة في ظل أحكام الدستور الذي يشرعه العقلاء والحكماء"[1]

[1]–المرجع نفسه، ص 114.

3-المدينة الفاضلة عند الفرابي وعلاقتها بمجتمع المعرفة :

كثيرا ما يتهم الفرابي في تأليفه لكتاب المدينة الفاضلة أنه قد أعاد كتابة مؤلف أفلاطون "الجمهورية" بصيغة إسلامية إلا أن المتصفح المتمعن لكتاب "المدينة الفاضلة" للفرابي وكذا كتابه "السياسة المدنية" يجد فرادة الطرح الفرابي للمدينة الفاضلة الإسلامية، وكيف أنها تختلف عن دولة المدينة اليونانية في كثير من النقاط الجوهرية التي سيأتي الحديث عنها لاحقا.

"فرغم أن الفرابي حاكى أفلاطون في حديثه عن المدينة الفاضلة إلا أنه لم يكن مجرد تابع له، ولا أغفل الظروف البيئية المحيطة به، ولا الفكر الإسلامي الذي ينمتي إليه"[1]

ونظرا لتشابك التفكير السياسي مع الفلسفي في كتاباته، لا يمكن فصل الفلسفي عن السياسي في البناء المنطقي لكتاباته، ذلك أن "السياسة هي أهم ما في فلسفة الفرابي، وهي النتيجة التي تنتهي إليها بطريقة منطقية، ولشدة ارتباط السياسة بنواحي فلسفته الأخرى أصبحت السياسة عنده سياسة فلسفية، كما أصبحت فلسفته فلسفة سياسية"[2].

وليس من قبيل المبالغة القول أن التفكير السياسي الإسلامي قد وصل إلى مرحلة من التنظيم والتجريد لم يصل إليها الفكر الإنساني من قبل حيث يقول الدكتور محمد ضياء الدين الريس في ذلك: "... عن المجتمع الإسلامي، في خلال العصور المتعاقبة قد نجح في إنشاء دول، بل امبراطوريات، بلغت دون أن تكون هناك خشية المبالغة في القول من الدقة في أنظمتها وإدارتها وأساليبها مالم تبلغه النظم السياسية أو الإدارية التي ألغها العالم قبل وجود هذا المجتمع"[3].

---

[1]- عبد الرحمن مرحبا، من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية، منشورات عويدات، بيروت، باريس، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، ط3، 1983، ص 459.

[2]- المرجع والمكان نفسه.

[3]د. محمد ضياء الدين الريس، النظريات السياسية الإسلامية مكتبة دار التراث، القاهرة، ط7، 1976، ص 16.

وقد تشرّب الفرابي بوادر التفكير السياسي من النظام الإسلامي في حد ذاته، وقد أعجب بدولة المدينة التي أسسها النبي (صلى الله عليه وسلم) حتى أنه رأى أنها أحسن نموذج قد شهدته البشرية للتجمعات الإنسانية ذلك أنه "من المميزات العامة للتفكير الإسلامي ... أنه أولا، نشأ نتيجة للتطور التاريخي وثانيا أنه كان يقصد أن تصاغ عناصره في صيغة قانونية، حتى يمكن بقدر ما تسمح به الأحوال أن يطبق في حياة الجماعة العملية، وثالثا، وهذه الخاصية تميزه عن التفكير الغربي في كثير من عصوره – أنه كان مرتبطا دائما بالقيم الأخلاقية لا يستطيع أن ينفصل عنها أو يتجاهلها، بل إن هذه القيم كانت هي غاياته الأساسية، وجوهر حياته الذي يفقد كيانه إذا افتقدوه، ورابعا أنه منذ نشأته رسمت له حدود جعلت تطوره ينتهي إلى غاية لا يعدوها وغن كان من الممكن في العصر الحاضر أن يجعل ما انتهي إليه من نتائج كأساس، ويبدأ في تجديه ووضع نظام محدث له"[1].

الفضائل الفكرية والخلقية وعلاقتهما بالتعليم والتأديب:

كثيرا ما يجد القارئ لكتابات الفرابي انطباعا مفاده أن أفكاره يغلب عليها طابع التجريد ذلك أنه "يغادر عالم الواقع لينسج لنفسه عالما من الأفكار والمجردات لا تمت إلى عالمنا إلا بصلات واهنة، وفي بعض الأحيان لا تمت إليه بأي صلة، وما ذلك إلا لأن الفلسفة عنده وسيلة للسعادة ولا سعادة إلا سعادة العقل ولذة التفكير والتأمل"[2].

فقوام المدينة الفاضلة عنده وجوهرها هو فعل التأمل والتدبر والتفكير "فالمدينة الفاضلة، مدينة غذاؤها التفكير وسكانها العقول المفارقة، وحيزها عالم المثل، وإذا وجدنا فيها أحيانا وصفا للواقع، فإما أن يكون هذا الوصف منطلقا لما بعده، وتمهيدا محسوسا للخوض في المجرد المعقول، إذ لا يجوز أبدا البدء بالمجرد القاحل، بل لا بد من التمهيد له بالمادي المحسوس"[3].

---

[1] المرجع السابق(ص ص 16 – 17).

[2] د. عبد الرحمن مرحبا، من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية، ص 459.

[3] المرجع والمكان نفسه.

والفضائل الفكرية هي قدرة الإنسان على الاستنباط والاستنتاج والتمييز بين العلوم الفكرية التي تحصل في الذهن بدون عوائق أو حواجز إدارية تمنع الوصول إلى المعرفة، يقصد الفرابي بالحواجز هي العوامل الذاتية التي أطلق عليها بيكون الأوهام أو الأصنام، إذن فالقوة الفكرية وظيفتها استنباط الطريقة أو الوسيلة لتحقيق غاية ما أو علم ما تلك الغاية يضعها المفكر أو لا في نفسه ثم يبحث عن الطريقة التي يبلغ بها تلك الغاية، وتختلف الطريقة أو الوسيلة باختلاف الغاية أو الهدف، فإذا كانت الغاية خيرا كانت الوسيلة المستنبطة خيرا، وإذا كانت الغاية شرا كانت الوسيلة المستنبطة شرا، وإذا كانت الغاية خيرات مظنونة كانت الوسيلة المستنبطة خيرات مظنونة أي مشكوك في أمرها.

وينتج عن ذلك أن الفضيلة الفكرية متنوعة بتنوع الحقول أو اتجاهاتها التي تعمل فيها، فهناك "الفضيلة الفكرية المدنية التي تستنبط القوانين النواميس النافعة للمدن والأمم التي سبق ذكرها، وهناك الفضيلة المنزلية التي تنفع في تدبير المنزل خاصة بشؤون المرأة، وهناك الفضيلة الجهادية التي تنفع في وضع الخطط الحربية، وهناك الفضيلة الصناعية التي تنفع في وضع الآلات والأدوات المختلفة، أما الفضائل الخلقية عند "الفرابي" هي المبدأ الداخلي للأفعال التي تحقق السعادة والخير للفرد، تأتي بعد الفضائل الفكرية لأن هذه الأخيرة شرط لها، كما يرفض الفرابي أن تكون الأخلاق وليدة العقل ويرى أنها وليدة الطبع"[1].

أما بالنسبة لتحصيل الفضائل فيرى الفرابي أنه يجب على الإنسان أن يسعى لتحصيلها عن طريقتين وهما: التعليم والتأديب حيث يقول: "التعليم هو إيجاد الفضائل النظرية في الأمم والمدن، والتأديب هو طريق إيجاد الفضائل الخلقية والصناعات العملية في الأمم، والتعلم بالقول فقط، والتأديب هو أن تُعوّد الأمم والمدنيون الأفعال الكائنة عن المكان العملية، وبان تنهض عزائمهم نحو فعلها وان تصير تلك أفعالها مسؤولية ويجعلوا كالعاشقين لها، وإنهاض العزائم نحو فعل شيء ربما بقول وربما كان بفعل"[2].

[1] حنا الفاخوري وخليل الجر، تاريخ الفلسفة العربية، دار الجيل، ط1، بيروت 1982 ص 138.

[2] المرجع نفسه، ص 140.

من هذا النص نجد أن الفرابي فرق بين التعليم والتأديب، فضيلة التعليم مباشرة فهي إيجاد الفضائل النظرية وهي معرفة غير مباشرة فهي عكس الحديثة والعلمية ذلك أنها تحتاج إلى وسيط يتم به الانتقال من المعلوم إلى المجهول، وهذا الوسيط هي الخطوات الجزئية لتحصيل المعرفة ويكون بالقول فقط مثل علم الإلهيات، أما التأديب فيرمي إلى إيجاد الفضائل الخلقية التي تسعى دائما لفعل الخير سواء كان ذاتي مثل الحكمة والعفة والشجاعة والعدالة أو كان للغير مثل فعل الخير، وهذا يعني أن الفضائل الخلقية تكون بالقول وبالفعل، وأحسن طريقة للتعلم عند الفرابي هي مزاولة الكتابة التي تكسب الإنسان جودة صناعية وكلما داوم عليها صارت هذه الكتابة أقوى وأفضل وتزيد قوتها بالتكرار من أجل ترسيخ المعلومة.

"وإذا واظب عليها الإنسان صارت النفس أقوى وأكمل وبالتالي لا تصبح ميّالة ومحبة للمادة أو الشهوة، ويجب تربية الصبيان على الكتابة والحفظ في الكتاتيب والجوامع، كما حدد فروع تلك المعرفة التي سبق ذكرها التي ينبغي توفيرها في المدينة الفاضلة، ويجب أن يواصل أهلها في طلب العلم حتى يصلوا إلى مرتبة العشق في طلبه"[1].

ولكنه لم يتطرق إلى كون العلم أمرا مشتركا بين كافة الطبقات، إلا أنه رأى أنه ضروري لعامة الناس ولكن حسب إرادتهم، أي أنه لم يحدد له نظاما بل خصّصه لفئة محددة من البشر الذين تتوفر فيهم شروط دراسة الحكمة.

نفهم من الفرابي في نظريته التربوية أن العلم لكافة الناس أما الحكمة فخصّصها لفئة محددة وهي التي جعل فيها نظاما تربويا، وذكر نضامهما "ظهير الدين البيهقي" عن الفرابي يتحدث فيه عن الآداب العامة لطالب الفلسفة ذلك من أراد الشروع في دراسة الحكمة الفلسفية عليه "أولا أن يكون شابا، صحيح المزاج متأدبا بآداب الأخيار، قد تعلم القرآن واللغة وعلم الشرع أولا، ويكون عفيفا متحرجا صدوقا، مُعْرضًا عن الفسق والفجور والغدر والخيانة، والمكر

[1] فاروق سعد، مع الفرابي والمدن الفاضلة، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1982، (ص ص 99 – 100).

والحيلة ويكون فارغ البال عن مصالح معاشه، ويكون مقبلا على أداء الوظائف الشرعية غير مُخلٍ بركن من أركان الشريعة، بل غير مخل بأدب من آداب السنة، ويكون معظما للعلم والعلماء ولم يكن عنده شيء أعلى قدرا إلا العلم وأهله، ولا يتخذ علمه من جملة الحرف والمكاسب"[1] يعني المعلم الثاني من هذا النص أن هناك جملة من الآداب العامة لطالب الفلسفة يأتي ضمنها: أهمية دراسة القرآن الكريم واللغة العربية وعلم الشرع قبل الدخول في الفلسفة وهو ما يؤكد على الوجهة الإسلامية لفلسفة الفرابي، وأنه لا يقدم الفلسفة كبديل للعلوم الإسلامية، كما لا يقدم الأخلاق الفلسفية كبديل للأخلاق الإسلامية.

إلا أن الفرابي لم يضع برنامجا محددا لتربية الحاكم كما فعل أفلاطون ولم يحدد العلوم التي يجب أن يتقنها حتى يصبح حاكما وفيلسوفا لأن خصال رئيس المدينة الفاضلة لدى الفرابي "يكون معدّا لها بالطبع والفطرة لأنه بمثابة النبى ،فقد بلغ من التفوق ما يجعله مَسْتَغْنِيًا عن الخبرة العلمية"[2].

نظريته في الاجتماع البشري وضرورته:

يقول الفرابي: "وكل واحد من الناس مفطور على أنه محتاج في قوامه وفي أن يبلغ أفضل كمالاته إلى أشياء كثيرة لا يمكنه أن يقوم بها كلها وحده، بل يحتاج إلى قوم يقوم له كل واحد منهم بشيء مما يحتاج إليه وكل واحد بالنسبة لكل واحد آخر بهذه الحال".[3]

يقرر الفارابي في عبارته السابقة أن الإنسان مدني بطبعه، وأنه محتاج من الناحيتين المادية والمعنوية إلى أشياء كثيرة ليس محتاج من الناحيتين المادية والمعنوية إلى أشياء كثيرة ليس

[1]–الفرابي السياسة المدنية نقلا عن ظهير الدين البيهقي، تاريخ حكماء الإسلام، دار الثقافة، ط1، القاهرة 1986 (ص ص 34 – 35).(د.ط)

[2]–هالة أبو الفتوح أحمد، المدينة الفاضلة عند كونفو شيوش ،ص 181.

[3]– المرجع والمكان نفسه.

في وسعه أن يستقل بأدائها وينفرد في القيام بها، بل محتاج إلى عمل كل فرد في مجتمعه ولعله يشير إلى الناحية المعنوية بقوله: "أفضل كما لاته" وهي السعادة"[1].

وهذا التعبير الأخير تعبير فلسفي مأخوذ من مذهب أفلاطون وأرسطو، إذ أن الكمال المطلق عندهما هو السعادة والسعادة أن يُعَبّدَ للإنسان طريق القيام بالأمور التي تخصه وهي الأعمال التي تصدر عن فكر وروية وإنما كانت السعادة أفضل الكمالات، لأنّها تتصل بأفضل القوى الإنسانية وهي القوة العاقلة فالفارابي يريد أن يقرر أن السعادة نفسها لا ينالها الإنسان إلا بالتعاون، وخاصة التعاون الفكري، والناس قاطبة في حاجتهم إلى التعاون سواء"[2].

فالاجتماع البشري عند الفرابي إذن ظاهرة طبيعية وليس شيئا مصطنعا يقوم على القهر والقوة كما قال السوفسطائيون من قبل، والتعاون الإرادي – لا الغريزي – هو أساس هذا الاجتماع فهو عند تشبيهه المدينة بنظام البدن يفرق بين تعاون الأعضاء وتعاون البشر فيقول: "غير أن الأعضاء، أعضاء البدن طبيعية، والهيئات التي لها قوى طبيعية، وأعضاء المدينة، وإن كانوا طبيعيين فإن الهيئات والملكات التي يفعلون بها أفعالهم للمدينة ليست طبيعية بل إرادية"[3]

فالتعاون الحقيقي عند الفارابي لا يصدر عن عوامل فطرية طبيعية، وإنما يصدر عن هيئات وملكات إرادية ومنها غير الكاملة، والكاملة ثلاث: عظمى، ووسطى وصغرى، فالعظمى اجتماعات الجماعة كلها في المعمورة، وَالوسطى اجتماع أمة في جزء من المعمورة، وَالصغرى اجتماع أهل مدينة في جزء من مسكن أمة، وغير الكاملة: اجتماع أهل القرية، واجتماع أهل المحلة، ثم اجتماع في سكة، ثم اجتماع في منزل والمحلة والقرية هما جميعا

[1] علي عبد الواحد وافي، فصول من آراء أهل المدينة الفاضلة، مطبعة الفكرة، القاهرة، ط1– 1950– (ص ص / 13– 14).

[2] المرجع نفسه، المكان نفسه.

[3] الفارابي، آراء أهل المدينة الفاضلة. تحقيق ألبير نصري نادر، بيروت 1959. ص 16.

لأهل المدينة: إلا أن القرية للمدينة على أنها خادمة للمدينة، والمحلة للمدينة على أنها جزؤها، والسكة جزء المحلة، والمنزل جزء السكة والمدينة جزء سكن أمة، والأمة جزء جملة أهل المعمورة".[1]

وهذا التقسيم الذي قدمه الفارابي للمجتمعات إلى كاملة وغير كاملة يتضح منه دقة الفارابي ومراعاته للواقع الذي أخذ عنه هذا التقسيم، فهو يرى أن المجتمعات الكاملة هي ما يتخفف فيها التعاون الاجتماعي بوجه كامل ويقصد بالمجتمعات غير الكاملة، مالا تستطيع أن تكفي نفسها بنفسها أو مالا يتحقق التعاون الذي ذكره فيها بصورة كاملة.

في مجتمع واحد تحت سلطة حكومة واحدة ورئيس واحد، والأوسط، وهو ما يليه كمالا، هو اجتماع أمة في جزء من العالم بحكومة مستقلة، والأصغر، وهو أقلها جميعا في الكمال هو اجتماع أهل مدينة في أمة بحكومة مستقلة كذلك.

" ويلاحظ أن الاجتماع الأول الذي ذكره الفارابي وجعله أكمل المجتمعات الكاملة جميعا، لم يذكره أحد قبله، بل لم يخطر ببال فلاسفة اليونان الذين اغترف من فلسفتهم ونظرياتهم كأفلاطون وأرسطو ولعل ذلك يرجع إلى تأثير بتعاليم دينه إذ أن الإسلام يهدف إلى إخضاع العالم كله لحكومة الخليفة، أما فلاسفة اليونان فلم يكن عندهم تلك الفكرة، بل أكبر مجتمع فكروا فيه ووقعت عليه مشاهداتهم كان المدينة أو الجمهورية"[2]

ولم يذكره أحد بعد الفارابي من الفلاسفة إلا ماركس وفلاسفة اليوتوبيا الماركسية الذين يقولون بمرحلة قادمة بعد مراحل الاشتراكية وهي مرحلة لشيوعية الكاملة، تلك التي تتحقق فيها الشيوعية في جميع أنحاء العالم فيعيش العالم كله بلا دولة بلا حكومة مؤمنا بالمبادئ الشيوعية الاقتصادية والسياسية والاجتماعية.

أما الاجتماع الثاني الأوسط من المجتمعات الكاملة الخاص باجتماع أمة في جزء من المعمورة فلم يذكره أحد قبل الفارابي أيضا وإن كان قد تحقق في اجتماع الأمة الإسلامية

---

[1]–المصدر السابق ، ص 16

[2]علي عبد الواحد وافي،فصول من ىراء أهل المدينة الفاضلة ص 16.

بدولتها الكبرى وهو الآن يمثل أملا من آمال الشعوب وتكون دولة واحدة ذات حكومة مستقلة كي تواجه تحديات هذا العصر بدوله الكبرى وأطماعها في دول الأمة العربية، وإن كان هذا حلم قد حلم به الفارابي ونحلم نحن به الآن فقد يتحقق يوما وتصبح الأمة العربية والإسلامية دولة كبرى لا تقل أهمية وتأثيرا عن الدول الكبرى الأخرى.

أما المجتمعات غير الكاملة فيقسمها الفارابي أربعة أنواع: اجتماع أهل القرية، وهي مجتمع تابع للمدينة وخادم لها، وَاجتماع أهل المحلة، وهي جزء من المحلة، واجتماع في منزل، وهو اجتماع أفراد الأسرة في منزل واحد، وأنقص تلك المجتمعات في نظره هو مجتمع الأسرة، وأقل منه نقصا هو مجتمع السكة وأقلها جميعا في النقص وأدناها إلى المجتمعات الكاملة مجتمعا القرية أو المحلة، وهاتان في درجة واحدة، غير أن الثانية جزء من المدينة، بينما الأولى خادمة وتابعة لها.

ويتطرق بنا الفارابي إلى الحديث عن المجتمعات الكاملة فقط، غير أنه أهمل القسمين الأولين من هذه المجتمعات وهما اجتماع العالم واجتماع الأمة، قصر كلامه على اجتماع المدينة، ولعل السبب في ذلك يرجع إلى ما يأتي:

" أنه رأى أن اجتماع العالم على الصورة التي ذكرها هو اجتماع مثالي ولكنه متعذر التحقيق، وأن المدينة هي الخلية الأولى للمجتمعات الكاملة، فبصلاحها تصلح هذه المجتمعات وبفسادها يعتريها الفساد، فالكلام على الأمور التي يجب أن تتوافر فيها حتى تكون فاضلة، وهو الذي عرض له الفارابي في حديثه عن المدينة الفاضلة[1].

[1] د. مصطفى النشار، تطور الفكر السياسي القديم، (م، س) (ص ص/ 245 – 246).

4-المدينة الفاضلة عند القديس أوغسطين وعلاقتها بمجتمع المعرفة:

1- المدينتين السماوية والأرضية:

يعتبر كتاب "مدينة" الرب للفيلسوف أوغسطينAugustine(354-430)م أهم مؤلف له، يتراوح بين البعد الديني واليوتوبي، وقد قسم العالم فيها إلى مدينتين متصارعتين هما مدينة الرب ومدينة الشيطان، فالأولى سماوية خالية من الشرور والآثام ويعمها السلام، أما الثانية فأرضية وهي موطن الفتن والحروب و الاقتتال.

"وينطلق أوغسطين في التأسيس لذلك عبر ما في طبيعة الإنسان من ميل ومحبة، وهذه المحبة تنقسم لديه على قسمين: محبة الذات ومحبة الله، أو ولاءين: الأول للمدينة التي وُلد فيها، والثاني لله[1].

ونتيجة للخراب الذي لحق بالمدن الرومانية، والذي كان يرجعه الرومان إلى الديانة المسيحية، فقد أتى أوغسطين "بالمشروع البديل، وهو نموذج المدينة السماوية الخالدة التي تحاكي تنظيم عشيرة الملائكة الأخيار، وفيها يؤسس حضارة على نواميس أخلاقية ومرجعيات دينية خالصة، وهذا ما يتحقق في نهاية التاريخ"[2].

فالمدينة الفاضلة عنده تتجسد في المدينة السماوية "لذلك معنى المدينة سماوي مثالي يبتعد كل البعد عن شرور البشر، فالمدينة المثالية عند أوغسطين وجدت لتجاوز الشرور، كما لها بعد فلسفي يندرج ضمن ما يسميه الفلاسفة منذ زمن توماس مور بـ "اليوتوبيا" بحيث للمعتقدات الدينية نصيبها في تغذية روح اليوتوبيا المرهونة بغائية التاريخ ونهايته بمعنى بلوغ الكمال أين يعود الحق، وتكون الاستقامة بقدوم المخلص الذي يعتق مجتمعه من الشرور، ومثل هذا التصور طالما تداول على الألسنة، عبر مختلف المعتقدات"[3].

---

[1]-علي عبود المحمداوي، الفلسفة السياسية، كشف لما هو كائن، وخوض فيما ينبغي للعيش معا، منشورات ضفاف لبنان، ط1، 2015، ص 87.

[2]-عابد زيد الوائلي وآخرون، اليوتوبيا والفلسفة ص 110.

[3]-المرجع السابق ، ص 111.

ولا تخرج يوتوبيا المدينة الفاضلة عند أوغسطين عن اليوتوبيات ذات الصيغة الدينية المقترنة بالخلاص والتي يتم تداولها في الخطاب المسيحي "إذ الحقيقة ملك لمحور الخير، ويوتوبيات المسيحية هي امتداد للفهم القديم من خلال إدخال مفهوم السعادة بعد الموت، فانتشرت ثنائية القول بالثواب والعقاب، وتبرير ثنائية الثواب والعقاب هو من جعل المدينة الأرضية عرضة للفساد بعد بطلان ملتها، فقد انفلتت الواقعية من أوغسطين بتعاليه وتعففه الذي أمات الجسد وأفنى الذات في محبة الله والتسامح من خلال بحثه عن الإنسان الفاضل الكامل أو هم المواطن داخل المدينة السماوية التي تحاكى الملائكة الأبرار، وبالتالي مستقر مدينة الله أرض لإمكانية وأهلها بشر معفون من كل الشوائب والشرور، وهذا فيه طغيان المعيارية على حساب ما هو كائن"[1].

إلا أن المدينتين السماوية والأرضية تبقيان في صراع دائم وتنافسية لا تنفصم، ولا يمكن أن نجعل تفضيله لمدينة الله سببا لرفض المدينة الأرضية ومقاطعتها، ولا مسوغا للمطالبة بإلغائها والقضاء عليها، وقوله بإمكانية انتقال أهل المدينة الأرضية إلى المدينة السماوية، وارتقاء الحاضرة الأرضية، وبلوغها مرتبة الكمال مشترطا لذلك وجود هيئة أرضية ترشدهم السبيل، وتقودهم إلى طريق الخلاص وهذه الهيئة هي الكنيسة، لأنها ذلك الجزء من المدينة الإلاهية المقيم على الأرض مؤقتا بوصفه أسيرا أو غريبا، لكنه يستمد حيويته في أسره وغربته من قوة عقيدته وعمق إيمانه ويوجب أوغسطين على الحاضرة الأرضية اعتناق المسيحية إذا ما هي أرادت بلوغ الكمال"[2].

كما يرى أوغسطين أن: "مدينة الله لا تبطل الحاجة إلى المجتمع المدني (مدينة الدنيا) فليس غرضها أن تستبدل المجتمع المدني، وإنما أن تكلّله عن طريق تزويده، فضلا عن المنافع التي يمنحها، بوسائل تحقيق هدف أسمى من أي هدف يمكن أن يسعى إليه مجتمع مدني

[1] المرجع نفسه، ص 111.

[2] عامر حسن فياض، وعلي عباس مراد، إشكالية السلطة: تأملات في العقل الشرقي القديم والإسلامي الوسيط، دار الشؤون الثقافية، بغداد ط1، 2005، ص 174.

إنه لا يمكن الاستغناء عن المجتمع المدني نفسه من حيث أنه يدبر، ويقدم الخيرات المؤقتة أو المادية التي يحتاج إليها الناس هنا على الأرض ولذلك لا تلغي المواطنة في مدينة الله، المواطنة في مجتمع دنيوي مؤقت"[1].

والسياسة في المدينة الفاضلة لا تكون بالسلطة وبالحاكم وإنما بالإيمان الذاتي عند الأفراد الذي هو الحب فوزن الإنسان من حبه وهذا الحب يسمو إلى مستوى المقدس وليس هو اتباع شهوات البدن، ويذكر القديس أوغسطين موضحا هذا في الكتاب التاسع من مدينة الله "ومن الممكن أن الرومان قد خدعوا أنفسهم حول تعليم أبيقور، فمارسوها على أساس أنها تقتضي الاستسلام للحواس، أما الإفراط فإنه يدفع للألم[2].

وتجاوز الألم يكون بإعطاء الأولوية للكلمة وتجلياتها الحقيقة من قيم ترعاها الكنيسة المسيحية وهذا بتحقيق العدالة وبلوغ المحبة بانتصار الإيمان، واتحاد البشر مع الرب كما اتحد المسيح في أول تجلى له.

لذلك يستند أوغسطين على البعد الديني والأخلاقي داخل المدينة ومثل هذه القيم بالطبع تجر الفكر السياسي عند القديس أوغسطين إلى المثالية والطوباوية وهذا من خلال تصور البشر معقمين من الخطايا"، وعلى هذا النحو نجد تصور نيتشه للإنسان الأعلى كونه طبيب أوروبا يعالجها من العدمية، لكن انزلق نيتشه في فخ المثالية التي ليست غربية على التقليد الفلسفي الألماني، أيضا القديس أوغسطين يصور لنا أهل المدينة السماوية مثل الإنسان الأعلى وهذا من خلال إعطاء الأولوية للقيم الايطيقية على حساب السياسة وهذه القيم السياسية ترعاها الكنيسة، وبالتالي شرع لطغيان الكنيسة باسم العناية الإلاهية"[3].

---

[1]–ليوستراوس وجوزيف كروبسي، تاريخ الفلسفة السياسية من ثيوكيديس حتى اسبنوزا، ترجمة محمود سيد احمد مراجعة وتقديم إمام عبد الفتاح إمام المشروع القومي للترجمة، مصر، 2005(دط)، ص 289.

[2]–القديس أوغسطين، مدينة الله، تر الخور أسقف يوحنا الحلو ،الكتاب التاسع، دار المشرق بيروت (د،ط)(د س ط) ،ص 101.

[3]– عامر عبدزايد الوائلي وآخرون ،اليوتوبيا والفلسفة الواقع المتحقق وسعادات التحقق، ص 114.

وإن أراد أوغسطين بالتوظيف السياسي لليوتوبيا دفاعا عن تدهور روما فإنه تبرير لمشروعية القيصر الذي زكّاه رجال الدين طيلة القرون الوسطى فاليوتوبيا في حقيقة الأمر كما يذكر فرنسوا شاتليه" هي دفاع عن الواقع بافتراض اللاماكن واللازمان، حتى أنهما يؤولان إلى طغيان يزداد تجسيده وراء التمني والأحلام، فالمكان مكان آخر في الزمان يرتدي دلالة متميزة إنه قلب لنظام قائم، ولنموذج آخر قائم"[1].

والنظام الآخر هو نظام الكنيسة كون البشر ممثلين فقط لمسرحية ألفها الرب، وطلب الصمود للرعية يكلفهم الولاء للقيصر والقديس، على حد سواء لأن نور الحق لا يسطع إلا داخل الكنيسة التي يقول عنها القديس أوغسطين "بأنها الثبات الذي يضيء لي سلبي"[2].

والسبيل الذي اهتدى إليه من شايع المسيحية، وظل عنه كل من اتبع حضارة روما المادية التي انتهت حوالي" 410م بعدما تعرضت للغزو من طرف جماعة الأريك، هذا وتجدر الإشارة إلى أن قبائل القوط، قاموا بهجومات حادة وعنيفة ضد الإمبراطورية إذ دمّروا ونهبوا عاصمة روما"[3].

ولو اهتدى الأفراد إلى المسيحية ما وقع ما قد وقع من خراب ودمار، لكن تجاوز الخراب قدم السلطة الروحية على حساب الزمنية، وجعل كل سبل بناء الحضارة تنطلق من تعليم الكنيسة الوسيط بين الله والبشر، وهي من تشرق بالمعارف على الرعية وتدبر شؤون الناس، وهذا ما نقل أهل المدينة السماوية من طغيان المدينة الأرضية إلى طغيان مقنن مصداقية من اللاهوت المسيحي الذين جعلوا لا سلطة إلا من عند الله وكل من خالف هذا المبدأ يستحق العقاب.

---

[1]– شاتليه فرانسوا، تاريخ الأفكار ، تر: خليل أحمد خليل (د ط)، دار الفكر العربي، بيروت، 1984، ص 218.

[2]– القديس أوغسطين الاعترافات.تر إبراهيم الغربي ،المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون بيت الحكمة،2012.دون طبعة ،ص 96.

[3]– جان سارفييه، تاريخ اليوتوبيا، ص 61.

وهذا مهّد الأرضية لقيام تيولوجيا بأوروبا طيلة القرون الوسطى بحجة أن اليوم هو للقيصر بأملاكه وحكمه، والغد هو للرعية بخلاصهم، لكن رفع فلاسفة الأنوار شعار أن لا سلطة تعلو سلطة العقل، وظهرت بوادر العلمانية بأوروبا لتجاوز طغيان اللاهوت المسيحي، فإن كانت مدينة الله للقديس أوغسطين مثالية إلى درجة اليوتوبيا، فإن اسقاطاتها الواقعية بررت مشروعية سلطة الملك والقديس بحجة أن المعرفة إلاهية وليست من اختصاص البشر، وصاحب المعرفة القديس الذي استبد إلى درجة المتاجرة بصكوك الغفران، وحجة صمود الرعية أمام هذا الطغيان خوفهم من الترهيب الديني في الحياة الأبدية.

2-الأمم المسيحية:

يعد أبرزها ما استحدثه أوغسطين من أفكار تصويره لفكرة مجموعة الأمم المسيحية christian commonnealth إضافة إلى فلسفة التاريخية التي تصور هذه (الأمم) على أنها ذروة التطور الروحي للإنسان، وبفضل قدرة أوغسطين العظيمة استطاعت هذه الفكرة أن تصبح جزءا أساسيا من الفكر المسيحي فامتد انطباع هذا الفكر بها لا إلى العصور الوسطى فحسب، بل وإلى عصورنا الحديثة.

دافع أوغسطين عن فكرته القائلة بضرورة أن تكون مجموعة الأمم (الكومونويث) مسيحية وذلك لأنه يعتقد أن أية دولة تعجز عن إقامة العدالة ما لم تكن مسيحية ومن الخطأ القول: بأن دولة "لا مسيحية" تستطيع أن تعطي كل ذي حق حقه، أي إقرار العدالة وتطبيقها، إذا لم تكن هي تستطيع أن تعطي حق الله نفسه في العبادة، واعتقد أوغسطين أن الإمبراطوريات ما قبل المسيحيّة، كانت دولا بالمعنى الضيق والمحدودة، لأن أيّة مجموعة بشرية لا يمكنها أن تكون دولة بالمعنى الدقيق والحق، إلا إذا كانت مسيحية.

ولذلك لا يتنسى مطلقا لأي حكومة لا تمتلك صلة بالكنيسة أن تكون عادلة، ونتيجة لما سبق، تتأسس فكرة سيادة الكنيسة واستقلالها فهي تختص بالسلطة الروحية، بينما السلطة السياسية الزمنية تقتصر على ما هو مشاع بين الناس بسبب الحاجات المادية.[1]

3-العدالة:

يقيم أوغسطين تمييزا بين العدالة لدى الفرد والعدالة في الدولة، متأثرا بأفلاطون، والانسجام المتوخى لديه، شبيه بانسجام أجزاء الجسم الإنساني، فإذا تحققت العدالة وعمّ السلام بين أعضاء الجسم الاجتماعي، يمكننا القول: إن الغاية الأساسية للتجمع البشري قد أُنْجِزَتْ وتحققت وكذلك يميز أوغسطين بين العدالة الاجتماعية والعدالة المطلقة، وبين القانون الدنيوي والقانون الأبدي:

أ-**القانون الدنيوي:** يدفع الأفراد إلى التخلي عن مصالحهم الشخصية من أجل مصلحة عامة ومشتركة.

ب-**القانون الأبدي:** هو الذي يقضي بتوافق القوانين المدنية الخاصة مع المعايير والقواعد الثانية التي في المدينة المقدسة "مدينة الله".

ولذلك فإن "مواطن مدينة الله يعرف غالبا من العدالة التي يطبقها في بلده الخاص، ويتوافق مع قوانين هذا البلد ويحاول ففقط نشر السلام المدني في العلاقات بين الأمم إن إيمانه في المدينة المقدسة يقوي عدالته في المدينة المقدسة يقوي عدالته في المدينة التي يعيش [فيها] فإن خضوعه للقوانين يجد حدا لا يمكن تجاوزه في متطلبات إيمانه، فهو لا يطيع قيصر إلا بمقدار ما يطيع قيصر الله المدينة المقدسة هي مدينة المختارين من الله قبل أن يفرقهم الموت ثم يجمعهم"[2].

[1] جورج سباين، تطورا الفكر السياسي، ج2، ص 279.

[2] جان كلود فريس، القديس أوغسطين، تر عفيف رزق المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت (دط) (ص ص/70 – 71).

كما يرى أوغسطين أن المجتمع الأرضي أو المدني إنما يرتبط بالنظام والإرادة الإلاهية من عدة أوجه هي:

أولا: عن كل سلطة تنبثق عن الله: فمن الله يكون مبدأ أكل سلطة وإن كان الإنسان يتحالف مع قرينه لكي يختاروا زعيما لإرادتهم وهو ما يؤسس المدينة الأرضية إلا أنه غير كاف لكسب الشرعية لهذا السلطان، من الدقيق أن نقول عن هؤلاء الحكام أنهم يحصلون على وظيفتهم عبر الانتخاب أو الحظ أو الوراثة، لكنهم لا يكتسبون السلطة إلا من الله الذي ترك لهم المسببات الثانوية لتقوم بدور التفضيل والاختيار أو الخضوع بينما السلطة في جوهرها وفي أصلها مستمدة من مشيئة الله.

ثانيا: الله هو المنظم لكل شيء ولا يترك الناس دون عناية:

يعني أنه من المستحيل أن يترك ممالك الأرض ومدنها بلا رعاية منه وحتى صور الاستبداد إنما هي بمشيئة من الله وفق عنايته، وإن كانت غامضة لدينا، إلا أنها، في تصور أوغسطين، تحمل حكمة يجب أن نخضع لها.

نجد في نهاية المطاف مع أوغسطين، أنه كان يميل لخضوع سلطة المادة إلى سلطة الروح، لأنها الوحيدة التي تكفل العيش بهناء وسلام وطمأنينة وتلك هي مهمة المؤسسة الدينية التي تأخذ على عاتقها وظيفة التطوير الروحي لمؤمنيها من المسيحين.

الفصل الثالث : مجتمع المعرفة العربي بين الواقع والمأمول

المبحث الأول : الملامح العامة لمجتمع المعلومات والمعرفة في الوطن العربي

المبحث الثاني : جهود دول المشرق والمغرب العربيين للولوج إلى مجتمع المعرفة

المبحث الثالث : مجتمعات المعرفة رؤية نقدية

المبحث الأول: الملامح العامة لمجتمع المعلومات والمعرفة في الوطن العربي

أولا: واقع الدول العربية

هل نستطيع المجازفة بالقول أن الوطن العربي على خطى تحقيق مجتمع المعرفة ؟ هل يمكن أن نصف الحال التي وصل إليها العرب حاليا وبالذات في سنة 2021 أننا مجتمع معرفة ؟ قد يبدو غريبا للغاية ما نلحظه على أرض الواقع وما نعيشه حقيقة مقارنة بما نقرؤه على صفحات وجداول التقارير الدولية وخاصة منها بالذات المتعلقة بقياس حال المعرفة في الوطن العربي وأقصد بها منظمات الأمم المتحدة والألسكوا ، ومؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم التي صراحة تقوم بعمل جبّار في هذا المجال (بعيدا عن الممارسة السياسية والقرارات الصادرة عن دول الخليج العربي)

في إحدى زياراتي للجمهورية العربية المصرية ، وأثناء تعريجي للقاء المفكر حسن حنفي(رحمه الله) ، لم أترك صراحة هذه الفرصة تمرّ سدى ، إذ حاولت أن أستفسر منه عن موقفه الصريح من إمكانية إقامة مجتمع معرفة عربي(كنت قد دونت بعض الملاحظات على كناشة لي ، حتى لا أطيل الزيارة) ، فكانت كلماته :" في أي لحظة من التاريخ نعيش؟ لا زلنا نحاول أن نتحرر من سلطة القدماء ، الكلام القديم ، الفقه القديم ....ولم يصبح العقل بعد حرا ، بأن يفكر بعيدا عن الأنساق القديمة : أشاعرة ، معتزلة،سنّة ...مجتمع المعرفة لازال بعيدا ، في الوقت الذي نتحرر فيه من سلطة القدماء،وحتى يجد العقل أنساقا معرفية جديدة ...كل من يفكر مهدد بالردة والتكفير والخروج عن إجماع الأمة،الفكر الحر لا يستطيع بعد أن يدافع عن نفسه ، مجتمع المعرفة هو مجتمع منهج،مجتمع ثورة ....مازال

بعيدا ...مازلنا نعتمد على قال الله وقال الرسول وقال الرئيس،حجة القول هي السائدة،العقل لا يستطيع أن يفكر ...فالأرضية ليست حرة "[1]

وكما ورد في ختام تقرير التنمية الإنسانية العربية 2003:" إن التقدم العلمي تحت القهر يرتبط بالتضييق على الحريات ، مما يؤذي التنمية الإنسانية من أوسع الأبواب ، أما إن أردنا معرفة راقية في شتى مجالات الإبداع فالحرية لازمة ، وإن أردنا تنمية إنسانية من خلال اكتساب المعرفة فالحرية لاغنى عنها " [2]

وكما ذكره فتحي التريكي في كتابه فلسفة الحياة اليومية :" إن أساس الحقوق يكمن في الحرية ، وأن أساس الحرية هو احترام الذات واحترام الآخر ، بدون ذلك سوف لن يخرج الإنسان عن حالته الطبيعية مهما تطورت مركزيته الإجتماعية وحالته الإقتصادية ، فالإنسان

فاقد الحرية والذي يقود سيارة أو طائرة مثلا هو كالحيوان الذي يقود عربة ، يمكن أن نخفف من آلامه ونضمن له نوعا من الرفاهية ولكننا لا نستطيع ضمان إنسانيته إلا إذا ما تحصل على حريته كاملة ومارسها بدون تحفظ ، والسلطة التي لا تكرّس إنسانية الإنسان هي سلطة البهائم والحيوانات ، فتكون هي أيضا متخلفة لا تخرج عن حالة الطبيعة ، هكذا يكمن أساس السلطة القوية في تمكين الفرد من حريته وكرامته " [3].

فحتى ننوي القيام ببناء مجتمع معرفي لابد لنا من معرفة موقعنا من خارطة الزمان والمكان أن نتحدث عن إمكانية قيام مجتمع معرفة عربي ، فذلك ليس بالمستحيل ولكنه ليس من السهل أيضا ."إن المجتمعات العربية تملك غنى في المعطيات كما تملك فائضا في الموارد، ولكن مقابل هزال في الإنجازات ، مردّه إلى النقص الفادح في الأفكار الحية والخصبة

[1]–لقاء أجري مع المفكر حسن حنفي (رحمه الله)في بيته ، في إطار تربص قصير المدى جامعة الشلف.

[2]–تقرير المعرفة 2003 ، ص 163

[3]فتحي التريكي ، فلسفة الحياة اليومية ، ص 26، الدار المتوسطية للنشر ، بيروت ،تونس ،دون طبعة ، دون سنة الطبع

والخلاّقة ، ولهذا فإن أحوج ما تحتاج إليه هو أن تمارس حيويتها الفكرية ، بالتحرر من جملة من العقد واالحساسيات والمسبقات والآفات التي عرقلت المشاريع الحضارية ، كما تجسمت في عبادة الأصول وتقديس النصوص وتجنيس العقول والنرجسية الثقافية ، وقوقعة الهوية ، واستعداء العالم ، فضلا عن التهويل الايديولوجي والهوس النضالي والهذر الثقافي"[1]

إن الحرية عامل مهم وأساس في سبيل تحقيق القفزة نحو مجتمع معرفي ، الحرية بكل أبعادها فكرية ، سياسية واقتصادية.

لقد ورد في تقرير التنمية الإنسانية العربية 2003 ، أنه يتحاشى تقديم نموذج جاهز ، "وصفة جاهزة" يدّعي صلاحيتها لبناء التنمية الإنسانية في أي وكل من المجتمعات العربية

وقد جاء في هذا الصدد أيضا :" نحن نستعمل كلمة " مجتمع عربي " بدلا من " بلد عربي" أو " دولة عربية " في هذا المقام عمدا ، للتأكيد على أن " المجتمع" المعني يمكن أن يكون جزءا من دولة أو تجمعا من دول عربية أو الوطن العربي بكامله "[2]

في مقدمة كتابه " العرب وعصر المعلومات " الذي ألفه سنة 1994 ، يرفع الدكتور نبيل علي الدعوة والشعار من أجل الفزع من الوضع العالمي وكذا الوضع العربي مقارنة بما وصلت إليه تكنولوجيا المعلومات ، حيث يقول في ذلك :" ومتى يحين أوان الفزع إن لم يحن ونحن نطالع إحصائيات المنظمات الدولية التي تدرج كل البلدان العربية دون استثناء ضمن تلك الدول الجائعة معلوماتيا ، في حين توصف إسرائيل بأنها دولة نهمة تكنولوجيا ، وأن

1- علي حرب ، ثورات القوة الناعمة في العالم العربي ، منشورات الإختلاف ، الدار العربية للعلوم ناشرون ،لبنان ، ط1- 2011. (.ص ص/112،111.)

2- برنامج الأمم المتحدة الإنمائي ، تقرير التنمية الإنسانية العربية 2003، نحو إقامة مجتمع المعرفة ،المكتب الإقليمي للدول العربية 2003(د.ط ، ص 161.

أحد أهدافها من إقامة سلام ،"أي سلام" ، مع الدول العربية هو السيطرة على سوق التكنولوجيا المتقدمة في المنطقة "[1]

الثورات العربية :لا يمكن الحديث عن قفزة نحو تأسيس وبناء مجتمع معرفة عربي دون مراعاة المشهد السياسي العربي الذي نجده زخما ومتأججا بشتى أوجهه ، حتى وإن لم يشهد ثورات خارجية (العراق ، سوريا ، اليمن ، فلسطين ، السودان ، ليبيا ...) فإنه يشهد نزاعات داخلية " فالثورة على الظلم والطغيان والإضطهاد هي فعل فكري بالدرجة الأولى ، بهذا المعنى فالأصل في الإستبداد هو استعباد العقول والسيطرة على الأفكار ، وكما أن التنوير هو خروج المرء من قصوره العقلي ، فإن الثورة هي تحرره من سجنه الفكري وعلى النحو الذي يمكنه من ممارسة علاقته بوجوده كذات حرة مستقلة تفكر بصورة حية خلاّقة فعّالة من غير وصاية من أي نوع كان "[2]

لا يمكن أبدا الحديث عن مجتمع المعرفة العربي دون التوقف وتأمل ملامح هذا المجتمع التي يطغى عليها طابع التغيير المستمر والمعقد أحيانا أخرى"فالإنسان يقيم في حاضره ويعيش واقعه ، بقدر ما يتوجه نحو مستقبله ، أما الماضي ، فإما أن يكون مجرد متحف أو كهف أو ذاكرة موتورة أو هوية مغلقة أو ثوابت معيقة ، وإما أن يشكل خبرات ومكتسبات وأرصدة نبني بها ، بالعمل على تحويلها ، واستثمارها ، في صناعة حياتنا وبناء عالمنا " [3]

---

[1]–د.نبيل علي ، العرب وعصر المعلومات ، سلسلة عالم المعرفة رقم 184، ابريل 1994، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ص 28.

[2]– علي حرب ،ثورات القوة الناعمة،المركز الثقافي العربي،بيروت، ط1 ، 2005،ص 109.

[3]–المصدر نفسه ،(ص ص /115،116).

إلى أين وصلت الثورات العربية ؟:سؤال مهما حاولنا التملص منه ، إلا أنه سيظل يلح على تفكيرنا كقطرة ماء لن تتوقف عن السقوط ، فأي حديث عن العالم العربي لا يمكن أن يتجاهل الحركة أو الهزة الكبيرة الفارقة التي ألهمت الكثيرين والتي أسالت الكثير من الحبر والتي توجّهت إليها عدسات الكاميرات وأعمدة الصحف ، وصفحات الكتب والمجلات، ولكن على المستوى الملموس ، ما الذي حققته هذه الثورات ؟ هل نجحت في استئصال الداء؟ أم أنها لازالت تجرّب المراهم المختلفة على جرح سكن العظام ونخرها وصار سرطانا يسري في كافة الجسد العربي ؟

السؤال عن مآل الثورات العربية سؤال مشروع ، لأنه في كل مرة سيذكّرنا بضرورة معرفة المكان الذي نقف عليه ، حتى نحسن توجيه بوصلة السير ، فلا يصحّ أبدا ولا يجوز أن نتوقف عن السير ." فما جرى ويجري في تونس ومصر ، وفي غير بلد عربي ، من احتجاجات وتظاهرات واعتصامات في السّاحات العمومية ، على هيئة انتفاضة أو ثورة ، يشكل أحداثا كبرى أو مصيرية ، وسوف يكون لها مفاعيلها القوية وآثارها البعيدة ، عربيا وعالميا ، إذ هي سوف تقلب المعادلة وتكسر الصورة " [1]

ولعل أهم ما ميّز هذا العمل الثوري هو تأخر النخب العربية عنه إذ يقول علي حرب في ذلك"إن ما نشهده الآن هو ثورة من نوع آخر ، فهي ليست نخبوية، بل إن النخب أتت متأخرة ، بعد اندلاعها ، بقدر ما لم تكن تتوقعها أو تنتظرها ، هي حركة شعبية فجّرها أو انخرط فيها عاطلون وبائسون وناشطون في مختلف هيئات المجتمع المدني والأهلي ، في مواجهة ثالوث الإستبداد ، والفساد والبطالة ، بعد ذلك أتى المثقفون والدعاة والمنظّرون والطّامحون إلى استغلال الحدث أو إلى ركوب الموجة " [2] ويضيف قائلا :" ولأنها ثورات

[1]–المصدرالسابق ، ص 61.

[2]– المصدر والمكان نفسه.

شعبية ، فهي ليست جماهيرية ، بل تكسر ثنائية النخبة والجمهور ، أو الزعيم والحشد " [1] ذلك أنّ" الشعب غني وقوي بتنوعه وحيويته ، فيما الجمهور فقير وخاو بأفراده ، الذين هم نسخ عن بعضهم البعض ، والشعب يتكون من أفراد فاعلين مستقلين لهم عقولهم ، فيما الجمهور كتلة عمياء لا عقل لها تنتظر قائدها الذي يفكر عنها ، والشعب يبدع ويصنع حضارته ، فيما الجمهور ليس ذاتا بل هو مادة الاستبداد وآلة الخراب ، والشعب ينتفض ضد طغاته ، فيما الجمهور يعبد قادته ويؤلّه من يفتكّ به ويقوده إلى حتفه ،وهذا ما يفسر كيف أن عصر الزعيم والجماهير أنتج ما عانته الشعوب والمجتمعات البشرية من التألّه والتوحش والخراب والهلاك . ولذا ليس من المستغرب أن تتحول الثورات الإيديولوجية ، ذات الطابع الأحادي والشمولي والأصولي،إلى مناف ومقابر،المستغرب هو التعامل معها وكأنها أعياد وأعراس "[2]

وفي تعليقه على ما جرى في القاهرة يضيف علي حرب قائلا :" ما جرى في القاهرة من ثورة شعبية غير مسيّسة،خارجة عن الأطر الحزبية الحديدية والقوالب الإيديولوجية الإسمنتية، حيث يسود الشعار الواحد والخطاب الواحد والرأي الواحد ، وربما الزيّ الواحد،نحن إزاء انتفاضات معاصرة لا تعمل تحت يافطة زعيم أوحد أو قائد ملهم أو بطل منقذ،ولا يختزلها معتقد اصطفائي أو عقيدة مقدسة أو نظرية ثورية لا تخطيء،ولذا فهي أبعد ما تكون عن النماذج التي جسّدها لينين أو ماوتسي تونغ أو كاسترو أو الخميني،إنها ثورات ذات هوية مركبة هجينة،بقدر ما هي مفتوحة،ومتعددة بقدر ما هي متحركة "[3]

فليس العيب أبدا في أن نحلم أو نأمل وإنما العيب في أن نقطع الأمل ونتوقف عن انتظار الجميل قادما، لابد لنا أن نحلم،قبل أن يصادر حقنا في الحلم ، قالها علي حرب :"لا أريد

---

[1]–المصدر والمكان نفسه.

[2]–المرجع السابق ص 62

[3]–المرجع نفسه ،(ص ص/63،62.)

أن أحلم أو أبالغ،لكن ما يؤمل من الانتفاضات الجارية ،أو التي يمكن أن تجري،هو أن تنجح في امتحانات الديمقراطية والتنمية والعدالة والكرامة،لكي تصنع مستقبلا جديدا يكسر الصور النمطية عن العرب،لكي تتشكل صورة جديدة مشرقة،بوصفهم من صناع المعرفة والحداثة والتقدم،للمشاركة مع بقية الجماعات والأمم في رسم مستقبل أفضل للبشرية "[1]

لا يكفّ في الكثير من كتاباته أن يسم الحكام والمثقفين بالمتخاذلين عن خدمة قضية الشعوب،ورد هذا في موقفه منهم في كتابه الإرهاب وصنّاعه : المثقف،المرشد،الطاغية، حيث يحملهم علي حرب إثم الأوضاع المأزومة وما آلت إليه جراء مواقفهم المتخاذلة،وها هو هنا أيضا في كتابه ثورات القوة الناعمة لا يتراجع عن موقفه ذاك حيث يقول :" لنعترف بفشلنا وإفلاسنا،وبأن جيلنا قد أورث الأجيال الجديدة كل هذا التردي والتراجع،ومؤدى الإعتراف أننا الوجه الآخر للأنظمة التي ندينها وننتشي لانهيارها،بنخبويّتها وتهويماتها النرجسية،فالحاكم والمثقف كلاهما متألّه وعاشق لذاته ، نابذ لغيره،الأول ينفرد بالسلطة ويستبدّ بها بقدر ما يظلم من اختاروه لرعاية مصالحهم ، والثاني يحتكر الحقيقة ويعتقد بأنّه فريد عصره ومجاله ، بقدر ما يحتقر من يدّعي أنه يدافع عن حقوقهم " [2] "

إن المسألة لا تتعلق بمجرد وجود نظام عالمي جديد ،سواء تكوّن هذا النظام أو هو في طور التكوين ، بقدر ما أنها (أي المسألة) تتعلق بالموقف من التغير والتحول بصفة عامة "وما تحولات السياسة إلا جزء من سلسلة شاملة من التحولات هي فيه مجرد حلقة من الحلقات مرتبطة بما قبلها وما بعدها، إنه سؤال يمسّ طبيعة الثقافة العربية وطبيعة هذا العالم الذي نعيش فيه، والعلاقة بين الإثنين من حيث الفعل ورد الفعل، ومن حيث فاعلية

[1]–المرجع السابق ، ص 47.

[2]–المرجع السابق، ص 41.

العلاقة أو سكونها وأخيرا من حيث الإندماج في العالم والإنسحاب منه ومن ثم الفناء أو الإندثار أو الحياة واستمرار البقاء ، هذه هي المسألة وهذه هي المعضلة" [1]

وحسب علي حرب فإن المجتمع الديناميكي الغني والمزدهر بقواه وفاعليته هو الذي يشتغل كورشة دائمة من التفكير الخصب والعمل المثمر في مختلف المجالات بقدر ما يتحول إلى فضاء للتداول وإلى شبكة من التأثيرات المتبادلة على جميع الصعد والمستويات حيث يقول في ذلك" في مجتمع كهذا يعمل الأفراد والمجموعات بمفردات الإعتراف والتعدد والتوسط، بقدر ما يفكرون بلغة الخلق والتحول،أو بعقلية التركيب والتجاوز، ولعل هذا ما تقتضيه صناعة الإنماء والإزدهار والتقدم التي تبقى مفتوحة على التعدد والتنوع في الصيغ والنماذج، بقدر ما تصدر عن أصالة المعالجات وغنى التجارب وبقدر ما تجسّد القدرة على الابتكار والتجديد في المناهج والأساليب أو في المحاور والميادين" [2]

ثانيا–واقع مجتمع المعرفة العربي :

ما سنعمد إلى اتخاذه كأساس ومحور مهم في تحليل أداء المجتمعات العربية نحو مجتمع المعرفة في هذا الجزء بالذات، سنركز فيه على نقطتين أساسيتين،أولهما أن كل تحليل وحديث عن مسيرة تقدم المجتمعات العربية(الوطن العربي) نحو مجتمع المعرفة لابد أن تتم بناء على جملة من الإحصائيات والمؤشرات ، وما سنعتمد عليه هو بالدرجة الأولى: تقرير المعرفة العربي للعام 2018، والذي كان تحت عنوان : المعرفة والثورة الصناعية الرابعة تحليل مؤشر المعرفة العالمي2017، وأيضا تقرير اليونسكو للعلوم حتى العام 2030، وذلك قصد تحليل ودراسة دقيقة وفاحصة للمشهد المعرفي العربي ، كما تجدر الإشارة إلى استبعاد أربع دول من الوطن العربي والتي تغيب الدراسات والإحصائيات عنها ، نتيجة وضعها

[1]–تركي الحمد ، الثقافة العربية أمام تحديات التغيير ، دار الساقي ، ط1 ، 1993، بيروت لبنان،ص 10.

[2]–علي جرب ، ثورات القوة الناعمة ، ص110.

السياسي المأزوم ،هذه الدول هي ليبيا، سورية ، اليمن ، العراق .وسنلاحظ أنّ كلاّ من اليمن والجمهورية العربية السورية تأتيان دوما في ذيل القوائم الإحصائية.

لذلك سنحاول رصد أداء دول الوطن العربي من خلال سبع مؤشرات هي على التوالي :

1-مؤشر التعليم قبل الجامعي.

2- قطاع التعليم التقني والتدريب المهني.

3-مؤشر قطاع التعليم العالي.

4-نتائج قطاع البحث والتطوير والإبتكار.

5-نتائج قطاع تكنولوجيا المعلومات والإتصالات.

6-نتائج قطاع الإقتصاد.

7-نتائج قطاع البيئات التمكينية.

تلعب هذه المحاور الدور الأساس في الإحاطة بسيرورة تطور المعرفة ،وقياس مدى قابلية بلدان الوطن العربي للولوج إلى مجتمع المعرفة أم لا، ومن أجل رصد واقع الدول العربية وجهودها من أجل إقامة مجتمع المعرفة ، سنقوم بتقسيم الدراسة إلى جزئيتين هما دول المشرق العربي ونخص بالذكر منها الإمارات العربية المتحدة ، والسعودية ، في حين نهتم في دراسة الحالة الثانية في التركيز على كتلة المغرب العربي متمثلا في دراسة حالة تونس ، الجزائر والمغرب ورصد إمكانياتها في سبيل التوجه نحو مجتمع المعرفة .

وتجدر الإشارة إلى أن مؤشر المعرفة العالمي وضع من قبل فريق مكون من خبراء وأكاديميين من مختلف الإختصاصات ، وذلك بالتشاور مع خبراء مستقلين أو تابعين لهيئات

دولية مختصة ، وقد تبنّته مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم بمبادرة من برنامج الأمم المتحدة الإنمائي .

وقد تم تفعيل مؤشر المعرفة العالمي على 131 دولة ، وهي الدول التي توافرت فيها البيانات المطلوبة ، وقد جاءت سويسرا في أعلى الترتيب بينما جاءت أنغولا في أسفله ، وعموما كانت "المراتب العشرون الأولى من نصيب دول منظمة التعاون الإقتصادي والتنمية ومعها دولتان من منطقة شرق آسيا والمحيط الهاديء هما سنغفورة وهونغ كونغ الصين (منطقة إدارية خاصة)، وفي المقابل كانت المراتب العشرون الأخيرة في أغلبها من نصيب دول جنوب الصحراء الأفريقية الكبرى ومعها ثلاث دول من المنطقة العربية هي اليمن وموريتانيا والجمهورية العربية السورية ، إلى جانب دولة من جنوب آسيا وهي النيبال "[1]

والدول العربية التي شملها هذا التقرير هي: الجزائر ، البحرين ، مصر ، الأردن ، الكويت ، لبنان ، موريتانيا ، المغرب ، عمان ، قطر، المملكة العربية السعودية ، الجمهورية العربية السورية ، تونس ،الإمارات العربية المتحدة ، اليمن.

وقد كشفت النتائج الصادرة عن كل قطاع أن هناك اختلافا كبيرا بين النتائج ، حيث يوجد تفاوت نسبي بين القطاعات المختلفة ، حيث كانت أعلى المتوسطات في البيئات التمكينية,وأضعفها في قطاع البحث والتطوير والإبتكار ، كما تظهر النتائج وجود تفاوت بين الدول في مختلف القطاعات .

1-نتائج قطاع التعليم قبل الجامعي :

اعتمادا على ماورد من نتائج في مؤشر المعرفة العربي 2018فإن كتلة الدول العربية قد احتلت مكانة متدنية إذ "كان متوسط الدول العربية 49.21 والذي يشير إلى تدني المنطقة بوجه عام ، فإن ذلك لا يحجب وجود درجة تشتت عالية (انحراف معياري 11.11)تؤكد

[1]-مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم ،المعرفة والثورة الصناعية الرابعة ،طبع في دبي الإمارات العربية المتحدة ، ص 6

وجود فوارق مهمة بين الدول ، حيث تراوحت الدرجات بين 24.56في الجمهورية العربية السورية و70.31في الإمارات العربية المتحدة. وباعتبار الدرجات المسجلة عموما ، يمكن توزيع الدول العربية المعنية إلى ستة مستويات تحتل فيها الإمارات العربية المتحدة القمة " [1] ينظر الشكل الموالي :

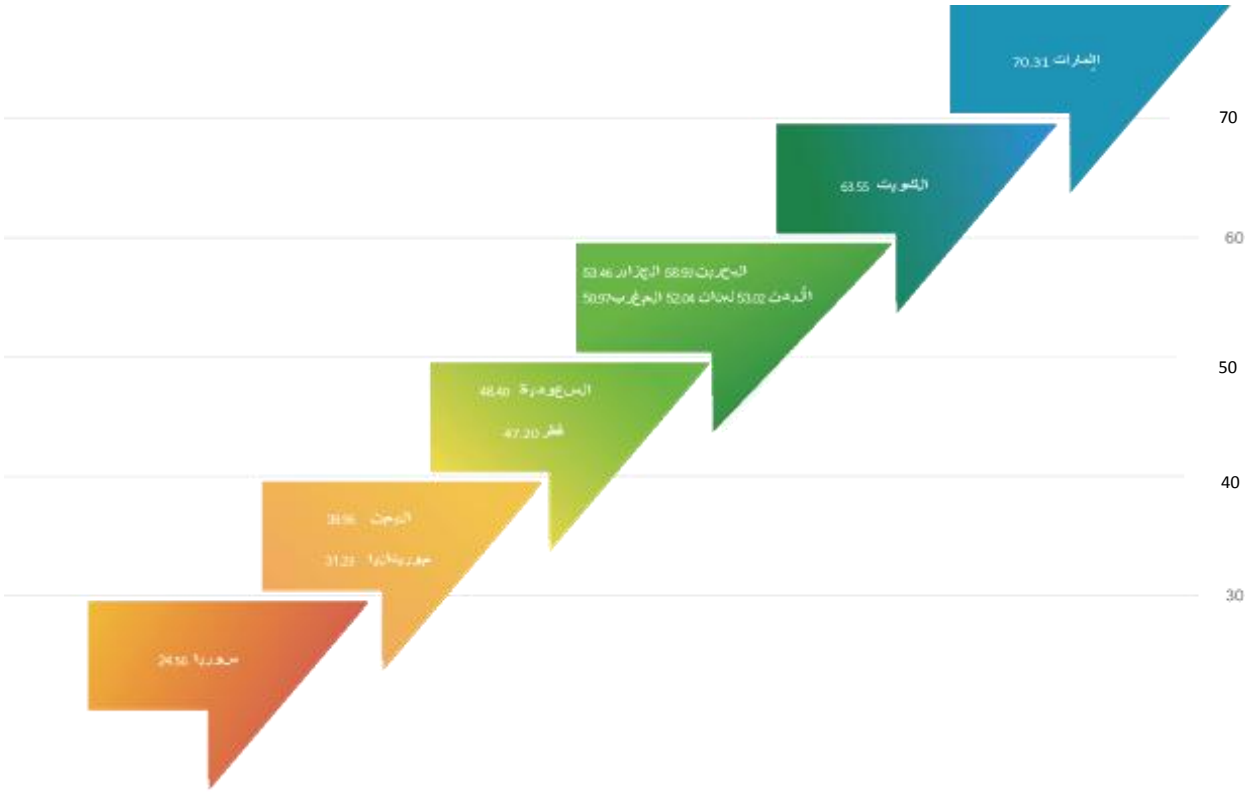

[1] المعرفة والثورة الصناعية الرابعة ص11

نتائج الدول العربية في مؤشر التعليم قبل الجامعي .

المصدر :مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم ، تقرير المعرفة والثورة االصناعية الرابعة ، ص 12

ومن خلال قراءة هذه النتائج يتبين" أن هناك فوارق مهمة بين أداء الإمارات العربية المتحدة التي جاءت في المرتبة 16 عالميا ، وبين أداء اليمن والجمهورية العربية السورية وموريتانيا، وهي تعد نتيجة طبيعية نظرا للأوضاع الأمنية والإقتصادية المتأزمة التي تعيشها هذه الدول في السنوات الأخيرة ، وقد أشارت إلى ذلك تقارير سابقة أهمها تقرير اليونيسيف في عام 2015 "التعليم في خط النار" مؤكدا أن الصراعات في الشرق الأوسط تمنع أكثر من 13 مليون طفلا (ما يمثل 40 في المئة من الأطفال)من تلقي التعليم في المدارس محذّرا من الأثر المدمّر للصراعات الذي لا تقف آثارها عند تحطيم البنى الأساسية للتعليم ، ودفع المعلمين إلى التخلي عن وظائفهم، بل يطال جيلا كاملا من الأطفال الذين يشهدون تحطّم آمالهم ومستقبلهم" [1]

وحتى وإن ركّزت هذه النتائج على الكم دون الكيف ، فإن ما يميز التعليم قبل الجامعي بصفة عامة في الوطن العربي هو غياب الإصلاحات والدراسات المحيّنة للنماذج ، ضف إلى ذلك اعتماده على أساليب في التعليم والتلقين ، لا تستجيب للمتغيرات المستجدة من إدخال تقنيات الإعلام والإتصال .

2- نتائج قطاع التعليم التقني والتدريب المهني :

يحتل هذا القطاع مكانا محوريا في المنظومة التكوينية ، باعتباره المدخل الأساس لقياس مدى ارتباط التعليم بسوق العمل ، بالإضافة إلى أنه يمكّن كافة المؤسسات من تقدير امكانياتها للنهوض برأسمالها البشري، وتأهيله لتوفير فرص الإدماج المهني للشباب المتعلم،

[1]–مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم ،المعرفة والثورة الصناعية الرابعة ، ص 11

وتزداد أهميته مع التحول التدريجي والمستمر نحو إقتصاد المعرفة بمساهمته في توفير العمالة الماهرة ، وضمان شروط العمل اللّائق ، وتوليد المزيد من الفرص لإنتاج المعرفة من خلال فتح الآفاق للإنخراط في برامج تكوينية وتعلميّة مدى الحياة ، يضم مؤشر التعليم التقني والتدريب المهني محورين : التكوين والتدريب المهني وسمات سوق العمل .

وتظهر النتائج المرصودة في هذا المجال عن أنّ التفاوت جد كبير بين مجموعة وأخرى في مجال التعليم التقني والتدريب المهني ، حيث أنه في الدول العربية " جاء متوسط مؤشر التعليم التقني والتدريب المهني مساويا ل 48.01 بانحراف معياري 7.92 وتراوحت النتائج بين 29.72و60.99، ما يعكس اختلاف الأداء بين دول ضعيفة على مستوى المؤشر مثل اليمن ، ودول أكثر تفاعلا وقوة تجاوزت المتوسط العالمي ، مثل الإمارات العربية المتحدة ولبنان " [1]

بوجود ثلاث مجموعات حيث تتميز المجموعة الأولى " بتكونها من دول نجح فيها قطاع التعليم التقني والتدريب المهني في الإنخراط في السيرورة العامة للإقتصاديات الوطنية ، حيث تؤكد المعطيات ، بما لا يدع مجالا للشك ، الدور الطلائعي الذي أصبحت تلعبه مؤسسات التعليم التقني والتدريب المهني في تأطير رأس المال البشري وتأهيله ، إلى حدود أن تجارب قطرية عدة أصبحت تقدم كنموذج على المستوى الإقليمي أو الدولي ، وتتميز هذه المجموعة من الدول بقدرة سوق العمل على امتصاص أعداد مهمة من الشباب المتمدرسين والحاصلين على مؤهلات مهنية أو جامعية مع الانتفاع على كل فئاتهم سواء أكانوا ذكورا أم إناثا مع التقليص من مدة الإنتظار الفاصلة بين الحصول على الشهادة أو الإندماج في سوق العمل " من بين هذه الدول الإمارات العربية المتحدة (60.99) ولبنان (60.01) والبحرين (57.75) وقطر (53.18) وفي هذا الصدد لابد من التنويه بالتجربة الإماراتية

[1]–المرجع نفسه،ص15

التي انخرطت منذ سنوات في سلسلة من الإصلاحات الإقتصادية الهيكلية التي ترتكز على ربط التنمية بتأهيل رأس المال البشري بما يسمح بتنافسية اقتصاد المعرفة "[1].

تظهر النتائج في الجدول الموالي :

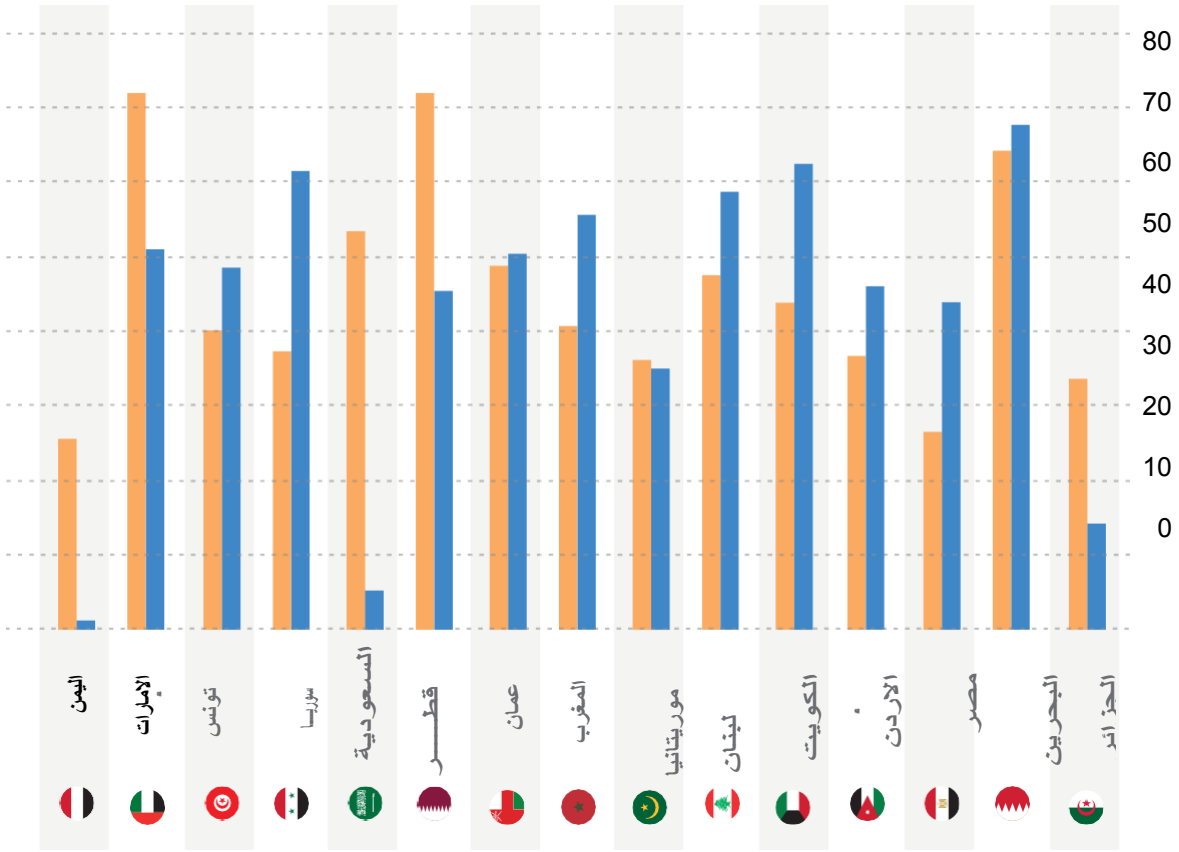

المصدر : مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم ،المعرفة والثورة الصناعية الرابعة، ص 51.

[1] المرجع السابق ص /15.

المجموعة الثانية : رغم الجهود المبذولة ، إلا أن مجموعة من الدول لازالت تعاني تحديات شبه هيكلية على مستوى قطاع التعليم التقني والتدريب المهني ترجع بالأساس ، إما إلى طبيعة اختياراتها الاقتصادية المرتبطة مثلا بالسياحة والتي غالبا ما تتأثر سلبا بالأزمات المتتالية التي يعرفها العالم في السنوات الأخيرة ، وإمّا إلى ضعف جاذبية الدّول على مستوى الإستثمار الخارجي الذي يعدّ أهم عناصر الدفع للطلب على قوى العمل " يمكن أن نصنّف هنا دولا مثل الكويت 49.61 والمغرب 47.88 وتونس 47.19و الأردن 47.14"[1]

المجموعة الثالثة وتشمل الدول التي تعاني إقتصاداتها فجوات عميقة بين العرض والطلب سواء تعلق الأمر بالتوظيف أو بالتكوين أو على مستوى محور التكوين والتدريب المهني على حد سواء" وهي دول تفتقد للتوازن بين مكونات منظومة التعليم التقني والتدريب المهني من جهة ، وسوق العمل من جهة ثانية ، وتكون فيها العلاقة بين قطاع التعليم التقني والتدريب المهني وأرباب العمل ضعيفة أو موسمية ، ضمن هذه المجموعة نجد مصر (43.96) والمملكة العربية السعودية (40.30) والجزائر (39.01) واليمن (29.72) [2]

3-نتائج قطاع التعليم العالي :

يتكون مؤشر التعليم العالي من محورين هما : مدخلات التعليم العالي ومخرجاته وجودته ، ويحتوي محور المدخلات على ثلاث محاور فرعية هي الإنفاق والإلتحاق والموارد البشرية ، ويحتوي محور المخرجات على أربعة محاور فرعية يختص إثنان منها بمخرجات التعليم العالي هما : التخرج والعمل بعد التخرج ، كما يقيس إثنان منها جودة نظام التعليم العالي من حيث كفاءة الطلاب وجودة الجامعات .[3]

ونقصد بالتعليم العالي التعليم في الجامعات الحكومية والخاصة على حد سواء

[1] المرجع والمكان نفسه.

[2] المرجع السابق ،ص 16

[3] المرجع والمكان نفسه.

وكما جاء في تقرير المعرفة والثورة الصناعية الرابعة "أن دول منظمة التعاون الإقتصادي والتنمية هي التي ترتقي بالمتوسط العالمي لمؤشر التعليم العالي ، حيث أن متوسط المنطقة التي احتلت المرتبة الثانية على هذا المؤشر يقارب المتوسط العالمي ، علما أن باقي متوسطات مناطق العالم حصلت على نتائج أقل من هذا المتوسط [1]

أما بالنسبة للدول العربية " احتلت المركز الرابع حيث كان متوسطها 36.95، متعادلة بذلك مع منطقة شرق آسيا والمحيط الهادىء التي احتلت المركز الثالث مع متوسط 36.97، كما كانت نتائجها غير متقاربة مع انحراف معياري يساوي 10.13 وقد حققت الإمارات العربية المتحدة أعلى قيمة للمؤشر بين الدول العربية (50) ، متفوقة بذلك على المتوسط العالمي البالغ 39.02، ومقتربة من قيمة متوسط دول منظمة التعاون الإقتصادي والتنمية البالغ 51.75 ، في حين جاءت كل من الجمهورية العربية السورية وموريتانيا واليمن في المراتب الأخيرة بين الدول العربية وبترتيب 126و129و130عالميا قيم21.6و16.76و16.17على التوالي ، وهي قيم منخفضة كثيرا عن المتوسطين العربي والعالمي ، وإذا استثنينا الجمهورية العربية السورية وموريتانيا واليمن ، يصبح متوسط الدول العربية 41.64، متفوقة بذلك على منطقة أوروبا وآسيا الوسطى 40.11 التي تبوّأت المركز الثاني .وبالنسبة إلى المحاور ، حصلت تونس على أعلى قيمة على مستوى المدخلات 58.37، بينما كانت قيمة مخرجاتها متواضعة جدا 26.78 ، وحصلت قطر على أعلى معدل من حيث المخرجات 49.91 ، ولكن مدخلاتها لم تناسب هذه القيمة 39.12، أما الإمارات العربية المتحدة التي حصلت على أعلى قيمة في مؤشر التعليم العالي على مستوى المنطقة ، فكان مستوى المخرجات والجودة 49.31 وهو قريب من مستوى المدخلات 50.98 ما يشير إلى معدل كفاءة عال

[1] المرجع نفسه ص 18

[1]يمثل الجدول الموالي نتائج قطاع التعليم العالي في الدول العربية حسب تقرير المعرفة لسنة 2018:

الدولة	مؤشر التعليم العالي	معدل الكفاءة
الجزائر	40.14	0.90
البحرين	38.32	1.80
مصر	42.10	0.65
الاردن	47.64	0.82
الكويت	40.15	0.86
لبنان	42.52	0.81
موريتانيا	16.76	0.44
المغرب	38.74	0.58
عمان	34.39	0.49
قطر	45.38	1.28
السعودية	40.30	0.72
سوريا	21.64	0.77
تونس	40.05	0.46
الامارات	50.01	0.97
اليمن	16.17	0.93
الدول العربية	36.950.83	

المصدر: مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم ، المعرفة والثورة الصناعية الرابعة ، ص12.

[1] –المرجع السابق، ص 19

1-نتائج قطاع البحث والتطوير والإبتكار :

يرتكز مؤشر البحث والتطوير والابتكار على رؤية مفادها أنه لصياغة سياسات بحث علمي وابتكار فعالة ومواكبة لعصر المعرفة ، يحتاج صانعوا القرارات الإنمائية إلى مؤشرات جديرة بالثقة ، للقياس المقارن ، نلحظ التقدّم نحو اقتصادية في المعرفة وتقيّم المسارات المستقبلية في هذا المجال ، لذلك ارتكز في الخيارات المنهجية لمؤشر البحث والتطوير والإبتكار على مؤشرات وقياسات متنوعة تظهر حداثة المجتمع وقدراته المعرفية من خلال منظومة متكاملة للبحث والتطوير ،وصناعات ذات قيمة مضافة عالية كثيفة المعرفة ، ومنتجات إبداعية،ورأسمال بشري ذي مهارة ، وبنية تحتية ملائمة ويتكون مؤشر البحث والتطوير، والإبتكار من ثلاثة محاور هي : البحث والتطوير،الابتكار في الإنتاج ،والإبتكار المجتمعي "[1]

والملاحظ أن الدول العربية تحتل مرتبة وسيطة بين دول العالم في مجال البحث والتطوير والابتكار "بمتوسطات أداء أقل من دول منظمة التعاون الإقتصادي والتنمية ومنطقة شرق آسيا والمحيط الهادىء،بيد أن متوسط أداء الدول العربية الذي يقدّر بنحو 21.41لا يرقى إلى المتوسط العالمي 27.36،ويبدو محور البحث والتطوير هو المسؤول عن هذا الأداء المتواضع للمنطقة، إذ لم يتجاوز 19.85،مقابل 23.46 لمحور الابتكار في الإنتاج و24.06ل لمحور الابتكار المجتمعي"[2]

والنتائج الموضحة في الجدول الموالي ترصد ترتيب الدول العربية بين دول العالم في مؤشر الابتكار والبحث والتطوير .

[1] المرجع والمكان نفسه.

[2] -المرجع والمكان نفسه.

	الترتيب		مؤشر البحث والتطوير والابتكار ومحاوره			
	الاقليمي	الدولي	مؤشر البحث والتطوير والابتكار	محور البحث والتطوير	محور الابتكار في الانتاج	محور الابتكار المجتمعي
السعودية	1	36	30.23	33.05	26.94	25.06
الإمارات	2	37	28.67	21.57	44.16	34.48
قطر	3	38	28.51	33.49	22.60	19.50
الكويت	4	53	25.44	18.97	36.49	33.78
الجزائر	5	55	24.76	28.05	24.64	14.97
تونس	6	63	22.55	21.39	15.60	32.99
لبنان	7	65	24.44	18.40	27.04	29.95
المغرب	8	72	20.88	17.26	26.16	26.46
عمان	9	73	20.84	22.52	21.97	14.67
البحرين	10	78	20.31	13.54	24.89	36.04
الأردن	11	86	19.25	16.18	18.11	29.61
مصر	12	101	16.50	16.17	12.60	21.42
سوريا	13	110	14.93	10.87	27.43	14.62
اليمن	14	121	13.67	12.70	12.52	17.75
موريتانيا	15	125	12.21	13.55	10.75	9.66

المصدر : تقرير المعرفة والثورة الصناعية الرابعة ،ص23

" نلاحظ من الجدول أن المملكة العربية السعودية تحتل المرتبة الأولى بنتيجة 30.23 تليها الإمارات العربية المتحدة 28.67 وقطر 28.51وكلها نتائج تفوق المتوسط العالمي لكنها لا ترتقي إلى معدل دول منظمة التعاون الإقتصادي والتنمية.

كما نلاحظ تواضع أداء الدول العربية في محور البحث والتطوير بشكل عام بالمقارنة بالدول العشر الأولى عالميا التي حققت متوسط 67.30 على محور البحث والتطوير، في حين لم يتعدّ أفضل أداء أي دولة عربية في هذا المحور 33.49"[1]

" وحققت كل من الجزائر وتونس ولبنان أفضل نتائج بالنسبة إلى الدول غير النفطية باحتلالهما المرتبة الخامسة والسادسة والسابعة عربيا والمرتبة 55و63و65 دوليا ،أما مصر والجمهورية العربية السورية واليمن وموريتانيا فقد تعدى ترتيبها 100على المستوى العالمي،بمتوسط أداء بحثي وابتكاري لم يصل إلى 20"[2]

بيد أن أداء مصر في مجال الابتكار المجتمعي يعد متوسطا وأفضل من أدائها في مجالي البحث والتطوير،والابتكار في الإنتاج.ويمكن تفسير هذه النتيجة بتواضع جهود البحث والتطوير والابتكار في وحدات الإنتاج السّلعي والخدمي بوجه عام، وأخيرا يمكن إرجاع الأداء المتدني لكلّ من الجمهورية العربية السورية واليمن إلى ما تعانيه هاتان الدولتان من تقلبات اقتصادية واجتماعية ،وظروف سياسية وأمنية معرقلة للتنمية،وهو ما يؤثر بالطبع بشكل سلبي في جهود البحث والتطوير والابتكار .

إن نتائج الدول العربية لا تدعو إلى مراجعة وتحديث لسياساتها العلمية والتكنولوجية فقط،بل إلى إعادة توجيه سياسات البحث العلمي والتكنولوجيا من أجل تطوير الأداء أيضا،

[1] مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم ،المعرفة والثورة الصناعية الرابعة ص .22

[2] المرجع والمكان نفسه.

وأخيرا وليس آخرا إلى إعادة النظر في الرؤى العلمية والتكنولوجية وإعادة هيكلة منظومة البحث والتطوير والابتكار بشكل عام"[1]

5-نتائج قطاع تكنولوجيا المعلومات والاتصالات :

تم تصميم المؤشر باستخدام الأدوات والمنهجية المعتمدة في الدراسات المحلية والدولية،وبالاستناد إلى مفاهيم المنظمات والوكالات الدولية المهتمة بقياس أداء قطاع تكنولوجيا المعلومات والاتصالات وتقييمه ، "يتكون مؤشر تكنولوجيا المعلومات والاتصالات من محورين اثنين هما : محور المدخلات ويتمثل في ما توفره الدولة من مقومات لدعم كل ما يتعلق بهذا المجال ، ومحور المخرجات ويعبر عن استخدامات الأفراد والحكومة والشركات ومقدار التأثير التنموي للتكنولوجيا، ويتفرّع كل من هذين المحورين إلى عدد من المحاور الفرعية ذات الصلة المباشرة بالقطاع"[2]

وتكشف النتائج وجود اختلافات كبيرة بين مناطق العالم حيث "تتصدّر دول منظّمة التعاون الإقتصادي والتنمية مؤشرات تكنولوجيا المعلومات والإتصالات ، تليها مناطق شرق آسيا والمحيط الهادىء وأوروبا وآسيا وجنوب الصحراء الأفريقية الكبرى وأمريكا اللاتينية والبحر الكاريبي أقل من المتوسط العالمي51.14"[3]

وأما عن أداء الدول العربية على مستوى قطاع تكنولوجيا المعلومات والاتصال فالجدول الموالي يوضح النتائج :

[1] المرجع السابق ،ص24

[2] المرجع والمكان نفسه.

[3] المرجع نفسه ، ص 25

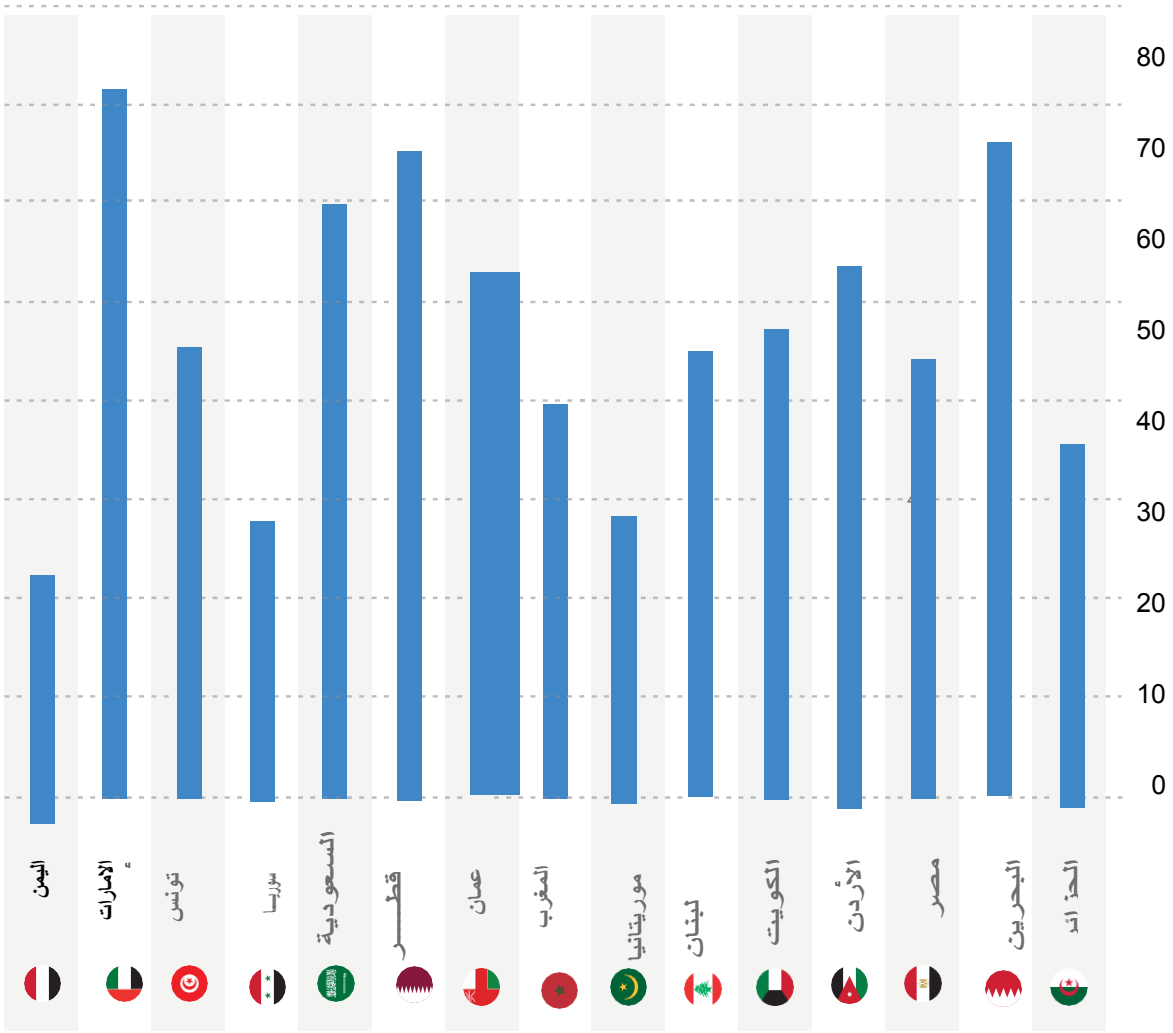

المصدر: تقرير المعرفة والثورة الصناعية الرابعة ، ص 29.

فيتضح أن المتوسط العام فيها 47.69 يقل عن المتوسط العالمي 51.14 وأن ستّ دول فقط حقّقت قيما تفوق هذا المتوسط العالمي وهي كلها من دول الخليج العربي بالإضافة إلى الأردن.

ويمكن تفسير الإنحراف المعياري الكبير 14.21في الدول العربية باعتباره نتيجة للفوارق في الخصائص الاقتصادية والتكنولوجية للبلدان التي تشملها هذه المنطقة ، حيث جاءت دول مجلس التعاون الخليجي في صدارة دول المنطقة ، واحتلت الإمارات العربية المتحدة والبحرين وقطر مراكز متقدمة على المستوى العالمي حيث حلّت في المراتب 23و27و29 على التوالي ، ويرجع الإرتفاع النسبي للمؤشر في الأردن إلى زيادة التنافسية في القطاع ، ما أدى إلى تحسين سلة أسعار خدمات تكنولوجيا المعلومات والإتصالات ،" وبالنظر إلى محاور قطاع تكنولوجيا المعلومات والإتصالات على صعيد الدول العربية ، يلاحظ تقدم البحرين على محور مدخلات تكنولوجيا المعلومات والإتصالات والإمارات العربية المتحدة على محور المخرجات، كما كان أداء الدول العربية على محور المدخلات أفضل من محور المخرجات باستثناء الإمارات العربية المتحدة والجمهورية العربية السورية وقطر،كما يلاحظ ضعف مدخلات تكنولوجيا المعلومات والإتصال في الدول التي تعاني حروبا واضطرابات مثل الجمهورية العربية السورية واليمن".[1]

تعقيب : بالرغم من النتائج والإحصائيات الصادرة والقريبة من الواقع إلا أنه لا يمكن أبدا اعتبار أن الكم قد يحصّل المرجو من جهود التطوير والتقدم في قطاع تكنولوجيا المعلومات والاتصال ، حيث أن مشكلة التجهيز والتأثيث لا تؤدي بالضرورة إلى تحقيق نتائج مبهرة في قطاع بعينه خاصة في قطاع تكنولوجيا المعلومات والاتصال ، بداية لأنه ليس كل من يمتلك هاتفا ثابتا أو محمولا أو كان محافظا على نمط معين من استخدام الانترنت يمكن أن يساهم ذلك في عملية تطوره المعرفي ونمو قدراته وإبداعاته ، فكم من فئات من المجتمع تسيء استخدام هذه الأدوات وتفتح الباب على مصرعيه من أجل ترويج الممارسات الأّخلاقية واللاقانونية والسلبية، فعوضا من أن تخدم النمو ، يكون التجهيز عائقا قويا أمام

[1] المرجع السابق، ص 29.

تنميتها وتطوّرها.ويفاقم مشاكلها أكثر فأكثر ، خاصة إذا تعلّق الأمر بمشاكل الجريمة الإلكترونية ، والنهب المصرفي والتهكير الالكتروني للحسابات والمعاملات التداولية .

6- نتائج قطاع الإقتصاد :

"انطلاقا من أن المعرفة هي المحرك الجوهري لاستدامة التنمية،وخلق الثروة وإيجاد فرص التوظيف في شتى المجالات الإقتصادية و الصناعية أو الزراعية أو الخدماتية على حد سواء، وخلافا للمفهوم التقليدي لتحليل الموارد الاقتصادية ووفرتها ، فإن اقتصاد المعرفة يقوم بشكل أساسي على تأهيل الموارد الإقتصادية ،خاصة البشرية منها بأدوات المعرفة من أصول رقمية وتكنولوجية ومهارات ابتكارية وابداعية ،فالإستثمارات في المعرفة يمكن أن تسهم في زيادة إنتاجية عوامل الإنتاج والعائدات ، كما يمكن أن يسهم النموّ الإقتصادي في دعم القدرة المعرفية للدولة .

ومن هنا فقد جاء تطوير مؤشر الإقتصاد ضمن القطاعات السبعة المكونة لمؤشر المعرفة العالمي وفق مصفوفة عمل تضمن تكاملية تامّة مع القطاعات الأخرى من جهة ، وتتّسق محاوره الثلاثة ومتغيراته المتعددة مع بناء المؤشر العالمي من ناحية أخرى،"وقد تم بناء مؤشر الإقتصاد ليتوافق مع فكرة وجود ممكنات معرفية ضمن مؤشر البيئات التمكينية ، تم دمجها في مجال منفصل لتخدم القطاعات الستة المكونة لمؤشر المعرفة العالمي ،كما تمّ مراعاة أهمية أن تعكس المتغيرات نسقا من التّماهي مع مكونات الإقتصاد العالمي من جهة والتوافق مع المحاور الثلاثة التي تم الاتفاق على أنها المكون الكلي والتكاملي لمؤشر الاقتصاد، وهذه هي : محور التنافسية المعرفية ، ومحور الإنفتاح الإقتصادي، ومحور التمويل والقيمة المضافة."[1]

" تشير النتائج إلى أن المعدل العالمي لمؤشر الإقتصاد يساوي 45.27، وتصدرت القائمة سنغافورة مع نتيجة استثنائية 76.04وتلتها الإمارات العربية المتحدة مع فارق 8.18درجة.

[1] المعرفة والثورة الصناعية الرابعة ص 30

كما يلاحظ وجود دولتين حصلتا على درجات متدنية جدا مثل منغوليا 38.81وميانمار 37.60اللّتين احتلتا المرتبتين 97و 103عالميا على التوالي .[1]

أما فيما يتعلق بحالة الدول العربية

"فقد سجّلت أقل من المتوسط العالمي بنحو1.34درجة، في حين أنها تفوّقت في أدائها على مناطق ثلاث : جنوب الصحراء الأفريقية الكبرى ،وأمريكا اللاتينية والبحر الكاريبي،وجنوب آسيا وهي دلالة منطقية في ظل تفوق معظم الدول العربية في المجموعة على دول تلك المناطق في مجالات التنافسية العالمية وفي مجال الانفتاح التجاري ،وحتى في مجالات الاقتصاد الإبداعي المشار إليها في المؤشر . ومن ناحية أخرى فقد كان من الطبيعي أن تتفوق دول منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية ومنطقة شرق آسيا والمحيط الهادىء على الدول العربية في مؤشر الاقتصاد،ذلك لأنها تتميز في هيكلها التنافسي وانفتاحها الاقتصادي ومستويات مساهمتها في التجارة الدولية العالمية."[2]

النتائج المتعلقة بمؤشر قطاع الإقتصاد للدول العربية موضحة في الشكل الموالي :

[1] المرجع السابق ،ص 31

[2] المرجع نفسه ، ص32

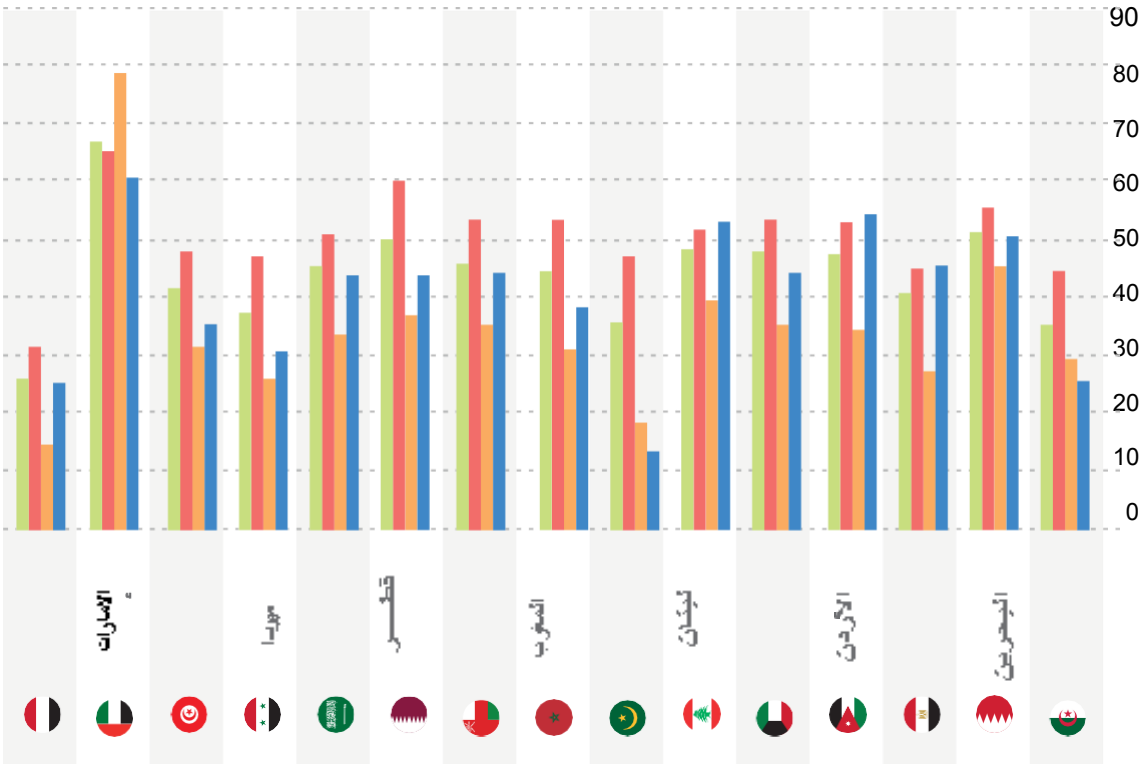

المصدر : تقرير المعرفة والثورة الصناعية الرابعة ، ص 35

بلغ متوسط المؤشر 43.93على مستوى الدول العربية، وتباين توزيع الدول العربية على النحو الموضح في الجدول 1مع انحراف معياري يساوي 9.24 ،بحيث تفوّقت دول مثل الإمارات العربية المتحدة والبحرين وقطر ولبنان والأردن وعمان والكويت، على التوالي ، على متوسط المنطقة ،في حين انخفضت القيمة بشكل ملحوظ في كل من اليمن و موريتانيا،واحتلت الإمارات العربية المتحدة المرتبة الثانية على المستوى العالمي،ووصلت قيمة مؤشر الإقتصاد فيها إلى 66.86وهي قيمة تفوق المتوسط العالمي بأكثر من عشرين نقطة كما تفوق بكثير متوسط الدول العربية ، بينما جاءت اليمن في المرتبة الأخيرة عالميا مع 26.15

وكان التباين في نتائج الدول العربية واضحا بالنسبة إلى المحاور أيضا ، حيث كان أداء الإمارات العربية المتحدة الأكثر بروزا،فجاءت في الصّدارة على المحاور الثلاثة على مستوى المنطقة، بينما كان أداء اليمن وموريتانيا متدنيا جدا ، وكان هذا واضحا أيضا على مستوى العالم،حيث احتلت الإمارات العربية المتحدة المرتبة الأولى على محور الإنفتاح الإقتصادي التي جاءت فيه موريتانيا في المرتبة الأخيرة ، وهي التي احتلت أيضا المرتبة الأخيرة على مؤشر التمويل والقيمة المضافة ، كما احتلت اليمن المركز الأخير على محور التنافسية المعرفية.واللافت للنظر أن قيم محور التنافسية المعرفية تفوقت على قيم المحاور الأخرى لكل البلدان العربية مع متوسط 50.63 ، وقيم تتراوح بين 31.93و64.63 ، وهذا إذا استثنينا الإمارات العربية المتحدة التي حصلت على أعلى نتيجة لها في محور الإنفتاح الإقتصادي 78.52 والذي بلغ متوسطه في الدول العربية 34.12مع قيم تتراوح بين 13.88 و78.52، وتفوقت قيم محور التمويل والقيمة المضافة على قيم محور الإنفتاح الإقتصادي في كل دول المنطقة ما عدا الإمارات العربية المتحدة ، الجزائر وموريتانيا ، وبلغ متوسط المنطقة في هذا المحور 40.36مع نتائج تراوحت بين 13.27و59.67"[1]

[1]المرجع السابق ، ص 34

7-نتائج قطاع البيئات التمكينية :

جمعت البيئات التمكينية المشتركة بين القطاعات الستة المكونة لمؤشر المعرفة في مؤشر فرعي مستقل ،فهذه القطاعات هي منظومات مفتوحة تتفاعل باستمرار فيما بينها ومع محيطها ضمن السياق العام الذي تتحرك فيه،لذلك كان لابد من ربطها بعدد من المتغيرات السياقية التي ثبت تأثيرها في نسق اشتغال القطاعات ومخرجاتها ، ورغم الوعي بتعدد الأبعاد السياقية تم التركيز مبدئيا على ثلاثة محاور أساسية هي : السياسة والمؤسسات ،والإقتصاد والمجتمع ، والصحة والبيئة .[1]

" بلغ المتوسط العالمي على مؤشر البيئات التمكينية 62.45 بانحراف معياري يساوي 1 بدرجات تتراوح بين 31.96 و85.27، والملاحظ أن الدول الثماني التي تصدرت ترتيب هذا المؤشر تنتمي إلى منظمة التعاون الإقتصادي والتنمية ، أما الدول التي حصلت على أدنى الدرجات فهي إما تنتمي إلى جنوب الصحراء الأفريقية الكبرى أو الدول العربية أوجنوب آسيا"[2]

" أما بالنسبة للدول العربية ، فكانت نتائج دولها الأكثر تشتتا بمتوسط 53.88، وانحراف معياري بلغ 9.49 وقيم تتراوح بين 31.96 لليمن التي حلت في المرتبة الأخيرة عالميا و70.37 لقطر التي حلت الأولى عربيا و36 عالميا، وفقط دولتان من أصل 15 تغلبتا على المتوسط العالمي وهي قطر بالإضافة إلى الإمارات العربية المتحدة التي حصلت على 66 وجاءت في مراتب تتعدى المرتبة 100مع موريتانيا والجمهورية العربية السورية واليمن في أسفل الترتيب بنحو 43.94و 41.92 و31.96 درجة على التوالي، متبوئين بذلك المراتب 124و127و131 على التوالي." [3] النتائج موضحة في الشكل الموالي :

---

[1]المرجع نفسه ، ص 36

[2]المرجع نفسه ص 37

[3]-المرجع السابق ،ص .39

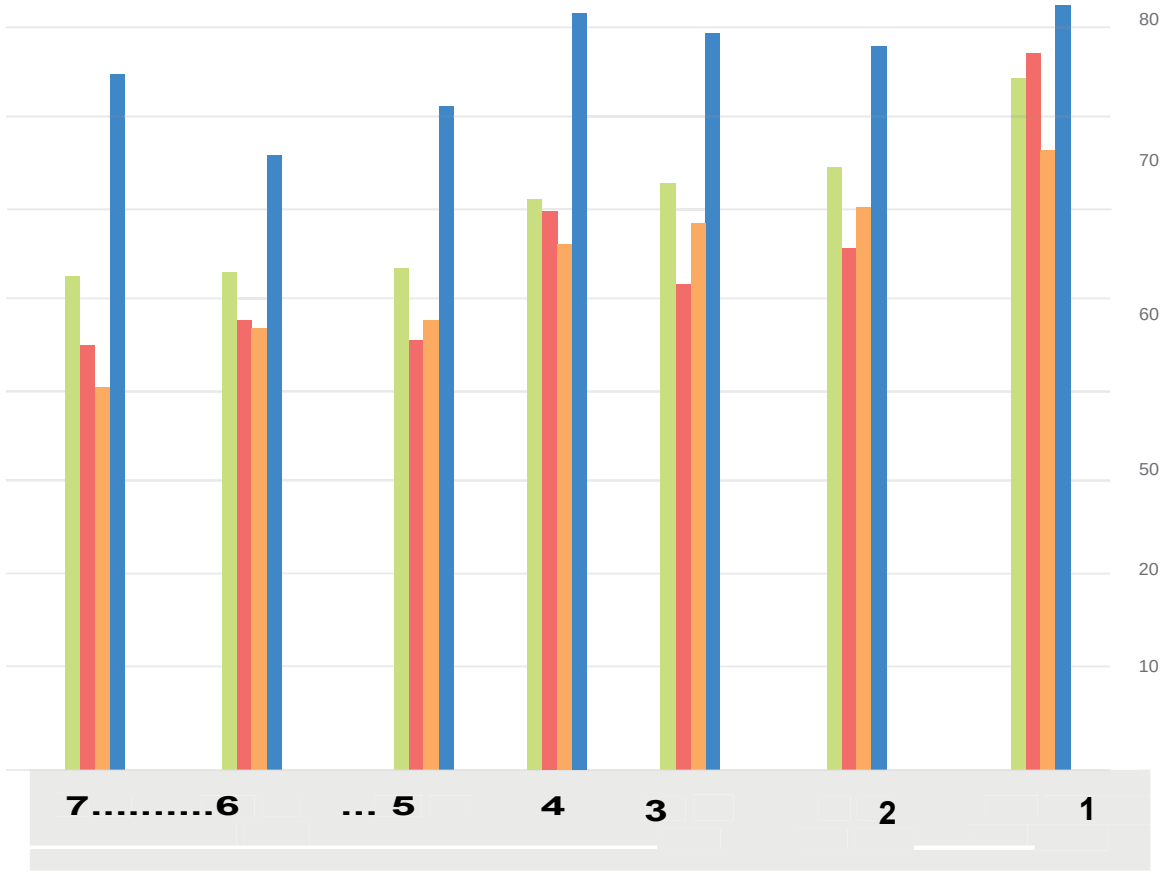

1-منطقة التعاون الإقتصادي والتنمية .4- أمريكا اللاتينية والبحر الكاريبي .

2-شرق آسيا والمحيط الهادي . 5-الدول العربية .

3-أوروبا وآسيا الوسطى. 6-جنوب آسيا.

المصدر : تقرير المعرفة والثورة الصناعية الرابعة.

وأما عن الأسباب التي تعكس هذه النتائج ، نجد أن الدول العربية تواجه عددا من التحديات أهمها :"ارتفاع مستويات المديونية في بعض الدول العربية المقترضة :أمام صناع السياسات، حيث يمثل ارتفاع مستويات المديونية في عدد من الدول العربية تحديا ، حيث تحدّ المستويات المرتفعة من المديونية من قدرة حكومات هذه الدول على توفير موارد داعمة

للنشاط الاقتصادي ومعززة للتعافي من التداعيات الناتجة عن الجائحة، خاصة في ظل ارتفاع معدلات المديونية الذي شهدته الدول العربية في أعقاب الجائحة ،مع ما استلزمته تلك الظروف الإستثنائية من تدخل الحكومات بموارد مالية لدعم التعافي نتج عنها ارتفاع معدلات الدين العام .فعلى مستوى الدول العربية كمجموعة، سجلت مستويات الدين العام إلى الناتج المحلي الإجمالي للدول العربية المقترضة بنحو سبع نقاط مئوية لتصل إلى نحو ارتفاعا 120 في المائة بنهاية عام 2020 ،وتسجل نحو 752 مليار دولار أمريكي .كنتيجة لامتداد أجل استمرار الجائحة،"[1]

كل هذه الديون بالتأكيد ستساهم في تأخر التعافي الإقتصادي سواء على المستوى العالمي مما يزيد من حجم التحديات التي ترفعها الدول العربية ،خاصة أنها لم تتعاف جلها من الآثار الوخيمة لتداعيات الجائحة ،حيث مما ينجر عنه "اتخاذ الحكومات العربية لتدابير داعمة للتعافي من شأنها التأثير على الإستدامة المالية في الأجلين المتوسط والطويل،كما سيؤثر التشديد المرتقب للأوضاع المالية حاليا تشديد أسرع وأكبر للسياسة النقدية مما كان متوقعا مسبقا قبل التطورات الدولية الأخيرة، وهو تتوقع كافة الأسواق ما سيعقبه خروج متوقع لرؤوس الأموال من الدول النامية واقتصادات السوق الناشئة ذلك الإتجاه الذي شهدته وتأثرت به بعض الدول العربية بالفعل بداية من الربع الأخير من عام 2021 .سوف يؤدي الرفع المرتقب لأسعار الفائدة في الدول المتقدمة إلى تحديات تواجه على وجه الخصوص الدول العربية التي لديها مستويات مرتفعة للعجوزات في المالية العامة وميزان المعاملات الجارية، وهو ما قد ينعكس في مجمله على مسارات تعافي النشاط الإقتصادي في هذه البلدان"[2].

ومن الصعوبات التي تعترض تحقيق أهداف التنمية المستدامة ما تواجه الحكومات العربية من ضغوطات ،لا سيما في أعقاب جائحة كوفيد – 19 على صعيد توفير التمويل اللاّزم

[1]– تقرير آفاق الإقتصاد العربي ، الإصدار السادس عشر أبريل 2022 ،ص 16

[2]–المرجع السابق ، ص 16

لتنفيذ المشروعات وتبني البرامج الكفيلة بتحقيق هذه الأهداف، لاسيما في ظل التقديرات التي تشير إلى أن "الدول النامية تواجهفجوة تمويلية لتحقيق أهداف التنمية المستدامة بحسب بيانات الأمم المتحدة، تقدر بنحو 5.2 تريليون دولار سنويا ،هذه الفجوة التمويلية التي شهدت زيادة بنحو(7.1)تريليون دولار سنويا في أعقاب جائحة كوفيد- 19 ،وهو ما يُبرز عمق التحدي الذي يواجه الدول العربية على صعيد توفير آليات التمويل الكافية والملائمة لسد هذه الفجوة، وتمكين شعوبها من اللّحاق بالركب العالمي لتحقيق أهداف التنمية المستدامة."[1]

في هذا السياق، يبقى التحدي الأبرز أمام الدول العربية في تحقيق الهدف الثامن من أهداف التنمية المستدامة الذي يهدف إلى تعزيز النمو الإقتصادي المطرد والشامل للجميع والمستدام، والوصول إلى العمالة الكاملة والمنتجة، وتوفير العمل اللاّئق للجميع، وذلك في ظل ارتفاع معدلات البطالة في المنطقة العربية "لتسجل نحو 5.11 في المائة وفق أحدث بيان بما يمثل تقريبا بحسب بيانات البنك الدولي، ويتمثل التحدي الأكبر في هذا السياق في تركيز ضعف المعدل العالمي لمعدلات البطالة في الدول العربية في فئة الشباب حيث ترتفع بطالة الشباب في المنطقة العربية لتسجل 5.26 في المائة مقابل 3.15 في المائة للمتوسط العالمي لبطالة الشباب ."[2]

إلا أن هذه الصعوبات ليست هي الوحيدة التي تعوق الكتلة العربية للتقدم نحو تشييد وإقامة مجتمع معرفة عربي ، فبالرغم من العوامل المشتركة بين بلدان الوطن العربي ، نجد أن لكل منطقة منه ما يميزها ويدعمها نحو المضي في تجسيد خطط للتغلب على الواقع المتردي ، وهذا ما سنحاول تسليط الضوء عليه في المبحث الموالي ، حيث سنستعرض بعض الجهود المبذولة من قبل بلدان المشرق والمغرب العربيين لبناء وتشييد مجتمعات المعرفة .

[1]–المرجع والمكان نفسه .

[2]–المرجع والمكان نفسه .

المبحث الثاني :واقع بناء وتشييد مجتمع المعرفة في الوطن العربي

أولا: في المشرق العربي (الإمارات العربية المتحدة، السعودية)

ثانيا:في المغرب العربي(الجزائر، تونس،المغرب)

أولا: في المشرق العربي:

أ-جهود دولة الإمارات للولوج إلى مجتمع المعرفة:

إنه وبالنظر إلى التحولات الجذرية والعميقة التي يشهدها العالم اليوم من تزايد لحجم العنف والإرهاب والممارسات اللاّأخلاقية ، هذا من جهة وإلى تزايد نسب الفقر والضياع والحرمان التي تشهدها الكثير من البؤر الساخنة في العالم والواقعة تحت أثر الحروب والصراعات الدينية والعقائدية ، خاصة منها دول المنطقة العربية ، في ظل هذه الظروف المستعرة ومع تزايد انتشار الرّفاه السياسي والاجتماعي والثقافي في بقاع أخرى من العالم ، أصبح يظهر جليا التفاوت في طبيعة الحياة ونوعيتها من بلد لآخر وارتباط هذا الأخير بالعنصر البشري وأدائه مما يدعونا للحديث عن قيمة رأس المال المعرفي الذي يمثل المخزون والكنز الثمين لكل دولة تصبو إلى الرّيادة والتقدم.

كان العامل البشري على مر الزمن عاملا حاسما في نمو المجتمعات ونهضتها ، فبالرغم ممّا شهدته عصور الزراعة والصناعة من اعتماد على القوة البشرية ، وعلى عوامل أخرى مساندة ، إلا أن طبيعة هذا العصر وخصوصيته أصبحت تدعو أكثر إلى ضرورة وضع الخطط الممنهجة والمدروسة بعناية في التعامل مع رأس المال المعرفي في الدولة ،

باعتباره حاملا لرمز وقيم التفوق والإنجاز ، فهو المحرك الذي لا يمكن لعجلة التنمية أن تسير دونه.

ولعل أفضل مراحل حياة الإنسان هي مرحلة الشباب باعتبارها مرحلة القوة واكتمال النمو الفيزيولوجي على أشده ، من هنا جاء الإهتمام بضرورة رعاية اهتمامات الشباب والسعي من أجل تنمية قدراتهم النفسية والعقلية والجسدية ، حتى تساهم في تطور مسيرة التنمية الشاملة ، ولعله لدينا في العالم العربي نماذج ريادية شابة وفاعلة مساهمة وبدور كبير في أحداث الفرق بين عالم التخلف وعالم الصدارة ، من بين هذه النماذج الناجحة اخترنا نموذج الشباب الإماراتي باعتباره تجربة نجحت على مستوى الممارسة في تقدم المجتمع الإماراتي .

لذلك نتساءل عن جوهر العملية التنموية التي خضع لها الشباب الإماراتي ؟ وما هي الخطط المتبعة من قبل دولة الإمارات في رعاية اهتمامات الشباب ؟ وكيف تجسدت على ارض الواقع ؟

تعتبر الإمارات العربية المتحدة، كنموذج عربي رائد في مجالات العلوم والابتكار، وقد حققت هذه الإمارة نجاحات سباقة في الكثير من الميادين الحيوية، مما جعلها تزاحم وتنافس المملكة العربية السعودية في ترسيم ملامح مجتمع المعرفة العربي.

يقال ذلك بالنظر إلى ما "يواجه المجتمع العربي من حالة العقم والتوتر والتآكل يفضي ذلك إلى نتيجتين اثنتين: أما أولاهما فتقوم على دخوله في حالة من الغيبوبة والشلل العمومي ومن ضمنه المعرفي والثقافي عموما. في حين تفصح النتيجة الثانية عن نفسها بصيغة تحول هذا المجتمع إلى لقمة سائغة في أيدي الغزاة وَالمستبيحين والطامعين"[1].

والملاحظ خاصة على أقطار الوطن العربي أن أكبر إشكالية تعوق نهوضها وتوجهها نحو إقامة مجتمع المعرفة هو الخلل السياسي الناتج عن انعدام الأمن والاستقرار فكل هذه العوامل إنما تساهم في تعقيد الوضع المعرفي العربي وتأزيمه يوما بعد يوم.

[1] احمد بلال، حول أزمة المعرفة العربية، مكتبة دار طلاس دمشق، ط1، 2005، ص 22.

وإذا كان الاستبداد السياسي ذا نسيج واحد، إلا أنه قد يختلف في نتائجه وفق الظروف المجتمعة، التي يحكم في إطارها فها هنا نلاحظ أن البعض ممن يمسكون بالسلطة بأيديهم، لا يقفون بالضرورة في وجه تقدم بلدانهم اقتصاديا واجتماعيا وعمرانيا وربما كذلك ثقافيا ومعرفيا بعكس البعض الآخر، ممن يمسك بالسلطة وكذلك بمفاصل المجتمع عموما وخصوصا في آن واحد، ومع أخذ ذلك بعين الاعتبار، فإنه يغدو واضحا أن "التخلف العربي ذا المرجعيات التاريخية خصوصا يجري تحويله إلى "تخليف" تتمثل وظيفته في تأبيد الأوضاع العربية وفي جعلها حاضنة لاستجلاب الغزاة لاحتلال البلاد وإذلال العباد"[1].

وقد تعالت الصيحات الدولية الداعية للدخول ضمن ما يسمى القرية الكونية والتي تدعوا إلى تأسيس نظرة أحادية تضمن "وحدة البشرية" بالموازاة مع المشاريع التنموية والتحديثية التي يتم دفع الوطن العربي لولوجها وتحقيقها بالرغم مما تحمله من كوارث وألغام يعود أثرها السلبي على الواقع الثقافي والقيمي وقبل ذلك السياسي بكل تأكيد.

فـ "مباغتة المجتمع العربي بتلك التحولات النوعية الكبرى والمفتوحة، تتم في موقع مؤسس على استبداد رباعي يتجلى في الاستفراد بالسلطة وبالثروة وبالحقيقة وبالرأي العام وفي هذا ما يدعو للتبصر والتأمل العميقين، إذ كيف لذلك المجتمع أن يواجه الإشكالية التالية إن تلقف المجتمع المعرفي العولمي من قبله أمر غير ممكن، وإنه سيخربط خصوصياته إذا أُقْحِمَ فيه إقحاما، وغن قبضتي الاستبداد الداخلي والتدفق العولمي الخارجي يَعدانه بالخروج من التاريخ فما العمل وما الآفاق"[2].

نقول ذلك بالنظر إلى التقارير الصادرة عن الأمم المتحدة والتي توالت خلال السنوات الماضية بدءا من العام 2002 الذي تم فيه رصد حال المعرفة العربية وعلاقتها بالحرية، كما ناقش وضع المرأة العربية، في حين أن التقرير الثاني الصادر سنة 2003 والذي جاء

[1] المرجع والمكان نفسه.

[2] المرجع السابق ،ص 24.

تحت عنوان "نحو مجتمع المعرفة" فالرغم مما يحمله من توجيه استشرافي واعد فإنّه كان حمّالا لجملة من النتائج المقررة سلفا والتي تُحْبِطُ أكثر مما ترفع الآمال والطموحات في تشيد غد جديد وواعد للدول العربية، وبكلمة واحدة يمكن أن نقول أن هذا التقرير كان إيديولوجيا موجها لخدمة أهداف معينة يستحيل أن يكون المستفيد منها هو العالم العربي.

وكأبسط مثال على جملة الانتقادات التي طالت هذا التقرير أنه "اعتمد على معيار لقياس التنمية الإنسانية .....ومن عند نفسه، وهو معيار غير معترف به علميا أو عالميا أو منهجيا، وما زال تحت التجريب، وقد أرسل الدكتور نادر فرجان نداء من أجل إجراء دراسات حوله بقصد تعديله وتوسيعه وإزالة شوائبه مستقبلا لكي يحصل على الاعتراف به، ولا مبالغة إذا استنتج، والحالة هذه، أن التقرير صمّم معياره خصيصا للبلاد العربية ليهبط بها إلى أدنى السّلم، وإلاّ كيف لا يبرز الشك من قوله "معيار مفهوم التنمية الإنسانية يجعل من السابق لأوانه الاحتفاء بالإنجازات التنموية العربية كما يوحي مقياس التنمية البشرية[1]لذلك ونتيجة لما شاب هاذين التقريرين من نقائص وعيوب عديدة، فقد حملت مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم على عاتقها برعاية السيد محمد بن راشد آل مكتوم مؤشر المعرفة العربي الذي يهتم بدراسة واقع وحال التنمية المعرفية والثقافية في العالم العربي بأكبر قدر من المصداقية والمعقولية.

حيث تعتبر تقارير المعرفة العربية جهدا مشتركا بين مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم وبرنامج الأمم المتحدة الإنمائي كما تمثل حالة ثقافية عربية تهتم بالمعرفة وأبحاثها نحو بناء مجتمع المعرفة.

[1]منير شفيق، تنمية إنسانية أم عولمة، دراسة تحليلية نقدية لتقريري التنمية الإنسانية العربية لعام 2002 – 2003، دار الطليعة بيروت، ط1 2004، ص 27.

وقد صدرت ثلاثة تقارير للمعرفة حتى الآن: "نحو تواصل معرفي منتج وكان سنة 2009 و"إعداد الأجيال القادمة لولوج مجتمع المعرفة" سنة 2014 واكتساب وتوطين المعرفة" سنة 2016.

ولا يقتصر ما تقدمه هذه التقارير على تحليل مفصل لوضع نقل ونشر المعرفة، لكنها توصي أيضا بالخطوات اللازمة لزيادة تعزيز القدرات في هذا المجال.

"فقد حققت الإمارات العربية المتحدة العديد من الإنجازات التنموية المرموقة وفي زمن قياسي ومنذ البداية كان بناء الإنسان الإماراتي وتمكينه من الأهداف المعتمدة والتي اقترنت بإرادة سياسية لتحقيق ذلك مدعومة بالإرادة المجتمعية الصادقة والوعي بأهمية اللحاق بركب الدول المتقدمة ولعل السعي الدؤوب لإقامة مجتمع واقتصاد المعرفة في الإمارات يمثل أحد أهم تجليات هذه التوجيهات والسياسات وكما يؤكد فإن الاستراتيجيات والآليات المقترحة في هذا التقرير ليست قابلة للتطبيق فقط، بل إن الإمارات تملك معظم، إن لم نقل كافة شروط نجاحها، فالدولة تتمتع ببنية تحتية ومعلوماتية متطورة، واقتصاد قوي، وإدراك واضح لأهمية بناء المجتمع المعرفي، ولضرورة الاشتراك الفاعل للشباب في هذه العملية التنموية المركزية"[1] ويأتي تقرير المعرفة العربي حول الشباب من أجل استكمال الرؤى والنتائج التي توقف عندها التقرير السابق حيث أظهر التقرير الأول "أن التقدم الكمي في التعليم مع الإشارة بخلف تراكم رأسمال معرفي وبيئته تمكينيه ملائمة تسمح بتحول المعرفة إلى عنصر فاعل في التنمية الإنسانية، ويلبي متطلباتها"[2].

ذلك أن "الدول العربية ومن بينها دولة الإمارات العربية المتحدة، لم تتمكن بعد من إيجاد الكتلة الحرجة المطلوبة من الشباب المؤهل الذي يمتلك على قيادة عملية إقامة مجتمع

[1] مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم، برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، تقرير المعرفة العربي للعام 2014، الشباب وتوطين المعرفة، دولة الإمارات العربية المتحدة، دار الغرير للطباعة والنشر، دبي، (دون طبعة / دون سنة الطبع) ص، ت.

[2] المرجع نفسه، ص 4.

واقتصاد المعرفة"[1].فالبرغم من الإرادة السياسية الداعمة لجهود إقامة مجتمع المعرفة، وكذا التطور التكنولوجي والتقني الذي طال جُلّ المؤسسات التربوية والتعليمية، تبقى الحاجة ماسة إلى العنصر البشري المؤهّل الذي بإمكانه أن يعطي دفعا قويا لعجلة التقدم المعرفي.

"وقد يكون النموذج الإماراتي الأكثر دلالة على واقع تطور التعليم والعلوم في الدول العربية الغنية، كونها تتبع سياسة إنمائية شاملة وتعمل على إنماء قدراتها البشرية مستفيدة من إمكانياتها الاقتصادية الكبيرة، وانفتاحها على العالم، في المقابل لا يمكن مقارنة تجربتها مع تجارب دول عربية فقيرة كالسودان والصومال واليمن، أو دول تعتبر نسبيا ضعيفة على صعيد التعليم كلبنان ومصر وقدراتهما المالية محدودة"[2].

كما أن "ولوج مجتمع المعرفة يقتضي توفير جملة من الشروط الضرورية، في مقدمتها تأهيل النشىء، وتكوينهم عن طريق تزويدهم بمهارات معرفية وحياتية جديدة تحولهم من مجرد مستهلكين للمعارف إلى فاعلين قادرين على انتاج المعرفة وتداولها واستثمارها"[3].

وإذا كانت دبي بمثابة المركز الرئيسي التجاري للإمارات العربية المتحدة، وأبو ظبي المركز النفطي، فإن الشارقة هي المركز الرئيسي للنشاط التربوي والثقافي، وقد بذلت الإمارات جهودا كبيرة في سبيل النهوض بالعملية التربوية كمّا وكيفا، من دور الحضانة إلى الجامعات الحكومية والخاصة إلى مراكز التدريب والبحث والابتكار حيث "أقرّت حكومة الإمارات استراتيجية وطنية خاصة للتربية والتعليم تدعى "التربية 2020" "Education"، عبارة عن سلسلة من الخطط الخمسينية تهدف إلى إدخال التقنيات الحديثة في التعليم وتنشيط وتعميق المعارف الابتكارية والإبداعية وتحفيز التعليم المستدام كما ركّزت هذه الإستراتيجية على برامج الرياضيات وإدخال تعليم العلوم في الصفوف الابتدائية، وأولت

---

[1] المرجع والمكان نفسه.

[2] عبد الحسن الحسيني، التنمية البشرية وبناء مجتمع المعرفة، قراءة في تجارب الدول العربية وإسرائيل والصين، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1 2008، ص 237.

[3] المرجع السابق (ص ص / 4 – 5).

اهتماما خاصا إلى اللغات الأجنبية وخصوصا الإنكليزية وفي العام 2006 وضعت وزارة التربية في سلم أولوياتها آلية تحسين جودة التعليم عن طريق التطوير المستمر للبرامج التربوية وإدخال المعلوماتية والتقنيات الحديثة في قلب البرنامج التعليمي"[1].

وهذه الإجراءات المتبعة قد آتت أُكْلَهَا، حيث توضَّح أنه وفي ترتيب الدول حسب مؤشر جودة التعليم العالي عالميا وعربيا أن الإمارات العربية احتلت المرتبة العاشرة عالميا والثانية عربيا في حين تصدرت قائمة الدول العربية من حيث جودة التعليم العالي دولة قطر لتجيء في المرتبة الرابعة دوليا.

ومن حيث جودة التعليم الابتدائي جاءت قطر في المرتبة التاسعة عالميا والأولى عربيا، أما الإمارات فكان من نصيبها المركز الثالث عشر عالميا والثاني عربيا[2].

وليس من الغريب في شيء أن تتصدّر الإمارات المراتب العربية والعالمية في جودة التعليم الابتدائي والجامعي هذا بالنظر إلى جملة المرافق والمؤسسات ومراكز البحوث التي أقامتها الدولة حيث "يوجد في دبي وحدها 38 مدرسة حكومية و 132 مدرسة خاصة، ويقع على عاتق وزارة التربية مهمة الإعتراف بالمدارس كما تأسّس عام 2005 "مجلس العلم" في دبي ومن أبرز مهامه تطوير التربية والتعليم والعلوم في الإمارة"[3].

في حين أنه وعلى صعيد التعليم العالي "بلغ عدد المؤسسات التعليمية في الإمارات العربية المتحدة 37 مؤسسة تعليم عالي جامعية وفنية وخاصة"[4].

---

[1] عبد الحسن الحسيني، التنمية البشرية وبناء مجتمع المعرفة (ص ص 238 – 239).

[2] لمعلومات أكثر أنظر www.Kommooyenet.com.(نتائج2018)

[3] المرجع السابق، ص 239.

[4] المرجع والمكان نفسه.

1-الشباب والمعرفة في الإمارات العربية المتحدة:

في حديث أفلاطون عن الدولة وقيامها، وأن الدولة التي لا يقودها العقل تسود فيها الفوضى، يشبّه الدولة بالسفينة لبيان الخطر المحدق بها في حال تسلّط القوى غير العقلية وغير الكفوءة عليها حيث يقول لمحاوره: "تأمل ماذا تكون النتيجة إذا انتقينا ربابنة السفن باعتبار ثروتهم دون جدارتهم الفنية ورفضنا ذا الجدارة في الملاحة لفقره أَفَتُسْتَثْنَى الدولة من هذا الحكم أم ترى أنه يشملها"[1].

فالعامل البشري أو كما يصطلح عليه برأس المال البشري عامل مهم وأساس في تعبيد الطريق لولوج مجتمع المعرفة، وعلى هذا الأساس فقد أولت الإمارات العربية المتحدة اهتماما كبيرا بالعنصر البشري ففي مجتمع المعرفة "الإنسان هو رأس المال بوصفه منتجا للمعرفة، وتقاس المجتمعات ورقيها بمدى القدرات الفكرية التي ينتجها مختلف جوانب الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية"[2].

وإذا كانت الإمارات العربية المتحدة "وبناء على التقديرات السكانية لعام 2013، يشكل الشباب في دولة الإمارات من سن 19 – 29 ما نسبته 22,2% من إجمالي السكان"[3].

فقد كثّفت دولة الإمارات العربية جهودها من أجل الاستثمار الأمثل في فئة الشباب، حيث يرادف مفهوم الشباب "القدرة على العمل والإنتاج والتواصل، وهو يكافئ .... والفعل المنتج، كما يشكل قاطرة للتواصل بحكم قابلية لذلك، وحرصه في الوقت نفسه على المغامرة وقدرته على الإقدام المصحوب بالجرأة والحماس، ولا شك في أن التفكير في موضوع إعطاء دور معين للشباب من أجل توسيع فضاءات مجتمع المعرفة في العالم العربي يتجه إلى العناية

---

[1] نقلا عن أفلاطون، جميل صليبا، من أفلاطون إلى ابن سينا، دار الاندلس، دمشق، ط4، 1951، (ص ص / 102 – 103).

[2] أ. د. عبد الكريم مجدي حبيب، مجتمع المعرفة والإبداع في القرن الحادي والعشرين، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 2009، ص 19.

[3] مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم، برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، تقرير المعرفة العربي للعام 2014، ص 11.

بما يمتلكه الشباب من مؤهلات مسنودة بروح المبادرة والجرأة، الأمر الذي يمكنهم من ولوج دروب مجتمع المعرفة بطرق أكثر سلاسة، مقارنة مع باقي مكونات المجتمع"[1].

لذلك تعمل الدول قدر الإمكان من أجل الاستفادة من الموارد البشرية، لأنها العامل المهم والثروة التي لا تنصب، فإذا استعانت الإمارات العربية المتحدة بالخبرات الأجنبية في مدارسها وخاصة في جامعاتها، فذلك قصد تدريب اليد العاملة الوطنية، من أجل الاعتماد عليها في توطين وصناعة المعرفة حتى تتخلص تدريجيا من نقل واستيراد المعارف وبذلك تتخلص من تبعيتها للآخر، ففقد توفرت اليوم للمجتمعات البشرية "الخبرة الكافية والإمكانات العملية أو النظرية لمساعدة الإنسان على التفتح الكامل ونحن إذ نقول هذا لا نستهين بالصعوبات التي قد تحول دون تحقيق هذه الغاية، وعندما يتاح للكائن أن ينفتح، وأن يصبح عنصرا فعالا في التنمية والإصلاح وجنديا من جنود الديمقراطية ومواطنا واعيا لمسؤولياته في العالم، وانسانا يعمل من أجل تحقيق مصيره بيده، فغنه عندئذ سوف يجدر الطريق المستقيم نحو المثل الأعلى الذي هو الإنسان الكامل"[2].

فلا يمكن للإنسان أن يحقق درجة الكمال إلا بسعيه الدائم والدؤوب لاكتساب المعرفة، ولن يتأتى ذلك إلا بمزيد من التدريب والتلقين والتعلم المستمر، وبالنظر إلى نسبة الشباب في المجتمع الإماراتي (22,2%) والتي لا تبدو كبيرة مقارنة بباقي المجتمعات العربية الأخرى كمصر مثلا، والتي تصبح فيها نسبة النمو الديمغرافي، وتزايد فئة الشباب فيها، تزيد من حالة القلق والاضطراب، وذلك لما يتطلبه من ضرورة توفير وظائف تحد من البطالة في صفوفهم وتؤهلهم للانخراط في الحياة الاجتماعية فإن الإمارات تبد بعيدة عن هذه الهموم لأنها استطاعت أن تكون من أقل الدول العربية في مستوى بطالة الشباب وذلك يرجع بالأساس إلى سياسة المساعدات الاجتماعية التي تحدثها الدولة كصندوق الزواج، ونظم

[1] المرجع نفسه، ص 11.

[2] ايدجارفور وآخرون، تعلم لتكون، ص 223.

التكافل الأسري والاجتماعي، بالإضافة إلى التركيبة الثقافية والهوياتية للمجتمع الإماراتي القائم على النظام القبلي، وعاداته وتقاليده التي تدعم الشباب وتدمجهم في الحياة العملية "بطرق سلسلة وآمنة[1].

فإذا كان الملاحظ أنه في مجتمع المعرفة أن دور الموارد البشرية قد تجاوز الدور الذي كان للموارد الطبيعية"[2].

فإن فئة الشباب في دولة الإمارات تعد من أهم الفئات المعنية بقضايا نقل وتوطين المعرفة، وإنتاجها وتوظيفها ونشرها ودمجها في عمليات التنمية الاقتصادية والاجتماعية، وفي السياق الثقافي للمجتمع بصفة عامة، ذلك أن الشباب يمثلون أكثر فئات المجتمع قدرة على التعلم والتدريب والعمل والإنتاج والإبداع وهم في الحقيقة، قوة محركة للتنمية داخل المجتمع.

2-التجربة الإماراتية في التطوير واستخداماتها في التنمية البشرية والاقتصادية:

سنة 2007 أطلق سمو الأمير محمد بن راشد آل مكتوم مؤسسة رائدة للتنمية البشرية وتطوير العلوم و البنى المعرفية في الوطن العربي ودعم العقول الشابة دورها تمويل البعثات العلمية والدراسات والبحوث بوقفية قيمتها 10 مليارات دولار ليضيف إلى التحديات الاقتصادية الكبرى التي دأب على التصدي لها، تحديا جديدا يهدف إلى رفع مستوى الوطن العربي إلى مصاف الدول المتقدمة والمنتجة للمعرفة، واصفا مهمته الجديدة " بالحراثة في البحر" لصعوبتها، ومعلنا عن عزمه على التصدّي لها بكل قوة وشجاعة لبلوغ الإمارات المتحدة ومعها الوطن العربي في المراتب الأولى عالميا على صعيد التقدم العلمي، والتي من شأنها لو حققت أهدافها أن تقضي على الفجوة المعرفية القائمة بين العالم المتقدم والوطن العربي.

[1] المرجع السابق، ص 11.

[2] المهدي لمنجزة ، حوار التواصل من أجل مجتمع معرفي عادل، دار وليلي للطباعة والنشر، مراكش، ط6، 2000، ص 106.

وخلال مؤتمر المعرفة الأول أكتوبر من العام 2007 الذي أقامته المؤسسة، جرى التطرق إلى أبرز المشاكل التي يعانيها الوطن العربي على صعيد التربية والتعليم والعالم والثورة الرقمية، إلى مسائل النشر وعالم العمل إلى إهمال التراث العربي والإسلامي، كما طرحت مشكلات هجرة الأدمغة وطريقة إعادتها والاستفادة منها. ودعم الجامعات ومراكز البحوث وكل ما يسمح بولادة مرحلة جديدة من مراحل الإبداع العربي والإسلامي، يعيد إلى الحضارة العربية والإسلامية بعضا من بريقها السابق، في هذا المجال أطلقت المؤسسة آلية عمل لتنفيذ مشروع كبير لدعم "التعليم والمعرفة" في السنوات المقبلة يقوم على":

أ-**تعزيز المعرفة الدولية**:يصدر تقريرا سنويا بالتعاون مع برنامج الأمم المتحدة الإنمائية ويهدف إلى رصد وتحليل واقع المعرفة في المنطقة العربية ويحدد أهم الخطوات والإجراءات للتغلب على المعوقات والمؤشرات السلبية التي تواجهها.

ب-**تحسين جودة التعليم العالي**: سيتم بالتعاون مع برنامج الأمم المتحدة للجودة والاعتماد عربية مستقلة للجودة والاعتماد تضاهي أهم المؤسسات الإقليمية والدولية وتتبع أفضل المعايير الدولية.

ج-**تأسيس شبكة الأبحاث العربية**:باشرت عملها في ديسمبر 2008 وستقوم بالأبحاث وفتح شراكات فعّالة للتعاون بين العلماء والدراسيين العرب.

د-**شبكة تأهيل المدرسين**: إطلاق برامج التدريب المدرسي وربط معلّمي المدارس في الوطن العربي بها لنقل التجارب وتبادل الأفكار.

هـ-**شبكة تدريب طلاب الجامعات**: تعمل هذه الشبكة على تحقيق التواصل بين طلاب الجامعات الباحثين عن فرص للتدريب العملي والشركات العربية باحثة عن المتخرجين الواعدين.

و-**برامج البعثات:** لمساعدة نخبة الشباب العرب الراغبين بمتابعة الدراسات العليا في الاختصاصات الفنية والطبية في الجامعات المتقدمة عالميا.

ي-**برنامج الرواد:** يركز على مساعدة متخرجي الجامعات المتفوقين والراغبين بمتابعة الدراسات العليا في إحدى الجامعات العربية الأكثر تقدما في مجال الاختصاص.

2-**اطلاق برنامج الماجستير الإلكتروني للنساء:** يخدم هذا البرنامج النساء الطموحات اللواتي تحول التزاماتهن العملية والعائلية دون الالتحاق بالمعاهد والجامعات لاستكمال الدراسات العليا.

1- **المهارات القيادية العربية:** يهدف هذا البرنامج إلى بناء القدرات العلمية في مجال قيادة وإدارة المؤسسات للأفراد والمجموعات وسيخصص للشباب العاملين في القطاعين العام والخاص.

2- **برنامج رواد الأعمال:** سيتم تنفيذه مع الجامعات الراغبة في اكتساب طلابها مهارات إطلاق أعمالهم ومشروعاتهم واستثماراتهم الخاصة.

3- **حاضنات الأعمال في الجامعات:** يعمل مع حاضنات الأعمال الموجودة في الجامعات ويساعد على تطوير قدراتها وسيدعم إنشاء حاضنات جديدة في الجامعات الراغبة في ذلك.

4- **صندوق المحتوى الإلكتروني:** يسعى إلى تطوير المحتوى العربي على شبكة الأنترنت من خلال دعم أفكار الشباب ومشروعاتهم في مجال البرمجيات والمواقع العربية على شبكة الأنترنت.

5- **برنامج صناعة الخير:** يهدف إلى تطوير قدرات المانحين على إنشاء المشروعات الخيرية والإنتاجية للمساهمة في تحويل متلقي المساعدات على منتجين يعتمدون على أنفسهم.

6- مجتمع المعرفة: يوفر مصادر المعرفة ونشرها وتسهيل الوصول إليها ورعاية المشاركين في انتاجها والقادرين على الإنتاج خصوصا الشباب والشابات الموهوبين والمبدعين.

"ومن خلال قراءة تجارب الدول النامية نجد انه يمكن إضافة أفكار جديدة منها: إعطاء الأهمية للتربية الحضانية والابتدائية، واكتشاف مواهب الأطفال ورعايتها وتنميتها من خلال برامج خاصة.

استعادة واستيعاب الأدمغة المهاجرة والاستفادة منها على صعيد تعليم طرائق البحث وتوظيف أفكارهم.

تفعيل التعاون بين مراكز البحوث وقطاعات الأعمال والإنتاج بهدف توظيف نتائج البحوث.

توحيد المصطلحات العلمية العربية وترجمة العلوم إلى العربية.

إجراء مسح اقتصادي للوظائف والاختصاصات المطلوبة والمتوقعة وإقامة قواعد متاحة للجميع.كما يعمل على تكريم المبدعين والمبتكرين على أعمالهم وتمويل نشر مؤلفاتهم.

"إنشاء الأكاديمية العربية للعلوم بمشاركة جميع الدول العربية التي تساعد في وضع الخطط والبرامج البحثية واختراع آليات التعاون والتنفيذ والتمويل، حصر الطاقات الفكرية داخل الوطن العربي وخارجه والعمل على الاستفادة منها وغير ذلك"[1].

ولا شك أن تنفيذ هذا البرنامج الواعد سيؤدي حتما إلى ارتقاء المجتمع العربي إلى مستويات وسيساعد في تحسين عمل وجودة "مصانع المعرفة" العربية وسيؤدي إلى نقله نوعية في الأمن القومي المعرفي العربي.

لكن السؤال المطروح يكمن في هل تكفي هذه الإجراءات لتحقيق التنمية البشرية المعرفية في الدول العربية الفقيرة التي تسودها اضطرابات سياسية واجتماعية واقتصادية أو

[1] عبد الحسن الحسيني، التنمية البشرية وبناء مجتمع المعرفة، ص 244.

التي ينتشر فيها التطرف؟ بالطبع إن هذه الدول وغيرها ومهما كان مستوى التنمية لديها، بحاجة إلى برامج خاصة وإلى إعادة تأهيل الإدارة وإقامة نظام سياسي واجتماعي وإداري مستقر ومحاربة الفساد والمفسدين فيها وتفعيل النشاط الإداري، واعتبار "العائلة" ونواتها "الأم" مصدر التوعية والتربية الأول التي يجب العمل لرفع مستواها الفكري والثقافي كي تتمكن من تحضير أبنائها للدخول في معترك الحياة مزودين بالأخلاق الحميدة.

"في موازاة عمل هذه المؤسسة وبهدف إصلاح وتفعيل نشاط الدولة، أطلق حاكم دبي سمو الأمير محمد بن راشد خطة طموحة تعطي دفعا لعجلة التنمية المستدامة والمتوازنة على المستويات البشرية والاقتصادية والإدارية في كل الإمارات السبع لبلاده وتتضمن المقدمة للمواطنين والمقيمين في البلاد، وتوحيد الجهود وحشد الطاقات ضمن إطار عمل مشترك محوره الأساسي "الإنسان" وهي تغطي ستة قطاعات رئيسية و واحدا وعشرون موضوعا مختلفا ومجموعة من المبادئ العامة لتعزيز التعاون بين السلطات الاتحادية والمحلية وتفعيل الدور التنظيمي ووضع السياسات في الوزارات وتحسين آليات صنع القرار، ورفع كفاية الأجهزة الحكومية وفاعليتها والارتقاء بمستوى الخدمات المقدمة والتركيز على المتعاملين كما تشدد على تطوير قوانين الخدمة المدنية وتنمية الكوادر البشرية من خلال التركيز على الجدارة والاستحقاق والتوطين الفعال، وتأهيل خيارات الصف الثاني، فضلا عن منح الوزارات مزيدا من الاستقلالية في عملها ومراجعة كافة التشريعات والقوانين وتحديثها"[1].

وبالطبع فإن القطاعات الستة موضع الاستراتيجية هي: التربية والتعليم، الصحة، العمل والعمالة، النظام القضائي، النظام الوطني للطوارئ والبنية التحتية، وهي بمجملها تعاني نقصا في نشاطات التخطيط الاستراتيجي، وضعفا في الإطار التشريعي والقانوني والإداري وغيابا للسياسات الواضحة تجاه كل النشاطات الحيوية والمهمة، مع التأكيد أن المشكلة ليست مالية بل في التطبيق.

[1] المرجع السابق، ص 245.

ولقد طالب الشيخ محمد بن راشد في استراتيجيته بأن يكون الطالب محور العملية التعليمية، متسائلاً: هل الموازنة تجبر أهل التربية على التمسك بطرق التعليم القائمة على التلقين والحشو والحفظ؟.

بالنسبة لقطاع الصحة، أكد أن المشكلة ليست في عدد الأطباء وسعة المستشفيات وانتشار العيادات الخاصة وتوافر أحدث الأجهزة والمعدات، بل المشكلة هي في "جودة الخدمات الصحية"فالطب يتطور بسرعة مذهلة ويوجد أطباء لم يجدّدوا معلوماتهم ولم يحضروا مؤتمرا طبيا منذ عشرين سنة.أما بالنسبة للعمل والعمالة المحلية والأجنبية، اقترح مجموعة من الآليات العملية التي تؤثر إيجابا على التركيبة السكانية من ضمنها "تقليص العمالة الهامشية ومعالجة ظاهرة العمالة المخالفة"، وطالب بتحسين خدمات شبابنا وشباتنا بحيث تتنافس عليها مؤسسات الحكومة وشركات القطاع الخاص" مما يُمَكَّنُ من استبدال العمالة الأجنبية بمواطنين إماراتيين.

"وشدّدت الاستراتيجية على توسيع دور القطاع الخاص، معتبرة أنّه وبالرغم من ارتفاع الناتج المحلي من 71 مليار دولار في العام 2002 إلى 164 مليار دولار في العام 2006، ويمكن تحقيق المزيد، إذ لا تزال لدى الدولة مجالات عديدة بحاجة إلى تحسين وتطوير"[1].

أما في القطاع الحكومي، فقد ركزّت الإستراتيجية على نشاطات الحكومة معتبرة أن "رؤيتنا للحكومة هي أن تكون من أفضل الحكومات في تقديم الخدمات، وأن تكون مكانا لاحتضان الطاقات المواطنية المؤمنة بقيادتها والقادرة على ابتكار الحلول وتبني أفضل الممارسات العالمية بحيث تصبح ممارسات حكومة الإمارات قياسية تسعى الدول الأخرى إلى تبنيها وتقليدها" [2].

[1] المرجع السابق ،ص 246.

[2] المرجع نفسه، ص 247.

كما حضّت الإستراتيجية على تغيير ثقافة العمل السائدة لتحل مكانها ثقافة الإبداع والابتكار والإنتاجية والتفاني في أداء الواجب، لذلك يجب إدخال تعديلات جوهرية على الهياكل التنظيمية للوزارات وتغيير مسميات شاغلي الوظائف العليا فيها،مع تبني ترتيبات مماثلة لمجالس الإدارات في الشركات الخاصة،وذلك بهدف ترويج ثقافة القرار المؤسسي وتعزيز روح المساءلة.

كما أسهبت الاستراتيجية في الحديث عن ضرورة تطوير نظام العدل وسلامة النظام القضائي، داعية إلى مكتبة الملفات القضائية وتعديل النصوص المتعلقة بالإجراءات القضائية من أجل التعجيل في الفصل بين النزاعات وتفعيل دور معهد التدريب والدراسات القضائية وعقد شراكات مع أفضل المعاهد القضائية في العالم.

وبالنسبة لنظام الطوارئ الوطني طالبت الإستراتيجية بوضع خطة طوارئ وطنية شاملة تحدد بشكل واضح الأدوار والمسؤوليات لضمان الاستجابة الفعالة والمتناسقة لكامن المخاطر المتوقعة وتعزيز جهوزية القطاعات المساندة لنظام الطوارئ.

وبالرغم من وجود بنية تحتية متطورة تضاهي أرقى المستويات العالمية، فإن عناصر هذه البيئة تتعرض لضغوط شتى "ففي مجال الإسكان مثلا، لا يزال النقص كبيرا والطلب على المساكن في ازدياد بالرغم من حجم المشروعات والبرامج السكنية، وفي هذا السياق، أطلقت أبو ظبي في نسيان من العام 2008، مدينة نموذجية تابعة لشركة أبو ظبي لطاقة المستقبل تدعى "مصدر" للارتقاء بمستوى المعيشة وتحقيق التنمية المستدامة، وتستخدم "الطاقة البديلة" والتكنولوجيا المتجددة"، ويسعى المسؤولون عنها إلى تحويلها مركزا لتطوير التكنولوجيا مساهمة فاعلة في التنمية البشرية المستدامة"[1].

وما يمكن ملاحظته على هذه المدينة النموذجية "أنها تستخدم توليد الكهرباء بواسطة الألواح الشمسية الكهرو ضوئية، وهي ستمنح السكان حياة متوازنة في تصميم بيئي مدني يخصص

[1] المرجع والمكان نفسه.

فيه 30% من المساحة للمنازل، و24% لمنطقة الأعمال والبحوث العلمية، و13% للمشاريع التجارية بما فيها الصناعات الخفيفة، و6% لمعهد العلوم والتكنولوجيا بالتعاون مع معهد ماساشوست للتكنولوجيا المعروف عالميا و19% لمراكز الخدمات والاتصالات، و8% للهيئات المدنية الثقافية"[1].

لقد حققت الإمارات العربية المتحدة تقدما كبيرا في السنوات الأخيرة على صعيد الصادرات وبلغت أعلى معدل لها في دول الخليج العربي "بما يوازي 24% من إجمالي صادراتها منها 10,2% صادرات تكنولوجية عالية، و76% من إجمالي صادراتها في المواد الأساسية والأولية بما فيها النفط، وبشكل عام تشكل حركة الاستيراد 76% من إجمالي الناتج المحلي والصادرات 94%منه.

لقد أثبتت دولة الإمارات قدرتها على التغلب على المصاعب واستطاعت الوصول إلى مستويات متقدمة في التنمية لذلك لن يكون صعبا عليها تطبيق هذه الاستراتيجية وتنفيذ أهدافها للوصول إلى مستويات في خدمة الإنسان والتنمية"[2].

[1] المرجع والمكان نفسه.

[2] المرجع نفسه، ص 248.

ثانيا: جهود دولة السعودية للولوج إلى مجتمع المعرفة

تعد المملكة العربية السعودية من الدول العربية السبّاقة للسير في طريق مجتمع المعرفة، وذلك بالنظر إلى الإنجازات المقدمة من طرف الدولة وبالنظر كذلك إلى جملة ما تم تحقيقه من أهداف تم رفعها في الكثير من المحافل الدولية سواء تعلق الأمر بالحكومة الالكترونية، أو بالإقتصاد المعرفي، أو تأسيس المدن الذكية .

" فنحن نمر الآن بمرحلة من التطور تعرف بتطور العلم التقني حيث لا يتم التعامل مع مجموعة من العلوم التطبيقية بالمفهوم القديم للعلوم، وإنما يتم التعامل معها في مجال التطبيق التكنولوجي الذي يتفاعل مع منجزات كل العلوم الأساسية ويجعل الفارق الزمني ضئيلا بين المعرفة المتولدة عنها والمعرفة وتطبيقها "[1]وبالنظر إلى المشهد العالمي وما يميزه من تداول غزير للمعلومات أين يصبح البحث عن المعلومة المفيدة قصد الاستفادة منها وإعادة تحويلها إلى معرفة تستهلك ويعاد انتاج معارف أخرى جديدة منها، فهذا هو جوهر مجتمع المعلومات ومجتمع المعرفة أين أصبحت المعلومة أو المعرفة هي أهم وأغلى سلعة يتم التعامل بها "فالقيمة الحقيقية لعصر المعلومات تتمثل في كيفية نقل المعلومة والاستفادة منها حيث تزيد قيمتها بنقلها من شخص لآخر بسرعة الإلكترون، حيث لا توجد قيود على العلم والمعرفة في إطار نظام العولمة الذي كان ابنا شرعيا للتقدم التكنولوجي وثورة المعلومات والاتصالات، وفي إطار هذا النظام أصبح احتكار العلم لا قيمة له، حيث ظهر احتكار من نوع جديد هو احتكار الإبتكار والتجديد، ويسبق الجميع من يملك براءة هذا الاحتكار "[2]

[1]محمد علي الحاج بكر ،مجتمع المعرفة ودوره في التنمية ص ز.

[2]لمرجع نفسه ،ص ك

ولا يمكن القول عن مجتمع المعرفة الناشئ في كل الدول العربية وليس في المملكة العربية السعودية فقط، بأنه مجتمع ناشئ من فراغ، بل على العكس من ذلك إنه يضرب بجذوره في أصالة مجتمع الحضارة العربية الإسلامية، ونفس المثل ينطبق على باقي المجتمعات الإنسانية الأولى، حيث تعتبر جلها مجتمعات معرفة، فكل الشعوب والحضارات وصلت عن طريق العلم إلى مستوى معين من الحضارة، وربما أحسن مثال يمكن قوله على ما وصلت إليه الحضارة المصرية، أو حضارة بلاد الرافدين.

"ولما كان للإسلام الدور الأكبر في بناء ودفع مجتمع المعرفة خلال ازدهار الحضارة العربية، فقد سيطرت المفاهيم الإسلامية على أسس مجتمع المعرفة العربي على مدى التاريخ، كما أن مفاهيم التراث الذي توارثته الأجيال عن الحضارة العربية ما زالت لها آثار من تراكمات ثقافية وحضارية في المجتمع العربي المعاصر، بل إن هناك خصائص مشتركة كثيرة تجمع بين مجتمع المعرفة والاقتصاد القائم على المعرفة الذي أينع إبان الحضارة العربية، وبين مجتمع المعرفة، والاقتصاد المعرفي في العصر الحديث "[1]

فحاجة المجتمعات العربية اليوم ليست إلى الثروة المادية أو الأرضية بقدر ماهي بحاجة إلى القوى الروحية والنفسية، فهذه العوامل النفسية هي التي تدفع الافراد والمواطنين إلى بذل الجهد الكافي من أجل تعزيز مكانة الدولة أو الوطن، مجتمعاتنا العربية اليوم طالها الفساد وخربتها الحروب، وزعزعت نفسية أبنائها جل الإنتهاكات المرتكبة في حقوق الشيوخ والنساء والأطفال والرجال، لم تسلم فئة واحدة من فئات المجتمع من أثر الحروب النفسية والجسدية، وحتى الأوطان التي لم تمسها الحروب أو الثورات صار ابناؤها طعاما لأسماك البحر .

إن الإنسان هو رأس مال الدولة وتاجها، إذا حافظت عليه فقد ضمنت أمنها واستقرارها، أما

[1] المرجع نفسه ص ك

إذا همشته وضيعت حقوقه فقد حكمت على نفسها بالزوال، فأي فرد سيسعى لخدمة دولة لا تضمن حقوقه، ,أي شاب سيسخر قواه العقلية والجسدية في خدمة دولة لا تضمن له عيشة كريمة ولا تعليما لائقا، ننادي بالسير في طريق العولمة والتنوير وجل طرقنا مظلمة، اقتصادنا متدني، وخبزنا نستورد قمحه بالرغم من خصوبة أراضينا، وملابسنا تخيطها أنامل غربية غريبة بالرغم من كثرة أنامل أبنائنا وبناتنا ورقي ثقافتنا وقيمنا. إننا نسعى للتحرر ولكننا نسينا أننا أعطينا مفتاح الزنزانة لأجنبي غادر السجن وتركنا في ظلمته.

ربما أعود هنا إلى ما قاله كارل بوبر في كتابه بحثا عن عالم أفضل " التنوير هو تحرير الإنسان من حالة وصاية يفرضها على نفسه وهذه الحالة ترجع إلى عجز عن استخدام ذكائه دون توجيه خارجي،إنني أقول إن حالة الوصاية هذه مفروضة ذاتيا إذا كانت ناجمة ،ليس عن افتقار إلى الذكاء ،وإنما عن نقص في شجاعة الفرد أو في تصميمه على استخدام ذكائه دون مساعدة من قائد. اسمعني : تشجع واستخدم ذكاءك أنت،إن هذا في التنوير هو صيحة الحرب " [1]

ذلك أن كانط قد اعتبر هذه الفكرة " فكرة تحرير الذات أو تحرير النفس من خلال المعرفة هي مهمته ودليله عبر حياته، وعلى الرغم من أنه كان مقتنعا بأن هذه الفكرة قد تخدم كإلهام لكل من يمتلك الذكاء اللازم ،فإنه لم يقع في خطأ اقتراح أن تعتبر أن تحرير النفس من خلال المعرفة أو غير هذه من الأنشطة العقلية هو المعنى أو الهدف الكامل لحياة الإنسان [2]"

تسعى الدول العربية إلى تملك التكنولوجيا قصد توظيفها في الحياة العملية سياسية كانت أو اقتصادية متناسين أنهم بذلك يزيدون من توسيع فجوة المعرفة بين من يملك التقنية ومن لا

[1] بوبر كارل، بحثا عن عالم أفضل ،تر أحمد مستجير ،الهيئة المصرية العامة للكتاب ،دون طبعة، دون سنة الطبع ،ص 169

[2] المصدر نفسه، ص 170.

يمتلكها، ضف إلى ذلك الآثار الوخيمة التي تتركها استعمالات هذه المشاريع التقنية على البنى والقيم الثقافية، إن هذه الأساليب لا تزيد سوى من تبعية العرب للآخر الغربي المتقدم، كما أنها تسلخ قيم وثقافات شعوبها .

"فالتصدي للعولمة ليس مستحيلا، والذكي هو من يفهم فلسفة العولمة وآلياتها، ويسخر ويوظف ما أتاحته من فرص تقنية لاستغلالها أفضل استغلال لتحقيق تنميته الذاتية، ويستخدم نفس شبكاتها ووسائل اتصالاتها ليضح فيها إليهم أحسن ما نملك وننتج، ولسنا فقراء في هذا المجال، ولكن الأهم هو التحدي والإصرار "[1]

أما عن الخبرات اللازمة لبناء اقتصاد قائم على المعرفة فتشمل "المقدرة على الإبداع والإبتكار وحل المعضلات الطارئة، والمقدرة على التعامل مع الآخرين، والكتابة والفصاحة ووضوح الكلام، والحرفية في اللغات الأجنبية، والدراية بالثقافات الأخرى، والمقدرة على العمل مع مجموعات مختلفة من الأفراد سواء في دور إداري أو تنفيذي "[2]

إلا أن علاقة المعرفة بالتنمية لم تأخذ صورة بارزة في نماذج التنمية على عهد قريب،" ومن الممكن التعرف على الإقتصاد القائم على المعرفة بمقارنته بألوان الإقتصاد الأخرى مثل الإقتصاد الصناعي القائم على رأس المال واليد العاملة والإقتصاد الزراعي القائم على الأرض والمزارعين، وفي ظل أي نوع من أنواع الاقتصاد فإن بذل قصارى الجهد والاقتصاد في التكاليف والتقشف (ربط الحزام) لا يؤديان إلى تنمية دون أن يتم تحويل المعرفة إلى تقنية، فالتقنية هي التي توفر الطرق والإجراءات والمعدات الخاصة بالتصنيع وبإنتاج وتسويق أي سلعة ذات قيمة" [3]

[1] –محمد علي الحاج بكري ،مجتمع المعرفة ودوره في التنمية (ص ص/5،6)

[2] المرجع نفسه ، ص 6

[3] المرجع نفسه ص 8.

وتجدر الإشارة إلى الدور الكبير والهام الذي تلعبة الجامعة في التمكين للوصول إلى إقامة مجتمع المعرفة "ولما كان إنتاج معرفة جديدة وتطوير المعرفة القائمة وإعداد مبتكرين لمعرفة جديدة أمر بالغ الأهمية في تعضيد مجتمع المعرفة ودعم الاقتصاد القائم على المعرفة فإن التعليم العالي يلعب دورا أساسيا في التنمية وفي انتعاش الاقتصاد القائم على المعرفة حتى ولو لم يكن بالاستطاعة أن تصبح كل الجامعات محضنا للأبحاث وابتكار المعرفة، كما أن المعرفة لا تقتصر على الجانب الذي يعزز التنمية فحسب بل تشمل جوانب عديدة دون أن تلعب دورا مباشرا في التنمية، والواقع أن الاستثمار في رأس المال البشري والعلمي الذي لا غنى للاقتصاد القائم على المعرفة عنهما، لما يلعبه العلم و الباحثون والمبتكرون من دور فعال في التنمية "[1]

مهام توليد المعرفة :الإبداع والإبتكار :

تجدر الإشارة إلى أهمية الجهود المبذولة سواء عربيا أو غربيا للإشادة بدور الابتكار والإبداع في تنامي قدرات المجتمعات على البقاء ،وعلى تقلد مقاليد الرّيادة في شتى المجالات خاصة منها الاقتصادية، فكل اختراع أو ابتكار يحمل في طياته معارف ومعلومات جديدة تعود حيازتها بالخير الكثير على أصحابها أفرادا، وعلى الدولة ككيان معنوي.

"ويستند مجتمع المعرفة إلى دورة المعرفة التي تشمل: توليدها من خلال الاكتشاف والإبداع والابتكار، ونشرها من خلال التعليم والتدريب، ثم توظيفها عمليا في الصناعة والزراعة والخدمات في شتى المجالات، والاستفادة من ذلك في توليد الثروة وإيجاد الوظائف، والإسهام في تطوير حياة الإنسان، وجعلها أكثر ثراء. ويقترن دور مجتمع المعرفة وقدرته على العطاء والتطوير بمدى تفعيل دورة المعرفة وفاعلية أدائها. وتشكل ثقافة المعرفة وتوجهات الإنسان،

[1] المرجعالسابق ، ص 7.

إلى جانب دور المؤسسات وقضايا السوق، واستخدام تقنيات المعلومات والاستفادة من تطبيقاتها المختلفة، البنية الأساسية اللازمة لتفعيل دورة المعرفة وتطوير معطياتها "[1]

وفي مجال اعتماد مؤسسات الابتكار والإبداع فقد سعت المملكة العربية السعودية إلى تبني التجربة الكندية في دعمها للإبتكار وتوظيفه والإستفادة منه حيث " تمثل الإستراتيجية الكندية أن هناك ثلاثة تحديات مهمة للإبتكار تشمل : مسألة تشجيع توليد المعرفة وتوظيفها والإستفادة منها، ومسألة الإهتمام بالإنسان أو الأشخاص القادرين على ذلك، ثم مسألة بناء البيئة اللازمة لنمو الابتكار وازدهاره، وتبين هذه المفاهيم أن الأطراف التي يجب أن تواجه هذه التحديات هي :المؤسسات الحكومية المسؤولة عن التخطيط والإدارة الوطنية، والمؤسساتالتعليمية والبحثية المسؤولة عن تأهيل الإنسان وتوليد المعرفة، ومؤسسات القطاع الخاص القادرة على توظيف المعرفة والاستفادة منها"[2]

وتجدر الإشارة إلى أن الإستراتيجية الكندية للابتكار ترتكز على أربعة محاور "محور يركز على توليد المعرفة وتوظيفها ،ومحور يهتم بتوفير المهارات الإنسانية، ثم محور يرتبط بتطوير البيئة الوطنية للإبتكار ،وأخيرا محور يتعلق بتعزيز دور المجتمعات المحلية في موضوع الابتكار "[3]

ففي إطار محور المعرفة تتوجه الإستراتيجية نحو دعم البحث العلمي من خلال دعم بحوث الجامعات، وتقديم منح بحثية، والعمل على توظيف نتائج البحوث والاستفادة منها، كما تهتم أيضا بدور المؤسسات الحكومية في اختيار المجالات البحثية المفيدة، وفي توفير

[1]أ .د سعد علي الحاج بكري، التحول إلى مجتمع المعرفة، مكتبة الملك عبد العزيز العامة ،الرياض ،(د.ط) ،1426هـ، ص 13

[2]المرجع السابق ،ص19.

[3] المرجع نفسه ص 20.

شبكة وطنية للتعاون البحثي تضم مؤسسات حكومية، وشركات من القطاع الخاص ،إضافة إلى الجامعات والمؤسسات التعليمية والبحثية الأخرى .

وتركز إستراتيجية محور المعرفة أيضا على تعزيز دور القطاع الخاص في توظيف المعرفة تجاريا، وذلك من خلال وضع برنامج لهذه الغاية ،وإعطاء حوافز للشركات الصغيرة والمتوسطة، وتقديم عوائد للمبتكرين ،إضافة إلى توفير رأس المال لتمويل ذلك والإستثمار فيه.

وفي مجال محور المهارات الإنسانية تركز الاستراتيجية على قضيتين رئيسيتين تهتم أولهما بتنمية المصادر البشرية المحلية من خلال دعم برامج الدراسات العليا في الجامعات، وتقديم منح دراسية، وتشجيع برامج الأبحاث التعاونية التي تسهم في تقديم كوادر بشرية تتميز بمهارات تطبيقية خاصة .

أما القضية الثانية فتركز على تطوير تشريعات "نظام الهجرة"، بما يؤدي استيعاب المهاجرين المتميزين الذين يتمتعون بكفاءات خاصة، وتحسين الخدمات المقدمة إليهم لتشجيعهم على تسخير طاقاتهم، وترسيخ بقائهم في الوطن الجديد وولائهم له.

وفي محور البيئة المهنية اللازمة للإبتكار، تطرح الإستراتيجية ثلاث مسائل مهمة تقضي أولاها بدعم " الهيئات العلمية " وتعزيز دورها في التخطيط للمعرفة وإدارتها بما يسهم في توفيرر المناخ الملائم للإبتكار .

أما المسألة الثانية فتهتم بتطوير "النظام الضريبي "بما يؤدي إلى تقديم تسهيلات ضريبية للإبتكارات الجديدة. وتركز المسألة الثالثة والأخيرة على السعي نحو " التفوق" عن طريق دعم النشاط العلمي، والإهتمام بالمبتكرات، وتشجيع الاستثمار وتوظيف المعارف الجديدة .

وتخصص الإستراتيجية محورها الأخير لموضوع " المجتمعات المحلية " في المناطق البعيدة والنائية التي تحتوي على تجمعات سكانية، والعمل على جعلها جزءا من الطاقة المعرفية الفعالة للدولة .

وفي هذا الإطار تركز الإستراتيجية على بناء مجموعات صناعية في مناطق المجتمعات المحلية المختلفة، ودعم الابتكار فيها، وتزويدها بشبكات معلومات عالية السرعة تمكنها من التواصل والتعاون، بكفاءة وفاعلية، مع المناطق الرئيسة والمجتمعات المحلية الأخرى .

ومن المحاور الأربعة سابقة الذكر لإستراتيجية الابتكار ننطلق، استكمالا لصورة دعم الابتكار وتوظيفه في كندا ،إلى المؤسسات المسؤولة عن الإبتكار، وما تقوم به عمليا من نشاطات تسعى إلى دعمه وتوظيفه في التنمية الوطنية ....وتشمل : المجلس الوطني للبحوث، والمركز الوطني للابتكار، والمكتب الوطني للملكية الفكرية، وسنبين نشاطات كل منها، في إطار موضوع الابتكار وتوظيفه. ولعلنا نبدأ بالمجلس الوطني للبحوث .

" المجلس الكندي للبحوث هو الهيئة الحكومية الرئيسة للبحث العلمي والتطوير، ويضم المجلس عددا من المعاهد البحثية في مختلف المجالات العلمية والتقنية، ولديه عدد من البرامج والمشاريع والنشاطات التي يعمل على تنفيذها بالتعاون مع الهيئات الحكومية، والجامعات، وشركات القطاع الخاص، والأفراد .وتسهم هذه البرامج في هذا المجال برنامج "مساعدة البحوث الصناعية " .ومن أهم الأنشطة نشاطات " خدمات نشر المعرفة " ،و "تسويق الإنجازات البحثية " لمعاهد المجلس وبرامجه وللمجلس بنية معلوماتية، تتمثل في "شبكة معلوماتية تقنية "، توفر له فاعلية الاتصال والتعاون مع الأطراف المرتبطة ببرامجه ومشاريعه وخدماته "[1]

[1] المرجع السابق ،ص 23

أمثلة عن مؤسسات دعم الإبتكار : المجلس الوطني للبحوث بكندا :

يقوم برنامج " مساعدة البحوث الصناعية " بالتعاون مع عدد كبير من المستشارين الصناعيين لتقديم المشورة للمؤسسات الصناعية، خصوصا " الصغيرة منها والمتوسطة"، من أجل دعم قدراتها ومساعدتها على النجاح والنمو.

ويعمل البرنامج على إقامة "مراكز للتعاون الصناعي " موزعة على مختلف مناطق الدولة. وتحتوي هذه المراكز على "حاضنات " للمؤسسات التقنية الحديثة ،وتقوم هذه الحاضنات برعاية هذه المؤسسات من خلال تأمين المكان اللازم والتمويل المطلوب لعملها، كليا أو جزئيا ،إضافة إلى توفير المشورة العلمية والتقنية، والمشورة الإدارية والقانونية لنشاطاتها .

ويستغرق ذلك فترة زمنية قد تطول إلى ثلاث سنوات أو أكثر، تصل بعدها هذه المؤسسات إلى مرحلة النضج لتنطلق إلى العمل بشكل مستقل، ولتدخل مكانها مؤسسات أخرى حديثة تحتاج إلى الحضانة والإعداد.

"ولا يقتصر عمل برنامج " مساعدة البحوث الصناعية " على حضانة المؤسسات الحديثة ورعايتها، بل يشمل أيضا الاهتمام بدعم قدرات الناشئة على الابتكار، فلدى البرنامج مبادرة خاصة تدعى " المبادرة تجاه صغار السن " مهمتها التركيز على قدرات الصغار وإنجازاتهم والعمل على تنميتها من خلال التشجيع والرعاية. فقد يستطيع الصغار تقديم ابتكارات مهمة يمكن الاستفادة منها، أو على الأقل إعطاء مؤشرات للمستقبل توجب الاهتمام بهم وتشجيعهم على العطاء ."[1]

[1] المرجع السابق ،ص25

في مجال نشر المعرفة يقوم المجلس الوطني للبحوث بنشر مجلات محكمة، كما يقوم بتوفير ما لديه من معلومات وتقارير لمن يطلبها سواء داخليا أو خارجيا، ويستخدم في ذلك بيئة الأنترنت والتواصل إلكترونيا.

وفي إطار " تسويق الإنجازات " البحثية لمعاهد المجلس وبرامجه ومشاريعه، يحدد المجلس مدى أهمية هذه الإنجازات في السوق، قبل السعي غلى تسويقها، ومن وسائل التسويق التي يستخدمها، إنشاء شركات جديدة تقوم باستغلال الإنجازات البحثية والإستفادة منها.

أمثلة لمؤسسات دعم الابتكار : المركز الوطني الكندي للإبتكار والمكتب الوطني للملكية الفكرية في كندا :

إذا كان المجلس الوطني للبحوث هيئة حكومية، فإن المركز الوطني للإبتكار هو هيئة مستقلة غير ربحية تعمل على تقييم الابتكارات وإرشاد أصحابها إلى السوق.

وقد قام المركز خلال السنوات السابقة بتقييم آلاف الابتكارات، وساعد في توجيه الكثير منها إلى السوق. وهكذا فإن نشاطات هذا المركز المستقل تسهم في تعزيز تطلعات مجلس البحوث الحكومي، وتكمل دوره الوطني .

أما " المكتب الوطني للملكية الفكرية " وهو هيئة حكومية، فيعمل على إدارة شؤون الملكية الفكرية بما يشمل براءات الاختراع، والماركات المسجلة، والتصميمات الصناعية التي تتضمن تصميمات الدوائر الإلكترونية المتكاملة. ويحمي المكتب بذلك حقوق المبتكرين، ويمكنهم من توظيف مبتكراتهم والاستفادة منها .

بنية الابتكار وبيئته المهنية :

لا شك أن البحث عن المعرفة، بل ابتكار " الجديد والمفيد " منها، هو المحرك لدورة المعرفة التي تدير معها اقتصاد الأمم وأداء المجتمعات ورفاهيتها. وإذا كنا نريد المزيد من "

الجديد "، ونستطيع توظيف هذا الجديد ليصبح مفيدا، فإن الفوائد ستزداد وعجلة التنمية ستدور، ونجد أنفسنا في حركة مستمرة تتجه نحو مساهمة أفضل في بناء حضارة الإنسان ومكانة أكبر بين الأمم. لكن الأمر ليس سهلا، وليس حلما ورديا، بل هو جهد وعمل، خصوصا في المرحلة الأولى، مرحلة قبول تحدي " مجتمع المعرفة "، ومجتمع العصر الذي نعيش فيه، والإنطلاق نحو تفعيل البحث عن الجديد والمفيد والاستفادة من هذا التفعيل في "إيجاد الوظائف "، وإعطاء دور لكل إنسان، وفي " توليد الثروة "، وتحقيق التنمية .

ولا شك أن أهم عنصرين في منظومة الإبتكار هما الإنسان والبيئة المهنية المحيطة به.

"فالإنسان هو مصدر الإبتكار وتقديم الجديد، وهو أيضا مقصد الاستفادة من توظيف الجديد، والبيئة المهنية هي التي تحفز الإنسان على الإبتكار والعطاء أو تحبطه، وهي أيضا التي تتيح فرصة توظيف الابتكار أو تعيقه. وفي التفاعل بين عقل الإنسان المبتكر وظروف البيئة المحيطة تبرز شؤون "المعرفة " العامة والتخصصية، ويحضر دور المؤسسات، بما في ذلك تلك التي تعمل على توليد المعرفة، والتي تسعى إلى نشرها، والتي تقوم بتوظيفها وتأتي في إطار هذا التفاعل أيضا قضايا السوق المحلي والخارجي وتحقيق الفوائد من توظيف الابتكارات ."[1]

ويعتمد التفاعل المعرفي الابتكاري، في دولة من الدول، بين الإنسان والبيئة المهنية ،عبر المؤسسات والسوق، على مستوى ما يمكن أن نطلق عليه " ثقافة الإبتكار " من ناحية، وعلى قدرات " البنية المعلوماتية " وفعالية استخدامها والاستفادة منها من ناحية ثانية .

ذلك أن :" ثقافة الإبتكار هي بنيان مرصوص لمجموعة من العوامل التي ينبغي الإهتمام بها تبدأ ثقافة الإبتكار في المنزل، ثم تنتقل إلى مدارس التعليم العام والتعليم المهني، وتروى من خلال " وسائل الإعلام "، وتبرز في " الجامعات ومؤسسات البحث العلمي " وتظهر في

[1] أ د سعد علي الحاج بكري، التحول إلى مجتمع المعرفة، ص 28.

الشركات الصناعية وهيئات الخدمات، وتعطي فوائدها في السوق، لكنها لا تثمر ولا تزدهر إلا في مناخ من التخطيط والتعاون والعمل المشترك بين جميع هذه الأطراف، وربما يستطيع الباحثون وضع مقاييس لتقييم مستوى ثقافة الابتكار، في البلدان المختلفة على أساس هذه العوامل، فمن خلال مثل هذا التقييم، يمكن تحديد نقاط القوة وتوضيح مناطق الضعف، مما يساعد على التخطيط والتطوير المستقبلي "[1]

ومن أهم وأبرز صروح المعرفة في المملكة العربية السعودية "هيئة علمية تقنية حكومية تقود التطور العلمي" والتقني في المملكة هي " مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية "، وفي هذه المدينة عدد من المعاهد البحثية، وإدارة للتوعية العلمية، وأخرى لدعم الأبحاث الوطنية، وثالثة للملكية الفكرية، ورابعة للتخطيط والمتابعة، إضافة إلى عدد من الإدارات الأخرى.وفي المملكة أيضا هيئة غير حكومية، تتمتع برعاية حكومية، تهتم بالموهوبين هي مؤسسة الملك عبد العزيز ورجاله لرعاية الموهوبين، ولدى وزارة التربية والتعليم السعودية إدارة خاصة للإبداع والابتكار. كما أن هناك مؤسسات خاصة تمنح جوائز للمتميزين، مثل " مؤسسة المراعي "وشركات خاصة تهتم بالبحث والابتكار، مثل شركة " سابك " التي تدعم البحوث الصناعية، ولديها مراكز لذلك داخليا وخارجيا "[2]

فالمملكة العربية السعودية قد اهتمت بالبنى المؤسسية الحاضنة لابتكار وصنع المعرفة ونشرها ، وهي بذلك تحاول ولوج مجتمع المعرفة من أوسع أبوابه ، خاصة حينما يتم تثمين نتائج هذه المعارف من محاضنها النظرية إلى الواقع التطبيقي المتمثل في المؤسسات ذات الطابع الإقتصادي والإجتماعي.

[1] المرجع نفسه ص 29.

[2] المرجع نفسه ص31

ثانيا: واقع مجتمع المعرفة في دول المغرب العربي :

مجتمع المعرفة في الجزائر،تونس،المغرب الواقع وسبل الإندماج :

تعتبر الجزائر،المغرب ، تونس كغيرها من دول العالم قد فعّلت عدة انجازات في سبيل الإندماج ضمن منظومة مجتمع المعرفة ، لاسيما وأننا أمام وتيرة متسارعة للعلم وللمعرفة من جهة ، ووتيرة متسارعة للتغيرات العالمية في المجالات السياسية والإقتصادية ، حيث تحتل هذه الدول مكانة مرموقة ضمن دول المغرب العربي ، وشمال إفريقيا ، تمكنها من خوض غمار المنافسة الحميدة والسعي الحثيث للإلتحاق بمصاف مجتمعات المعرفة.

فكل المجتمعات قادرة على أن تكون مجتمعات معرفة " لولا التفاوت الهائل بينها من حيث ذكاء الموارد البشرية وقدرتها على التجديد والإبداع في مختلف معانيه،ولعل هذا ما يفسر مركزية إقتصاد المعرفة في كل التخطيطات السياسية والتنموية التي يتم إنجازها في المجتمعات الأوروبية،إن مجتمع المعرفة يعني قدرة نوعية على التنظيم وإيجاد آليات راقية وعقلانية في مجال التسيير وترتيب الحياة وهو مجتمع العقل الفعّال والمنتج والمعلومة الدقيقة والمحيّنة"[1]

فلا يمكن استقراء آليات اندماج هذه الدول في منظومة مجتمع المعرفة دون استقراء واقعها والذي نحاول فهمه من خلال ثلاث مشاهد :

1-مشهد الأداء المعرفي في دول المغرب الجزائر وتونس:

في الوقت الذي يبحث فيه العالم عن استراتيجية نمو فعّالة ، وعن أماكن جديدة للعلم والمعرفة،فإن دول المغرب العربي كغيرها من بعض دول العالم لا تزال تعاني من تذبذب وعدم اكتمال أو نضج السياسات المتبعة لمرافقة البحث العلمي كما أن " نقص الموارد البشرية والمادية يعوق التقدم نحو أهداف سياسة العلم والتكنولوجيا والإبتكار،هناك معوقات

لمياء جنات، الثقافة الرقمية في مجتمع المعرفة و المعلومات تونس نموذجا،16_18 نوفمبر 2015،دار الاتحاف للنشر [1]والتوزيع،المطبعة المغاربية للنشر والاشهار، دون طبعة ، ص 48.

أخرى لتطور نظم الابتكار الوطنية وتتضمن:قطاع تصنيع غير متطور ،قليل من حوافز الإستثمار للقطاع الخاص في مجال البحث والتطوير ، نقص حاد في المهارات العلمية والتكنولوجية على جميع المستويات ، الهجرة المستمرة للعقول المفكرة،فقر تعليم العلوم في المدارس بسبب الحاجة إلى مدرسين مؤهلين ومناهج مناسبة ،عدم وجود حماية قانونية لحقوق الملكية الفكرية، وعدم التعاون في العلم والتكنولوجيا "[1]

وقد كانت الكثير من الأحكام مجحفة أو لنقل يائسة من واقع الوضع المعرفي العربي وخاصة في المغرب العربي "لم تسجل ولا دولة عربية واحدة تقدما تنمويا حقيقيا لبناء الحصانة المعرفية، بل ولم نعثر على اسم بلد عربي واحد، قاد مسيرة تنموية معرفية شاملة ، ليضرب به المثل على الصعيد الدولي "[2]

ولو تماشينا مع هذه الرؤى المحبطة لواقع دول المغرب العربي لما أمكننا ذلك من رؤية بشائر المعرفة التي تحل في الأفق، خاصة لما تتميز به هذه المناطق من العالم من ثروة بشرية ، تعتبر هي المخزون النفيس الذي يمكن أن يعكس الأوضاع بدرجة كبيرة ،إلا أن هذه الدول وحتى وإن حازت على كفاءات تتميز بقدرتها على الإبتكار والتجديد فإن الإرادة السياسية تلعب دورا مهما في رعاية البحوث والاختراعات التي تنجزها هذه الكوادر العلمية ."فإذا كان الباحث الأورو-أمريكي هو القوة المرجعية الحالية الفكرية و الفاعلة لفضائه وأمته، فإن الباحث العربي ،هو القوة الرأسمال الضائع والمهدور حقوقه ، وهذه تعد أفدح الخسائر التي أصابت، ومازالت تؤثر سلبا على المجتمع الأكاديمي البحثي العربي "[3]

وفي نفس السياق وعن حالة الهدر في الطاقات البشرية أو ما يمكن أن نصطلح عليه برأس المال المعرفي ،حيث تضطر الكثير من الكفاءات العربية إلى الهجرة ، نتيجة غياب عوامل

---

[1]-موجز مخلص تقرير العلوم حتى العام 2030، ص 31

[2] - د عبد الجليل التميمي تساؤلات حول مجتمع المعرفة والمؤرخين والنخب في البلاد العربية، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات تونس، أكتوبر 2004.ص18.

[3]-المرجع والمكان نفسه.

التأطير اللاّزمة الداعمة لها في بيئتها الأم "إن الأنظمة العربية أجرمت، نعم أجرمت في حق شعوبها،بإهمالها استيعاب هذه الكفاءات وتوفير الأرضية السليمة لإنطلاقة مجتمع المعرفة لدينا، وهو ما يشكل أكبر وأخطر نكسة حلّت بالأمة منذ استقلالها السياسي ، وكانت وراء تعثر وعرقلة انبعاث مجتمع المعرفة والبحث العلمي "[1]

وقد نوّه تقرير العلوم حتى العام 2030 أن معهد الإحصاء التابع لليونسكو أجرى دراسة كشفت أن الطلاب من الدول العربية ووسط آسيا وجنوب الصحراء الكبرى الأفريقية وغرب أوروبا يعتبرون أكثر الطلاب الذين يدرسون في الخارج بالمقارنة بأقرانهم من المناطق الأخرى " حيث خسر السودان ما يتعدى 3000من صغار وكبار العلماء في الهجرة،مابين عامي 2002و2014، وفقا لما ذكره المركز القومي للبحوث،حيث انسحب الباحثون إلى البلدان المجاورة مثل أرتيريا وإثيوبيا حيث قدمت لهم أجور أعلى قد تتعدى ضعف الذي تقدمه الجامعات بالسودان لأعضاء هيئة التدريس، وفي المقابل أصبحت السودان نفسها ملجأ للطلبة من العالم العربي، لاسيما منذ اضطرابات الربيع العربي ، كما تجذب أيضا طلابا من أفريقيا"[2]

وفي المقابل تحاول دول المغرب العربي تبني إستراتيجية واضحة ، وحلولا علمية في سبيل دعم مسيرة البحث العلمي وتطور نتائج استيعاب و نشر المعرفة،على سبيل المثال(الجزائر)وفي الحصيلة التي قدمتها وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ، عن نشاطات القطاع خلال الفترة من جويلية 2021إلى غاية جوان 2022 و الذي جاء في 75 صفحة(النسخة الإلكترونية) حيث ورد فيه "قد بلغ عدد الطلبة المسجلين في التدرج1496984طالبا ،في حين بلغ عدد الطلبة المسجلين في ما بعد التدرج 76259، أما عن عدد الأساتذة فبلغ تعدادهم 61277أستاذا أي بمعدل 25 طالبا لكل أستاذ، حيث بلغ عدد التكوينات المفتوحة

[1]–المرجع السابق ص 19.

[2]– تقرير العلوم حتى العام 2030ص 16

في الليسانس 372 تخصصا، وبلغ عدد الطلبة المتخرجين من التدرج 353427طالبا ، في حين أن عدد تكوينات الماستر المفتوحة هو 889 تخصصا مقابل عدد 776 تكوينا في الدكتوراه "[1]

هذا عن الكوادر البشرية ، أما عن الطاقات المادية المرصودة للبحث العلمي " يبلغ عدد مؤسسسات التعليم العالي 109 مؤسسة منها 54 جامعة ، 9 مراكز جامعية ، 11 مدرسة عليا لتكوين الأساتذة ، وجامعة واحدة للتكوين المتواصل، و55 مؤسسة جامعية تابعة لقطاعات أخرى ، بالإضافة إلى 14 مؤسسة خاصة "[2]

إلا أن قدرتنا وكفاءتنا كمؤسسات بحثية تعمل للولوج إلى مجتمع المعرفة لا تتوقف على الكم بقدر ما تعتمد على الكيف ، والذي نقصد به مخرجات التعليم العالي من حيازة الكفاءات النابغة في مجالات تخصصها ، بالإضافة إلى ما تقدمه على أرض الواقع من إنجاز يخدم المعرفة العالمية .

وبالرغم من الإزدياد الملحوظ لعدد الباحثين في المغرب العربي ، وحسب البيانات المتوافرة للفترة بين 1990و2003 إلا أنه يبقى هزيلا مقارنة بعدد الباحثين في دول أخرى مثلا "فنجد في فرنسا أنه لكل مليون من السكان، يوجد 3213باحثا، إيطاليا 1213باحثا،وربما تقترب حالة تونس قليلا من حالة إيطاليا ،تونس 1013باحثا، وربما نستطيع مقارنة إجمالي عدد الباحثين في جميع البلدان المغاربية ، بحالة إسبانيا وحدها تقريبا في عدد الباحثين لنفس الفترة"[3]

وقد وضعت وزارة التعليم العالي والبحث العلمي الجزائرية خطة إستراتيجية للأعوام القادمة بهدف بناء وإدارة نظام تعليمي ابتكاري لمجتمع معرفي ذي تنافسية عالمية يشمل كافة التخصصات ، ويلبي احتياجات سوق العمل المستقبلية ،" وذلك من خلال ضمان جودة

[1]، تقريرعن نشاطات وزارة التعليم العالي والبحث العلمي تاريخ التحميل 10 جوان 2022، العاشرة تماما.ص3

[2]– المرجع والمكان نفسه.

[3]–علي محمد رحومة، مجتمع المعرفة وبلدان المغرب العربي، ص .206

مخرجات التكوين، وتقديم خدمات متميزة للمتعاملين الداخليين والخارجيين ، بحيث اعتمد القطاع منهجية وأساليب جديدة للوصول إلى نظام تعليمي رفيع المستوى ، ومخرجات تعليم تكون الأولى ببلوغها وإبداعاتها،وفي مقدمة ذلك عمل القطاع على مراجعة وتحيين وإعداد النصوص التشريعية والتنظيمية الحاكمة لمرفق التعليم العالي ، وهذا بهدف مواكبة التطورات والتغييرات التي تشهدها البيئة التعليمية في العالم ، وجعل الجامعة أشد جذبا للطلبة وأكثر رحابة لإبداعاتهم "[1]

إلا أن جملة الإصلاحات التي تعرفها دول المغرب العربي في مجال النظم والقوانين المسيرة لنشاط الجامعات لا يمكن أن تؤتي أكلها مقارنة بما تخصصه الدولة من إيرادات مالية لحجم الإنفاق على قطاع التعليم من إجمالي النفقات العامة، لذلك" وجب رفع نسبة الإنفاق على البحث العلمي المغاربي مقارنة بالدول الأوروبية المتقدمة،ليصبح ليس أقل من 3 بالمئة من إجمالي الناتج المحلي المغاربي ،كحد أدنى ،بل الأمر يفترض الوصول بهذه النسبة إلى مستويات أرقى5بالمئةأو6 بالمئة،أسوة ببلدان متقدمة مثل الولايات المتحدة الأمريكية،والإتحاد الأوروبي ودولة الكيان الإسرائيلي، في بعض مؤشرات إنفاقها الأخيرة"[2]

ومن أمثلة نتائج الإنفاق على البحث والتطوير " لا يزال الإتحاد الأوروبي يقود العالم نحو النشر بنسبة 34بالمئة ، تليها الولايات المتحدة الأمريكية بنسبة 25 بالمئة ، وبالرغم من هذه الأرقام المثيرة للإعجاب إلا أن المساهمة في النشر على مستوى العالم لكل من الإتحاد الأوروبي والولايات المتحدة تراجعت في السنوات الخمس الماضية،بينما نجد أن الصين واصلت صعودها الهائل حيث تضاعف النشر الصيني خلال الخمس سنوات الماضية إلى 20 بالمئة تقريبا من الإجمالي العالمي ،وخلال العشر سنوات الماضية استحوذت الصين

[1]– المرجع السابق ،ص 33

[2]–علي محمد رحومة ،مجتمع المعرفة وبلدان المغرب العربي، ص 206

على 5 بالمئة من النشر العالمي ، ويعكس هذا النمو السريع بلوغ النضج لقوة البحث الصيني، من حيث استثمار عدد الباحثين أو الأبحاث المنشورة "[1]

فمعظم الدول العربية تكرس أكثر من 1بالمئة من إجمالي الناتج المحلي للتعليم العالي مع ارتفاع معدلات الالتحاق بالتعليم العالي الإجمالية لكلا الجنسين في العديد منها،وبشكل عام وعلى الرغم من ذلك ، فشلت هذه الدول في خلق فرص اقتصادية على نطاق كاف لاستيعاب العدد المتزايد من الشباب.

ومع استثناء الدول المصدرة للنفط وفيرة رأس المال لم تشهد الإقتصاديات العربية التوسع السريع المستدام،فإن معدلات المشاركة الإقتصادية المنخفضة خاصة من النساء،ومعدلات البطالة المرتفعة خاصة بين الشباب ،تفاقمت في أكثر الدول منذ 2008، وتسببت الإضطرابات السياسية خلال السنوات الأخيرة والإرتفاع المصاحب لذلك من الجماعات الإرهابية الإنتهازية إلى قيام العديد من الحكومات بتحويل الموارد الإضافية على الإنفاق العسكري.

يعد الإنتقال الديمقراطي في تونس واحدا من قصص نجاح الربيع العربي ، فقد جلب الحرية الأكاديمية التي من شأنها أن تكون أكبر نعمة للبحث التونسي كما ينبغي أن تجعل من الأسهل للجامعات تطوير العلاقات مع الصناعة ، ويوجد بتونس بالفعل عدة مناطق تكنولوجية."لاتزال كثافة البحث والتطوير منخفضة في الدول العربية خاصة في الاقتصاديات النفطية حيث أن إجمالي الناتج المحلي في المغرب وتونس حوالي 0.7بالمئة وهي قريبة من المتوسط بالنسبة للإقتصادات متوسطة الدخل العليا،وعلاوة على ذلك ،ارتفع هذا المعدل منذ بداية الربيع العربي في أكبر بلد عربي من حيث عدد السكان : مصر من 0.43 بالمئة عام 2009 إلى 0.68بالمئة من إجمالي الناتج المحلي سنة 2013، وقد اختارت الحكومة أن تشارك مصر في المسير نحو التحول إلى إقتصاد المعرفة وذلك بغرض تنوع مصادر

[1]–تقرير اليونسكو للعلوم حتى العام 2030

الدخل"[1].فالحكومات التي تعتمد على الصادرات النفطية (دول الخليج والجزائر) وعلى الواردات النفطية ،المغرب وتونس، تقوم بتعزيز تطوير اقتصادات المعرفة ، وهناك مجموعة واسعة من المبادرات الحديثة لتسخير العلم والتكنولوجيا والابتكار في التنمية الإجتماعية والاقتصادية،وغالبا في مجال الطاقة ، ومن أمثلة ذلك "إحياء مشروع مدينة زويل للعلوم والتكنولوجيا وإنشاء مؤسسة الإمارات للعلوم والتقنية المتقدمة لتشغيل الأقمار الصناعية لرصد كوكب الأرض ، وافتتحت المملكة المغربية أكبر مزرعة للطاقة الشمسية بأفريقيا ، وفي عام 2015 أعلنت المملكة العربية السعودية برنامجها لتطوير الطاقة الشمسية.وشهدت كل من قطر والمملكة العربية السعودية نموا استثنائيا في حجم النشر العلمي على مدار العقد الماضي ، فهناك جامعتين بالمملكة العربية السعودية تعدان الآن ضمن أفضل 500 جامعة على مستوى العالم، وتخطط المملكة الآن للحد من الإعتماد على العمالة الأجنبية من خلال تطوير التعليم الفني والمهني بما في ذلك الفتيات"[2]

وهناك إتجاه جدير بالإنتباه وهو الارتفاع الحاد في أعداد الباحثين والذي وصل عددهم" 7.8مليون باحث على مستوى العالم،مع وجود 4.1 مليون طالب دوليا ،هذا يشكل ارتفاعا ب21بالمئة منذ عام 2007، وقد تضاعف عدد الباحثين على مستوى العالم منذ بداية الألفية ، وهو ما ضاعف أيضا (إلى حد الإنفجار)من البحوث العلمية المنشورة ، ومع محدودية عدد النشرات والمجلات العلمية ذات التأثير العالي ، فقد زادت حدة المنافسة بين العلماء والباحثين للنشر في هذه النشرات ،كما زادت حدة المنافسة بين العلماء للإنضمام إلى المؤسسات والجامعات ذات الشهرة العالمية، وفي نفس الوقت فإن هذه المؤسسات تتنافس فيما بينها لجذب أصحاب أفضل المواهب بين الباحثين "[3]

[1]–تقريراليونسكو للعلوم حتى العام 2030، ص 29

[2]–تقرير العلوم حتى العام 2030، ص 29

[3] –المرجع نفسه ،(ص ص/35، 36)

للحوكمة أثر جيد على العلوم :

"إن الحوكمة (أو الإرادة الرشيدة) تصاحب كل خطوة تقدم للأمام في كل مرحلة من مراحل النمو المدفوع بالإبتكار ،فغياب الفساد في النظام الجامعي يعد متطلبا أساسيا لضمان أن خريجي تلك المؤسسات هم فعلا مؤهلون للتخرج ، وعلى الطرف المضاد من دائرة الابتكار ،فإن وجود بيئة عمل عالية الفساد تكون حافز سلبي قوي تضاد ظهور منافسة مدفوعة بالإبتكار ، وعلى سبيل المثال ،فإن الشركات سيكون لديها حافز ضعيف للإستثمار في البحوث والتنمية إذا لم يطمئنوا على إمكانية الإعتماد على النظام القضائي للدفاع عن ملكيتهم الفكرية كما أنه في البيئات الفقيرة في معايير الحوكمة ترتفع إحتمالات وقوع حالات الإحتيال العلمي"[1]

وأما فيما يخص الدول العربية فإنها تحتاج بصورة كبيرة إلى "تحسين تطبيق مبادىء الإدارة الرشيدة والشفافية وتطبيق دولة القانون، ومكافحة الفساد للإستفادة بدرجة أعظم من الإستثمارات الحادثة في العلوم والتكنولوجيا وذلك تزامنا مع تحسين عوائد الإبتكار والريادة وتنمية مناخ صحي للأعمال ذات الربحية "[2]

2-المشهد الإقتصادي :على مؤشرات التنمية يلعب مؤشر الإقتصاد دورا هاما وحيويا في تقرير المسار التنموي لأي دولة كانت ، خاصة وأنه يتعلق بالجانب العلمي ، التقني والسياسي في التسيير، وفيما إذا كان هذا الإقتصاد تقليديا أم قائما على إقتصاد المعرفة

وبالنظر إلى مشهد الإقتصاد العالمي من مدخلات ومخرجات وموازنات ومديونية ... نجد أن :" الجزائر، تواجه دعم التعافي الاقتصادي بعدد من التحديات من بينها استمرار الحاجة إلى زيادة مستويات تلقيح السكان وفق برامج التلقيح الوطني بما يُمكن من تخفيف التدابير الاحترازية بشكل يدعم الإنفاق الخاص ويحفز النمو الاقتصادي، حيث تنخفض نسبة

[1]-المرجع نفسه ، ص 36

[2]-المرجع السابق ص 36.\

السكان الملقحين بالكامل إلى 7.13 في المائة من إجمالي السكان بنهاية شهر مارس 2022 .كما يتوقع أن تؤثر الارتفاعات الحالية في معدلات التضخم،."[1]

فعلى المستوى الدولي والإقليمي، سيتأثر المستوى العام للأسعار بارتفاع أسعار المواد الأساسية في الأسواق الدولية كنتيجة للظروف التي يمر بها العالم، وكذا ظروف ارتفاع معدلات التضخم لأبرز الشركاء التجاريين للجزائر" أما بالنسبة للعوامل المحلية المؤثرة على مستويات التضخم بالجزائر فتشمل التحديات المرتبطة بالحاجة إلى تنظيم الأسواق الداخلية، وكذا تذبذب الظروف المناخية الذي يؤثر على الإنتاج الفلاحي ومستويات المعروض من السلع الغذائية بالسوق المحلي .كمحصلة للتطورات السابقة ، يتوقع أن يرتفع معدل التضخم في الجزائر إلى نحو 7.7 في المائة خلال عام 2022 ،ويزداد ليصل إلى حوالي 8.8 في المائة خلال عام 2023 "[2]

ولا يكاد يختلف المشهد كثيرا عند الجارة تونس ، حيث "شهد شهر يناير 2022 ارتفاع معدل التضخم ليصل إلى نحو 7.6 بالمائة مقارنة بالشهر المناظر له من العام السابق . جاء ذلك الارتفاع للشهر الرابع على التوالي حيث بلغ نحو 6.6 بالمائة خلال شهر ديسمبر، و4.6 في المائة خلال شهر نوفمبر و 3.6 في المائة خلال شهر أكتوبر2021 .بما يعكس بصفة أساسية ارتفاع أسعار كل من مجموعة المواد الغذائية، والتبغ، وأسعار الأثاث والتجهيزات والخدمات المنزلية .بالنسبة لمعدل التضخم الأساسي، الذي يُستثنى منه أسعار مجموعة التغذية والطاقة والسلع المحدد أسعارها إداريا ، فقد بلغ نحو 5.6 في المائة خلال شهر يناير من عام 2022 ."[3].

أما فيما يتعلق بالتوقعات خلال عامي 2022 و2023 "من المتوقع أن تساهم الضغوط التضخمية الحالية والمنتظرة، على الصعيدين الداخلي والخارجي، في تسارع نسق تطور

[1] المرجع نفسه ص25

[2]–المرجع نفسه ص 37

[3]–تقرير الإقتصاد ص 40.

المكونات الرئيسة لمؤشر الرقم القياسي لأسعار المستهلكين في الفترة القادمة. على وجه الخصوص، يتوقع أن تظل معدلات التضخم للمواد الغذائية الطازجة عند مستويات مرتفعة، نتيجة لتراجع الإنتاج الفلاحي بسبب تواصل الجفاف على مدى السنوات الماضية، وتشديد القيود على مياه الري والزيادة في تكاليف الإنتاج(المدخلات والطاقة). وعلى مستوى أسعار المواد المحدد أسعارها إداريا التي تمثل نحو 5.26 بالمائة من سلة الإستهلاك، سوف تؤثر الإجراءات المتضمنة في قانون المالية لعام 2022 والتوجه العام لخفض الإنفاق بشكل عام ، ومزيد من التحكم في نفقات الدعم بشكل خاص على أسعار المواد الأساسية ومنتجات الطاقة وغيرها خلال السنوات القادمة"[1]

.هذا بالإضافة إلى أنه "من المتوقع وفق أحدث تقديرات للبنك المركزي التونسي أن يصل معدل التضخم إلى نحو 5.6 بالمائة في عام 2022 ،وإلى حوالي 3.6 في المائة في عام 2023"[2]

ولا يمكن بأي حال إغفال ما يعانيه العالم العربي ومنه المغرب العربي من آثار وخيمة للفقر على مسيرة النمو والسير نحو بلوغ مجتمع المعرفة حيث أنه ومن نسبة

" 4% إلى 7.6% في عامين فقطُ شهدت المنطقة العربية حالة الارتفاع الوحيدة في العالم في الفقر المدقع نتيجة للصراعات. فقد ارتفع عدد الفقراء، حسب خط الفقرّ المحدد بالعيش على 90.1 دولار في اليوم، من 4 في المائة في عام 2013.إلى 7.6 في المائة في عام 2015في البلدان العربية الأقل نمواَ ، حيث تصل نسبة السكان الذين يعيشون دون خط الفقر الدولي المحدد في البلدان العربية بالعيش على 90.1 دولار إلى 16 في المائة تقريباً . وتفوق نسبة الفقر المدقع للمتوسط العالمي والمتوسطات الأقل نموا في سائر المناطق النامية، باستثناء أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى ،تبلغ نسبة الفقراء، حسب خطوط الفقر

[1]–المرجع والمكان نفسه.

[2]–المرجع والمكان نفسه..

الوطنية، 5.5 في المائة في الجزائر، و4.14 في المائة في الأردن، وحوالي 27 في المائة في لبنان ومصر، وتفوق 40 في المائة في بعض البلدان الأقل نمواَ ، لتصل إلى 5.46 في المائة في السودان، و6.48 في المائة في اليمن قبل اندلاع الصراع، على مقياس الفقرّ المتعدد الأبعاد ، تصل نسبة الفقر إلى 41 في المائة في 10 بلدان عربية تضم حوالي 75 في المائة من سكان المنطقة".[1]

هذا بالنسبة إلى نسب الفقر في المنطقة العربية ، أما عن نسب الإنفاق الشخصي فيما يتعلق بالجانب الإستهلاكي حيث يصل "عدد النفقات من الأموال الخاصة على الصحة والتعليم في المنطقة العربية نسبة مرتفعة تبلغ 8 في المائة من الدخل المتاح للطبقة الفقيرة، و11 في المائة .من الدخل المتاح للطبقة الوسطى ."[2]

يضاف إلى كل هذه العوامل التأثير السلبي للصراع وما ينجم عنه من نزوح إلى الإطاحة بالتقدم المحرز على مسار النمو الإقتصادي وحتى المعرفي ،وإلى تفاقم أوجه الفقر والمخاطر. فتأثيرٍ الصراعات الدائرة في المنطقة طويل الأجل وقد يبقي الأسر المعنية في براثن الفقر من جيلّ إلى آخر. "فمعدل الفقر الوطني في اليمن الذي كان في حدود 6.48 في المائة في عام 2014 ،يتجاوز اليوم 80 في المائة .والتقديرات مماثلة في الجمهورية العربية السورية ويؤدّي تدمير أو إضعاف البنى التحتية وتأثير الصراع على الاقتصاد إلى تفاقم الفقر وزيادة تعرض الفقراء لمخاطر مثل المجاعة والمرض والأمية"[3].

أما عن القوى العاملة المهاجرة فتضم البلدان العربية أعلى نسبة من مجموعّ العمال المهاجرين في العالم"حيث تمثل نسبة41 في المائة، وتعتمد بلدان مجلس التعاون الخليجي على العمال المهاجرين في القطاع النظامي، وفي الأعمال المنزلية، ويعاني العمال المهاجرون في جميع أنحاء المنطقة تهميشاً اجتماعيا وأحيانا سياسيا على الحركة،ً وغالبا

[1]–تقرير التنمية المستدامة 2020 ،ص14.

[2]–المرجع السابق ص 15.

[3]–المرجع نفسه ، 17.

ما يواجهون قيوداً . ويفتقرون إلى الحماية الاجتماعية وإلى إمكانية اللجوء إلى آليات التمثيل للدفاع عن حقوقهم الإنسانية"[1]

ومن القراءة المتفحصة الأولى لهذه الأرقام والإحصائيات ، نستطيع القول أن الوضع السياسي والإقتصادي المتردي في دول الوطن العربي ، وخاصة دول المغرب العربي سيلقي بتبعاته على كل الأجندات التي تقيمها هذه الدول من أجل تحسين الوضع المعرفي فيها .

ففي المغرب،و بالنظر إلى الظروف المناخية غير المواتية والتطورات العالمية الأخيرة ، يتوقع بنك المغرب أن يسجل الموسم الفلاحي إنتاج محصول من الحبوب يناهز 25 مليون قنطار في عام 2022 ،بدلا من 2.103 مليون قنطار المسجلة العام السابق و بالتالي، من المرتقب "أن تنخفض القيمة المضافة الفلا حية بنسبة 8.19 في المائة، ليتراجع بذلك النمو الإقتصادي المتوقع في عام 2022 إلى 7.0في المائة بعد انتعاشه الذي بلغ 7.6 في المائة في . 2021،وفي عام 2023 ،ومع افتراض تحقيق محصول متوسط في حدود 75 مليون قنطار، يتوقع أن تتزايد القيمة المضافة الفلاحية بنسبة 17 في المائة، ليصل بذلك النمو إلى 6.4 في المائة. أما فيما يخص الأنشطة غير الفلاحية، فمن المنتظر أن تتعزز تدريجيا ، مع تزايد قيمتها المضافة بنسبة 3 في المائة في عامي 2022 و2023"[2]

وبهدف مواصلة دعم التعافي الاقتصادي، سوف يتم مواصلة وتبني عدد من التدابير والتدخلات على النحو التالي:

"استمرار المساهمة في تمويل المشاريع الاستثمارية الكبرى وتطويرها عبر صندوق "محمد السادس للاستثمار"، على الصعيدين الوطني والإقليمي، في إطار الشراكات مع القطاع الخاص، وكذا المساهمة من خلال الصناديق القطاعية أو المتخصصة في رأس مال الشركات الصغرى والمتوسطة، والشركات الكبرى الحكومية والخاصة النشيطة في المجالات

[1]–المرجع والمكان نفسه .

[2]–المرجع السابق ، ص17.

التي يعتبرها الصـندوق ذات أولوية، وذلك بوضـع أدوات مالية مناسبة، وتمويلها بأموال شبه ذاتية."[1]

وفي استبيان تقرير "آفاق الاقتصاد العربي " الإصدار السادس عشر – 28أبريل 2022 وضح صندوق النقد العربي وبنك المغرب أنه سيضطلع بإعداد ووضع آليات تمويل مهيكلة لإيجاد حلول تمويلية للشركات العاملة في المجالات التي يرى الصندوق أنها تكتسي الأولوية، كما سيتم العمل على إصلاح برامج الحماية الاجتماعية على مدى خمس سنوات من خلال:

1–تعميم التأمين الصحي الأساسي الإلزامي

2–إدخال المساعدة المباشرة للأسر الهشة وذات الدخل المحدود

3–توسيع قاعدة المستفيدين من المعاشات التقاعدية .

4–تعميم التعويض عن فقدان العمل،كما تحرص المملكة على تطوير قدرات المتعطلين عن العمل من خلال برامج مبتكرة على النحو التالي :

"برنامج عقد ورش عامة صغرى وكبرى مؤقتة، يهدف هذا البرنامج إلى دمج ما يقرب من 250 ألف شخص في سوق العمل خلال عامي 2022 و2023 ،بموازنة تقدر بنحو 25.2 مليار درهم، خاصة أولئك الذين ليس لديهم مؤهلات والذين تأثروا بشدة بالوباء. يمكن أن تتخذ هذه المشاريع عدة أشكال مثل ترميم المرافق العامة، والتشجير، وتجهيز المساحات الخضراء، ومحو الأمية، ورعاية المسنين، والأنشطة الرياضية والثقافية، ورقمنة المحفوظات، إلخ"[2].

•برنامج "فرصة" لتمويل المشاريع الرائدة الاجتماعية و البيئية و الثقافية والرياضية وبقروض قد تصل إلى 100 ألف درهم تسدد على مدى عشرة سنوات .

[1]–المرجع والمكان نفسه.

[2]–المرجع السابق ، ص 28

-مخطط التعافي الصناعي (2021-2023)الذي يهدف إلى تحديث القطاعات الصناعية وتعزيز اندماجها، وخلق المزيد من فرص العمل والقيمة المضافة، وكذا تطوير روح الشركات الصناعية.

"يهدف المخطط إلى استبدال ما يقرب 34 مليار درهم من الواردات بالإنتاج المحلي بحلول عام 2023 لتحفيز الاستثمار والإنتاج الوطني من خلال تسليط الضوء على فرص الاستثمار في عدة قطاعات من أجل استعادة الثقة للمصنعين مع إمكانية خلق فرص عمل تتراوح ما بين 50 إلى 100 ألف وظيفة بحلول عام 2023 وإعداد خطة لتعافي قطاع التجارة (2021-2023)من خلال مراجعة محاور الإستراتيجية الوطنية لتنمية التجارة تماشيا مع تداعيات الأزمة الصحية لكوفيد 19 - وبإشراك جميع الفاعلين والإدارات المعنية"[1]

أما في تونس،سيواجه الاقتصاد بعض التحديات في ظل ارتفاع معدلات التضخم والبطالة واستمرار تأثر محصلة الصادرات وعائدات السياحة التي لم تعد بعد لمستوياتها المسجلة قبل انتشار جائحة كوفيد-19 ، ضاعف من حجم تلك التحديات التداعيات الناتجة عن التطورات العالمية، وهو ما يفرض ضغوطاتٍ على وزارة المالية.

حيث تواجه أوضاع المالية في ظل هذه التطورات تحدياتٍ من شأنها الحد من قدرة الحكومة على تحفيز النشاط الاقتصادي، وهو ما يؤثر على مستويات الإستهلاك الخاص والحكومي ."كما ساهمت هذه التطورات في ارتفاع نسبة البطالة في تونس لتصل إلى 4.18 في المائة خلال الربع الثالث من عام 2021كما أدت إلى ارتفاع حجم الدين العام ليصل إلى نحو 3.102 مليار دينار في شهر أكتوبر من عام 2021 حيث يتوزع ما بين

[1]-المرجع السابق ، ص 28.

دين داخلي بقيمة 3.40 مليار دينار تونسي، وخارجي بقيمة تقارب 62 مليار دينار تونسي ليمثل الدين العام بذلك نسبة 1.82 في المائة من الناتج المحلي الإجمالي"[1]

بنا ء على التحديات التي تواجه الاقتصاد التونسي، تسعى الحكومة إلى ترتيب الأولويات لتحقيق الاستقرار الاقتصادي ودعم التعافي. تتمثل الأولوية القصوى في التحكم في التوازنات المالية للحد من عجز الميزانية والتحكم في مستوى المديونية، وما يستلزمه ذلك من تفعيل عدة إصلاحات والبدء في تحقيق التصحيح المرجو للوضعية المالية العامة مما سيساهم في دفع نسق الاستثمار، وتحقيق نمو اقتصادي شامل وتضامني ومستدام إلى جانب العمل على تحسين حوكمة إدارة القطاع العام بجميع مكوناته .من المتوقع تحسن نسبي لوتيرة النمو الاقتصادي في عام 2022بفعل التخفيف النسبي للقيود المفروضة لتجاوز تداعيات جائحة كوفيد-19 وبفعل الزيادة النسبية المرتقبة لمستويات الصادرات، وتحسن العائدات السياحية بافتراض أوضاع داخلية مواتية علاوة على الأثر الإيجابي المتوقع للإصلاحات الاقتصادية التي تنفذها الحكومة لاحتواء الإختلالات الداخلية والخارجيةبناء عليه،" من المتوقع تحقيق الاقتصاد التونسي لمعدل نمو يقدر بنحو 6.2 في المائة في عام 2022 ،وارتفاع نسق النمو إلى 1.3 في المائة في عام 2023 في ظل التوقعات باستمرار تحسن الأوضاع الداخلية وأسس الاستقرار الاقتصادي وتعافي نسبي لعائدات السياحة"[2].

بالنسبة للمغرب،وبعد أن ارتفع معدل التضخم في شهر فبراير 2022ليصل إلى نحو 6.3 في المائة مقارنة بالشهر المماثل من عام 2021 ،كمحصلة لارتفاع كل من المواد الغذائية والمشروبات والتبغ. كما زادت أسعار المواد غير الغذائية، مثل الملابس والأحذية، والسكن وملحقاته، والأثاث، والنقل، والترفيه، والتعليم، والمطاعم، والفنادق .فيما يتعلق بالتضخم

[1]–المرجع والمكان نفسه .

[2]–المرجع السابق ، ص 30.

الأساسي،" فقد بلغ حوالي 5.3 في المائة خلال شهر فبراير من عام 2022 بالمقارنة مع الشهر المماثل من العام السابق .أمابالنسبة للتوقعات خلال عامي 2022 و2023 ،فمن المتوقع تزايد الضغوط التضخمية الخارجية التي نشأت في عام 2021 ،المتوقع استمرارها في النصف الأول من عام . 2022من جهة أخرى، من أبرز العوامل التي من الممكن أن تؤثر على تطورات الأسعار المحلية، التحسن المتوقع في دورة الطلب الداخلي والانخفاض المتوقع لسعر الصرف الفعلي الحقيقي"[1]

إذن لا زال الوطن العربي وبالذات منه في دول المغرب وكذا مناطق النزاع السياسي ، يحاول توفير أساسيات العيش الكريم لمواطنيه ، والتي لازال منها مشكل الأمية ، حيث ترفع هذه الدول طموحات لضمان التعليم الجيد المنصف والشامل للجميع مدى الحياة وذلك قصد تعزيز فرص العيش الكريم ، إلا أن التعليم لن يحقق كامل قدرته في إحداث التحوّل المنشود على الرغم من زيادة معدلات الالتحاق بالمدارس وزيادة الاستثمار فيها وسوء نوعيتها، وانعدام المساواة في التعليم في المنطقة العربية. وتكمن التحديات الأساسية في قدم أساليب التدريس وانعدام فرص التعليم، وكذلك في البنى التحتية. ولن تستطيع المنطقة تسخير إمكانات التعليم مدى الحياة على النحو المطلوب، والوصول إلى تكوين مواطنين مبتكرين، يملكون فكراً مجتمعيا ما لم يُنظر إلى التعليم نظرة جديدة بوصفه مشروعا أساسيا لتحقيق التنمية المستدامة؛ ولنشر قيم المساواة والعدالة السامية؛ وكذلك لتأمين فرص عمل للشباب.

حيث "يتجاوز عدد الأطفال غير الملتحقين بالمدارس في المنطقة العربية 16مليون طفل، منهم 10 في المائة منهم في سن التعليم الابتدائي، .و32 في المائة في سن التعليم الثانوي".

وكمقاربة نظرية نقيمها بين واقع وإنجاز دول المشرق والمغرب العربيين نجد أن دول المشرق العربي قد خطت خطوات عملاقة مقارنة مع نظيرتها في المغرب العربي ، خاصة منها

[1]–المرجع نفسه ، ص 40

السعودية والإمارات العربية المتحدة ، وذلك عائد بالدرجة الأولى إلى البرامج التشريعية والقرارات السياسية التي عملت على توفير البنى الأساسية المساهمة في التوجه نحو مجتمع المعرفة ،ضف إلى ذلك المناخ الثقافي والإجتماعي لديها والذي نلمس فيه انفتاحا لا إنغلاقا على الذات ، مما ساعدها على الإستفادة أكثر من التجارب الغربية في هذا المجال ، وفي المقابل تعقد دول المغرب العربي العزم على السير قدما في سبيل التوجه نحو الخوض في عالم إقتصاد المعرفة ، ومجتمع المعرفة ، أمام الكثير من التحديات التي تنتظرها إما على المستوى الداخلي أو حتى في علاقاتها مع دول الجوار ، أو حتى في سياساتها العامة .

المبحث الثالث : مجتمعات المعرفة رؤية نقدية

لا تتوقف أحداث العالم عن التشكل والتطور والتغير ، تساهم تكنولوجيا الإتصال والمعلومات بقدر كبير جدا في رسم صورة هذه الأحداث وهذه الوقائع .

وأمام زحف المنجز العلمي والتقني ، تبزغ في الواقع المعيش ولنقل المقيت والمرير أيضا إشكالات عدة ، لا يمكن للفكر الفلسفي أن يتجاوزها أو أن يفكر بعيدا عنها .

فكرة العيش بناء على عامل الزمن أصبحت تثقل كاهل الإنسان اليوم ، مجتمع متقدم ومتطور ، تغزو التقنية ساحاته ومطابخه ومصانعه وقاعات تدريسه وساحات الاستجمام والراحة فيه ، مجتمع يبحث جاهدا عن ما فقده من قيم إنسانية وأخلاقية ، وآخر متخلف متأخر أو لنقل نامي أو في طريقه للنمو يتطلع لمرحلة زمنية على مستوى التماثل المادي لا الروحي ، يعيش غربة الذات ويبقى أسيرا لجدل الصراع بين الماضي والحاضر على أمل عيش أو تحقيق المستقبل .

"إننا نمتلك الإمكانيات المادية والتقنية التي تقدرنا على حل عدد كبير من المشكلات البشرية ، من قبيل الجوع في العالم ، ومع ذلك فإن من المستحيل تحقيق ذلك بسبب البيروقراطيات وأشكال الفساد والقواعد الإقتصادية والعلاقات بين الدول ، إنه عالم يصير فيه الممكن مستحيلا ، أو يصير فيه المستحيل على حين غرة شيئا ممكنا "[1]

حتى وإن تطور العلم وتقدم في شتى المجالات وأصبح قادرا على التنبؤ بنتائج التحولات العظيمة في السياسة و الإقتصاد ، إلا أنه يوما بعد يوم لا زال الإنسان كما يقول ياسبرس ذلك المجهول، يدهشنا ويفجعنا بأنانيته وفرديته وبخطأ كل الآمال حوله ، فعن أي مجتمع آمن نتحدث ، وعن أي سلم وحوار ونحن يوما بعد يوم تجرّنا أفعالنا إلى الهاوية ونبدو قاب

[1]–موران إدغار ، هل نسير إلى الهاوية ؟،تر عبد الرحيم حزل ،أفريقيا الشرق ،2012،المغرب، ص 135

قوسين أو أدنى من حرب نووية قد تغير في ثواني ليس الخريطة السياسية أو العسكرية ، أو أرقاما لعدد الضحايا والموتى والمهجرين والمشردين، والأرامل واليتامى ، الذين لن يصبحوا سوى أرقاما تتغير ، بل ستغير حتى نظرتنا للعالم من حولنا ، وحتى نظرتنا لذواتنا ولمجتمعاتنا ، ولمستقبلنا ، وعن علاقتنا بماضينا وحاضرنا ، ليعود الشك من جديد يساور كل يقينياتنا ، ويفتح كل النهايات المغلقة ، ليصبح الماثل أمامنا مشكوكا فيه لا يقينيا ، ربما هنا يجوز لنا أن نتساءل خاصة مع التطورات العالمية التي هزت بقاع العالم أجمع من أزمة الجائحة إلى أزمة الغذاء والدواء إلى الأزمة المالية ومن ثم الحرب الروسية الأوكرانية ....كل هذه المشاهد تدعونا حقيقة للتساؤل : هل مجتمع المعرفة هو المنشود ؟ هل كان حقيقة هو الأمل والمخلص؟ دعونا حقيقة لا نرفع من سقف توقعاتنا ، لأن الحال التي نحن عليها الآن ليست سوى نتيجة حتمية للمقدمات التي صاغتها البشرية في طريقها الطويل المليء بالمطامع والمطامح التي زيّنتها التكنولوجيا وعبّد العلم طريقها.

" إن كل واحد منا ، حيثما يوجد من أنحاء المعمور ، إلا وقد بات اليوم محكوما بمصير أرضي جماعي ، فنحن تواجهنا المشكلات الحيوية نفسها التي تعرض للنوع البشري كافة وتقع علينا التهديدات المميتة نفسها ، وقد باتت سرعة المركبة الفضائية الأرض في تزايد ، لا يحكمها تقنين ، وفي سباق منفرد له أوجه متعددة هي العولمة والتغريب والتطور والنمو

إنه سباق يضع المجتمعات التقليدية في أزمة ، لكنه لا يستثني منها الحداثة نفسها ، وإذا فكرة التقدم التي كانت إلى عقود قليلة ماضية تبدو وكأنها القانون الجبار الناظم للتاريخ ، قد باتت تترك مكانها لليقين وللمخاطر وصنوف التهديدات ".[1]

حقيقة لا يمكن التغاضي عنهاأبدا ، وهي أن لمجتمع المعرفة وجها وضّاحا مشرقا ، يتمثل في جملة الآمال والأحلام والطموحات والشعارات التي ترفعها المجتمعات والدول

[1]–إدغار موران ، هل نسير إلى الهاوية، ص 5.

والمدن ، من أجل تحسين الأوضاع وتجاوز المآزق ، وتوسيع خيارات التنمية الإنسانية،إلاّأنّ له وجها قبيحا لا يمكن تجاهله أو حتى نسيانه ، نظرا لأن تجاعيده العميقة كانت و لازالت مرسومة في ذاكرة كل بشري فيه نفحة من عبير الإنسانية .

مجتمعات المعرفة تحمل بذور نشأتها في كينونتها ، كما أنها أيضا تحمل بذور فنائها وزوالها أيضا ، مجتمعات المعرفة هي مجتمعات الإبداع والتطور الخلاق ، كما أنها أيضا مجتمعات الأزمات والمخاطر والعار الجليّ،والانتهاك الأخلاقي لحقوق الإنسان والحيوان والبيئة .

مجتمعات المعرفة إن قامت من أجل تحسين حياة البشر وخلق جو عظيم من الرفاهية فإنها لازالت تشكل تهديدا ، إنها القنبلة الموقوتة التي يمكن أن تنفجر في أي لحظة .

مجتمعات نووية :كيف يمكن لمجتمعات العالم أن تصف نفسها بأنها مجتمعات معرفة ، التي من أهم ركائزها حفظ كرامة الإنسان ، وهي لازالت توقع على اتفاقيات من أجل زيادة التسليح ، وتخصيب اليورانيوم ، ولا يمكن أبدا تجاهل حادثة تشيرنوبل ، أو حادثة ميناء لبنان مؤخرا " إن الإنسان لا يتحكم بالطاقة النووية ، أيّا كانت وجهة استخدامها ، بقدر ما يعني أن لهذه الطاقة أخطارها القاتلة والمدمرة على مصائر البشر والحياة والأرض ، ولو كانت تنتج لأغراض سلمية ، فكيف إذا كانت تنتج لأغراض عسكرية ؟ فيا لحماقة الإنسان : كيف يقدم أو يستمر بإنتاج مواد مشعة لا يستطيع السيطرة عليها أو التنبؤ بكل مفاعيلها وآثارها السامة والمميتة ، وتلك هي حصيلة العقول المفخخة والمشاريع المدمرة والاستراتيجيات القاتلة ، والدرس المستفاد إذا أردنا تدبر هذه المعضلة ، هو التفكير في مستقبل الطاقة النووية ببرامجها وأسلحتها وكل وجوه استخدامها "[1]

1- علي حرب، ثورات القوة الناعمة، ص 102

وهكذا لازال التقدم العلمي يتحرك بسرعة متزايدة يوما بعد يوم ، مخلفا وراءه خيبات كبيرة وحسرات في الأوساط العلمية والإجتماعية السياسية والاقتصادية ، مرفوقة دائما بالخوف والتوجس من شر ما هو قادم .

" فما كان يفترض أن يضمن التقدم البشري يحمل بحق أوجها من التقدم المحلي ، وإمكانيات لتقدم مستقبلي ، لكنه يخلق مخاطر قاتلة للبشرية ويفاقم منها ".[1]

الإنسان ولعنة المعرفة :

سقراط ، شخصية عظيمة في الفكر اليوناني ، والفكر الفلسفي بالذات ، شخصية أسالت الكثير من الحبر ، من محاورات أفلاطون التي كان الشخصية الرئيسية فيها ، حتى بلغ قول الكثيرين أن أفكار أفلاطون ما هي إلا تراث ورثه عن أستاذه سقراط ، في حين تلقى من فيلسوف مثل نيتشه الكثير من التهكم ....إلا أن ما يعرف عن سقراط أنه كان ضحية الحكم الغوغائي الذي اغتاله ، وأن محاولات تلميذه أفلاطون لتهريبه كلها باءت بالفشل ، من أجل أن يرضخ لحكم السلطة آنذاك ، أعدم سقراط بسبب تهمة كانت تعتبر كبيرة من الكبائر آنذاك وهي " إفساد الشباب " والأصح من ذلك أنه حكم عليه بالموت لأنه كان يعرف أكثر مما ينبغي ، فحتى في وقتنا الحالي نجد الكثير من سلوكات الإجرام الخفي والتصفيات المعلنة والمحسوبة تستهدف الأشخاص والأملاك والأعيان والألقاب لأنها تهدد تراثا معينا لأنها ستقوض بنيانا ونظاما ، حيث يتم استيلاء الشركات الكبيرة على الشركات الصغيرة وضمّها من أجل اكتساب والسيطرة على الكفاءات التي تحوزها ، نفس القصد الذي كانت تصير إليه القبائل أو العصب حسب مفهوم ابن خلدون " العصبيات القوية تستولي على العصبيات الضعيفة إما بإهلاكها ، وإما بامتلاكها وضمها إلى نظام حكمها" وهكذا هو الحال في عالمنا اليوم ، إنها العصب الفكرية ، التعصب ليس لرأي بل لمنهج ولطريق في التفكير

[1]–إدغار موران ، هل نسير إلى الهاوية ، ص12.

لا ينظر إلى غيره من الحلول والمناهج والنظريات ، فالمعرفة التي كانت سلاحا للحماية ستضحي سلاحا للإبادة ، ستضحي قنبلة موقوتة أو حزاما ناسفا يعلقه البشر على أعناقهم ....

" لا مهرب أمامنا من مواجهة الإنفجار المعرفي الآخذ في التفاقم ، الذي أضحت عملية ترويضه واحتوائه هي أقسى التحديات التي تواجه إنسان العصر ، والذي يلزمه في الوقت نفسه ، أن يتخلص من وهمه القديم : أن بالعقل والمعرفة وحدهما ، يمكنه أن يصنع عالما أفضل وأن كل المشكلات قابلة للحل ، بمجرد أن نقوم بما يحتاج إليه ذلك من جهد فسوف تبقى هناك دوما مشكلات تستعصي على كل حل ، وسوف يظل هناك قدر من اللاّعقلانية يفلت من كل عقل ، خلاصة القول : أن إنسان هذا العصر يعيش فصلا جديدا من ملحمته الأزلية ، فصلا مثيرا ومحيرا في آن ، وذلك بعد أن كاد يصبح خصما لمعرفة هو صانعها"[1]

مجتمع المعرفة ومشروع مدونة أخلاقية جديدة

الفلسفة والحرية: قد تبدو للوهلة الأولى استحالة وجود رابط أو علاقة بين هذين المفهومين ،أو لنقل بين هذين الحقلين ذلك أن"هذه الحرية التي يقوم عليها التفلسف مرتبطة ارتباطا حميما بالطابع النظري للفلسفة، فالفلسفة هي أنقى صور التأمل في الواقع وحيثما ينظر الإنسان إلى أي شيء أو أي موجود نظرة فلسفية ، فهو في الحقيقة يسأل عنه سؤالا نظريا خالصا من كل غرض نفعي أو عملي، وتحقيق هذا النظر الخالص مرتبط بدوره بوجود علاقة بين الإنسان والعالم علاقة خالية من كل غرض ، اللهم إلا الرغبة في معرفة ماهيته وواقعه، ولن تتيسر له هذه النظرة حتى يكون العالم أو الواقع أو الوجود أكثر من مجرد مجال أو مادة خام لنشاطه وفاعليته ولن تكون هذه النظرة فلسفية بحق حتى تحيط بالوجود

[1]–نبيل علي ، العقل العربي ومجتمع المعرفة –ج1،ص70.

كله وتحاول أن تجربه في مجموعه وبذلك تتحقق تلك العلاقة الأصيلة التي نبعت من حرية التفلسف وجعلت الفلسفة ممكنة"[1].

لا غرابة نشعر بها حقيقة إذا ما قررنا أن نسم مجتمعاتنا الحالية أنها مجتمعات تعيش في واقع مأزوم ، تعقدت علاقاته ، وتطورت إشكالاته واختلّت موازين القوى فيه كما أنه لم يعد قادرا على إيجاد الأجوبة الكافية والمقنعة أيضا عن الأسئلة المحرجة التي تصادفه يوميا، لن يستطيع الإجابة عنها إذا رجع إلى قاموس منظومة الأخلاق والقيم القديم ، ذلك أننا أصبحنا نواجه أنواعا جديدة من العنف ومن الإرهاب ، ونلمس الكثير من التناقضات داخل الأوساط العلمية والإجتماعية ، وحتى السياسية.

" فالمسألة الأخلاقية تزداد في مجتمع المعرفة تعقيدا ،وقد تمظهرت في مستويات عديدة من أوجه الحياة المليئة بالتناقضات وأشكال الصراع الجديدة ، كالسؤال حول المساواة داخل النوع الإجتماعي ، وقضايا العمالة المهاجرة والهجرة ومواجهة الإرهاب والعنف والفساد والجريمة المنظمة ، وخصوصا على شبكات الإنترنت ، حيث تنشأ جرائم جديدة من قبيل الغش المصرفي ، اختراق البيانات الشخصية، التصوير غير المشروع، وتداعيات العوالم الإفتراضية....إلخ ، تقع في قلب مجتمع المعرفة وتولد عبر اختراق أنظمته ورموزه ، يضاف إلى كل ذلك ما فجرته الثورة العلمية من قضايا مرتبطة بمستجدات الهندسة الوراثية، ....إلى أخلاق التعامل مع البيئة ، التي أصبحت جزءا من منظورنا الجديد للعالم ، وأخلاق النظام المعرفي الجديد ، يستدعيان منا مضامين جديدة لمفاهيم الحرية والمساواة والأمن والثقة وهي المفاهيم التي استوعبت في الماضي دلالات محددة . وتقتضي الآن إعادة بنائها في ضوء مستلزمات التحول الجاري في مجتمعات المعرفة "[2]

[1]–د عبد الغفار مكاوي، منشأة المعارف بالإسكندرية(د.ط) (د.س) ص 24.

[2]–مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم ،تقرير المعرفة العربي ،2009 ص 46.

فلكل زمن إشكالاته ومصاعبه ومآزقه ، وبطبيعة الحال حلوله ومدوناته وكذلك ثغراته.

" لقد منحت الدلالة الفلسفية المتوارثة في عصر التنوير قيمة محددة للمفردات الأخلاقية ، لكن لا يمكن التفكير والعمل بقيم القرنين الثامن عشر والتاسع عشر في بداية الألفية الثالثة من التاريخ ، إن مجتمع المعرفة يمارس عمليات في التجاوز البنّاء من خلال خلق آمال وطموحات تتطلب بناء مدونات القيم الحقوقية الفردية والجماعية بمضامين مناسبة لصور التحول الجارية على أرض الواقع فالمسافة الفاصلة بين الدلالات المتوارثة وبين ما يقع من انفجار معلوماتي وتحول معرفي وثورة متصاعدة، في مجال الكشوف العلمية الدقيقة وفي حياة الإنسان ، تدعو لبلورة أساليب جديدة مستوعبة لروح التغير ومنطق التحول المعرفيين .

"لا مفر من اقتراح مشروع مدونة جديدة لأخلاقيات مجتمع المعرفة ، وقد أطلقت اليونسكو عام 2007 مشروع مدونة في هذا الباب "[1]

فكل ما يطفو على السطح من مشاكل ومساويء ومتاعب تعوق طريق البشرية في عيش كريم وحرية ، إلا وكان سببه الانفلات الأخلاقي للسلوك البشري .

" عند معاينة ما يجري من صراع عنيف في الواقع ، يحق إذن القول بأن وعود المجتمع الدولي ، لا تعادل حجم ما يجري من تعميق وترسيخ للفجوات القائمة بين مجتمعات الشمال ومجتمعات الجنوب ، ذلك أن إشكاليات التفاوت تصنع اليوم وقائع رمزية تمارس بدورها عمليات سيطرة رهيبة على منافذ وأبواب المعرفة أي أنها تمارس عمليات التهميش والعزل والخنق ، مما ركّب ويركّب مزيدا من التباعد بين دول العالم وبخاصة بين العالم الغني والعالم الذي ما يزال في طور النمو.

[1] المرجع السابق، ص 47.

إن الموقف الرسمي في بعض الدول المتقدمة مازال غامضا فهو يتحدث أكثر من لغة ويستخدم معايير مزدوجة ، ولا يجد فيما يصدر عنه من مواقف أي تناقض.ويساهم بذلك في توليد صور أخرى من العلاقات غير المتكافئة في العالم ، وقد شخص هذه المسألة بكثير من الدقة تقرير اليونسكو2005، عن مجتمعات المعرفة، كما أن الإعلان العالمي حول التنوع الصادر عن اليونسكو سنة 2001، اعتبر حماية التنوع الثقافي حقا من حقوق الإنسان ، ودعا في الوقت نفسه إلى النظر إليه كمطلب أخلاقي ينبغي احترامه .

تطرح مكاسب مجتمع المعرفة إذا أسئلة عديدة لا مفر من المشاركة العربية في إيجاد مخارج لها .فهل يتجه العالم اليوم ليكون مجرد ضحية لثورة تكنولوجية ناعمة وعاصفة، ثورة يصعب إيقاف تحويل مجاريها ؟ هل نستمر في التفكير في مجتمعات المعرفة بوسائل في النظر ومنظومات في الأخلاق لا تكافىء ما حصل في العالم من تغير؟

وعلى سبيل المثال فالموضوع الذي يفجره سؤال الأخلاق في مجتمع المعرفة بدقة أكبر هو مسألة حدود الإبتكار في مجالات البيولوجيا وعلوم الحياة ،"فاكتشاف الجينوم الذي يعد اليوم من أكبر مكاسب العلم والتكنولوجيا ، دفع البعض إلى إعادة إطلاق ما يعرف بالإنتقاء الجيني، وذلك في إطار النزعة اللبيرالية لتحسين النسل البشري ، حيث يتم التفكير في مجموع الإمكانيات التي توفرها التكنولوجيا الحيوية وفتوحاتها المتسارعة في مجال المساعدة على إنجاز تشخيص مبكر للجيني المخصب صناعيا ، قبل زرعه في الرحم" [1]

وأمام السعي المترامي لتحسين النسل وإخراج أفراد خاليين من الأخطاء والأعباء الفكرية والعاهات الجسدية سعى الإنسان من أجل الإستغلال الحسن لما تقدمه التكنولوجيا ومكتسبات العلم ، وقد عني بهذا الموضوع الكثير من الفلاسفة وعلى رأسهم فرانسيس

[1] المرجع السابق ،ص 48.

فوكوياما الذي يقول في هذا الصدد :" ربما كنا على مشارف مستقبل سلالة بعد بشرية ، تمنحنا فيه التكنولوجيا القدرة على أن نحور بالتدريج هذا الجوهر مع الزمن ، الكثيرون يتقبلون هذه الفكرة في سرور تحت شعار حرية البشر ، يريدون أن يعظموا من حرية الآباء في اختيار من ينجبون، من حرية العلماء في موالاة البحث ، من حرية المقاول في استخدام التكنولوجيا لجمع الثروة".[1]

وفي المقابل تتعدد الآمال والأوصاف المرفوعة والمتوقعة لعالم ما بعد البشر فمن المزاعم من يرفع سقف التوقعات في وجود رعاية طبية أفضل وأعمار أطول ، وربما ذكاء يفوق الذكاء الحالي ، ولكن لسان الحال هو أحسن بيان عن هذه التوقعات ، فالعلم بقي اليوم حائرا أمام أمر طارىء واحد كبّل الحركة على الأرض ، ووضع حدا للممارسات اليومية إنها أزمة الجائحة بفيروساتها المتعددة المتحورة والتي أعادت النظرة إلى نتائج العلم ومنتجاته ، فأين هي الرعاية الطبية الأفضل التي نتحدث عنها حين يسمع العالم ويرى أن أماكنا لدور المسنين هجرها العاملون جراء إصابة شيخ مسن ، وتم ترك الجميع تحت رحمة الموت ، الألم ، الجوع.....إننا يوما بعد يوم نخسر إنسانيتنا بدون شك ، وقد وضح فوكوياما معالم هذا العالم حينما قال :" قد يكون عالما تختفي فيه فكرة" الإنسانية المشتركة " لأننا مزجنا الجينات البشرية بجينات أنواع أخرى كثيرة ولم تعد لدينا فكرة واضحة عمّن يكونه الإنسان ، قد يكون عالما يدخل فيه الإنسان الوسط قرنه الثاني من العمر وهو يجلس في دار تمريض المسنين يتطلع إلى موت يأمل أن يدركه ، أو ربما كان عالما من الطغيان الناعم الذي تخيّله " عالم جديد شجاع " يتمتع فيه الجميع بالصحة والسعادة ، وينسى فيه الكل معنى الأمل والخوف والكفاح "[2]، نقول هذا فيالوقت الذي نجح فيه الأطباء في زراعة قلب حيواني لإنسان (قلب خنزير) وقد كللت العملية بنجاح ."أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ

[1] فوكوياماافرانسيس ، الإنسان الأخير وعواقب الثورة البيوتكنولوجية، ص 303

[2] –المصدر والمكان نفسه .

يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ "[1] ، ضف إلى ذلك ما توصل إليه علماء روسيون فقط خلال الشهر الماضي أفريل من إنجاز علمي مهول حين تمكنوا من إعداد الترجمة الكاملة لقراءة الحمض النووي ال ADN، هذا ما يمكنه أن يخلق حالة من الهلع والخوف والفرح إنها مشاعر مختلطة إزاء هذا الإنجاز الرائع ، فرح من المشاكل العديدة التي يمكن القضاء عليها نهائيا خاصة كالأمراض المستعصية ، وتخوفا من الإستعمال اللاأخلاقي لهذا المنجز من أجل تحقيق رغبات وطموحات البشر الساعية إلى خلق الإنسان المثالي الخالي من كل العاهات والشوائب " فالأغلب أن تؤدي اليوجينيا الجديدة في المستقبل القريب إلى زيادة الإجهاض وإلى نبذ أجنة أكثر، هذا هو السبب فالمقاومة العنيفة لهذه التكنولوجيا من قبل معارضي الإجهاض ، لكن هذه اليوجينيا لن تتضمن إكراه البالغين أو تقييد حقوقهم الإنجابية ، بل على العكس ، فإنها ستوسع مجال الخيارات الإنجابية بشكل درامي ، فينتهي قلقهم من العقم وعيوب الولادة وثلة غير هذين من المشاكل ، ثم إننا لن نتوقع زمنا تكون فيه تكنولوجيا التكاثر آمنة وفعالة ، فلا ينبذ جنين أو يؤذى"[2]

وأمام هذه الإنجازات العلمية السبّاقة والرائدة في مجالها ، فإن المجتمع الدولي وكذا المنظمات الحقوقية قد رفعت في العديد من المحافل الدولية نداء استغاثة وصرخة قلق من الأوضاع التي يمكن أن تكون عليها الممارسات العلمية وحتى الدولية نتيجة الإستغلال اللاأخلاقي لها، ومن ثم فقد ورد في تقرير المعرفة العربي 2009أنه ينبغي أن " يتجه الجهد الإنساني الجماعي نحو بلورة مدونة أخلاقية ، مستوعبة لروح المدونات القديمة ، ومستوعبة قبل كل شيء للمتغيرات الجديدة ، التي فجرتها ثورة غير مسبوقة في فضاءات المعرفة وشبكات التواصل المعاصر ، إن جيلا جديدا من الجرائم والتناقضات الأخلاقية يواكب الثورة الحاصلة ، ويحدد جوانب من تداعياتها ، ويتجلى ذلك في الكثير من القيم

[1]–الآية 46،سورة الحج.

[2]–المرجع السابق ، ص 303.

المزدوجة التي تتحكم في نمط العلاقات الدولية ، مما يتطلب العمل الجماعي لبلوغ عتبات من التوافق والتوازن ، الصانع والضامن لعلاقات دولية أكثر إنسانية وفي هذا الإطار لابد من التشديد على أن التأطير الأخلاقي الجديد لمجتمعات المعرفة ، يقوي الأمل في بناء عالم إنساني أكثر إزدهارا ، وخاصة عندما تحتل فضيلة التضامن وفضيلة التقاسم ، المسنودتين بالتشارك والتواصل،الأرضية الداعمة للآمال والتطلعات الإنسانية الكبرى" [1]

لذلك سنجد أن الفلسفة لا مناص لها من مجابهة الوضع المتأزم بالسؤال والنقد والتحليل

" أن تكون الفلسفة بحسب هيغل آخر الكلام ، يعني أنها أول الكلام أيضا ، فهي تلتقط المشهد من طرفي نهايته وبدايته ، وصله وفصله، تكون أول المبشرين بقدوم الحدث الإنساني والمحتفين بوعوده الخلاصية ، وأول الكاشفين عن أزماته وعنفوانه وازدهاره ، هكذا كانت الفلسفة تنعي القيم التقليدية رغم حيوية مؤسساتها وذروة سلطانها وقيام أية شرعية فيها على قيمها وأسرارها ، وهي نفسها (الفلسفة) التي أزاحت النقاب عن عدمية الحداثة وعوارض الأفول والاغتراب والتشيؤ ونزعة التدمير فيها، وهاهي في زماننا تؤول إشارات الواقع الجديدة، وتستشرف اختبارات وجود إنساني مختلف" [2].

مجتمعات المعرفة اليوم باتت بؤرة لانتشار أنواع عدة من المشاكل العالمية والتي أصبحت أكثرها مشاكل يومية تعاش على طول الأربع والعشرين ساعة ، هذه المشاكل كمشكلة التنوع الثقافي ، الجوع في العالم ، الهجرة ،الأمن، الحروب.....وغيرها كثير لا يسعنا إحصاؤها في هذه العجالة لذلك سنحاول التركيز على أربع مشاكل نراها محورية أو لنقل هامة والتي

[1]–مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم ،تقرير المعرفة العربي 2009 ، ص 49.

[2]–مشير بسيل عون وآخرون، التقليد والحداثة وما بعد الحداثة في المجال العربي ، المركز الثقافي العربي ، بيروت لبنان، ط1، 2018.ص8.

–

تتجلى من خلالها أزمة الواقع المعاش الذي يفتح بدوره المجال للفلسفة ويكون مادة خاما تستعين بها في قراءتها للواقع ومحاولة فهمه.

1-المشكلة الأخلاقية : لا يمكن الحديث عن بناء مجتمع المعرفة ، وعن دور الفلسفة في ذلك ، دون التوقف عند المشكلة الأخلاقية والتي هي بحق نقطة جوهرية لا يمكن تجاهلها،فلازال الواقع اليومي المحلي والعالمي ينشر الكثير من مخلفاته البائسة على " النبوءات بالهلاك المحتوم تسمع اليوم بتكرار متزايد، ومع أن لها الوظيفة المهمة في جذب الإنتباه إلى الإمكانات الخطرة في وضعنا الحالي فإنها تخفق في أن تأخذ في الحسبان الوعد الذي يتضمنه إنجاز الإنسان في العلوم الطبيعية ، وفي علم النفس ، وفي الطب وفي الفن ، وهذه المنجزات تصور فعلا وجود قوى لإنتاجية قوية لا تتلاءم مع صورة ثقافة تنحط ،إن عصرنا هو عصر انتقال ....إن مرحلتنا نهاية وبداية حبلى بالإمكانات" [1]

فهل يمكن أن نضع ثقتنا الكاملة في انسان اليوم ، في قدرته على اتخاذ قرارات حكيمة واعية؟

" هل لدينا مسوغلأن نكون فخورين وآملين .... إن القرار متروك للإنسان ، وهو يعتمد على قدرة الإنسان على أن يقيم وزنا لنفسه وحياته وسعادته، وعلى استعداده لمواجهة المشكلة الأخلاقية لنفسه ولمجتمعه ، إنه يعتمد على شجاعته الكافية لأن يكون ذاته أو يكون من أجل ذاته " [2]

والحقيقة التي لا يمكن تجاوزها أو انكارها أن الإنسان هو أعصى مشكلة يمكن أن نواجهها بالدراسة ، وأنه أصل كل مشكل آخر قد تواجهه البشرية ، وكما يقول علي حرب أن مشكلاتنا أساسها هو الإنسان حيثتتجلى لحد الساعة نظرة ثنائية " الإنسان بالوكالة عن الله

[1]-إريك فروم ،الإنسان من أجل ذاته ، ص 277.

[2]-المصدر والمكان نفسه.

،والإنسان بالأصالة عن نفسه، أي الشكل اللاهوتي المداور وغير المباشر حيث الإنسان خليفة الله وأشرف المخلوقات ، والكائن الذي سخّر له كل شيء ، ثم الشكل العلماني السافر والمباشر ، حيث الإنسان يحمل المسؤولية عن نفسه بنفسه من دون مرجعية غيبية ، ويقدس نفسه بصفته كائنا أعلى وذاتا متعالية يبيح لنفسه كل شيء بقدر ما يعتبر نفسه غاية كل شيء "[1] ويضيف أيضا في نفس السياق

"نحن إزاء شكلين بشريين مسيطرين ، بما لهما من الفروع و الإشتقاقات، كما يتجلى ذلك في صور النبوة ونماذج الفلسفة ، أو في فراديس الخلاص ، ومشاريع السلم والتحرر ، وكما نجد المثالات لدى أفلاطون وابن عربي ، لدى ديكارت أو كانط ، لدى ماركس أو نيتشه ، لدى إدوارد سعيد أو تشوميسكي ، لدى أدونيس أو محمد أركون ، وكل من يعنى بشأن الإنسان ويبحث في ماهيته أو يترافع في قضيته ، نحن إزاء وجوه وصور ورموز لعملة بشرية واحدة تنتج مآزقها على المستوى الإيديولوجي والنضالي على أرض الواقع الحي والمعاش ، بقدر ما تكشفت عن أوهامها و مهاويها أو عن أفخاخها وكوارثها ، ولذا فهي باتت تفتقر إلى المشروعية والمصداقية بقدر ما ترجمت الشعائر الدينية والمشاعر الفلسفية ، على تعارضها مزيدا من التمييز و الإضطهاد أو التسلط و الإستبداد أو العنف والإرهاب ، فضلا عن النفات والكوارث المتعلقة بالفقر والأوبئة والتلوث "[2]

" غير أن ما يضنه حماة الإنسانية ودعاة حقوق الإنسان من لاهوتيين وعلمانيين المثال والنموذج والقيمة العليا قد يكون هو مصدر الفساد والدمار، للإنسان نفسه وللطبيعة والبيئة، وعلة ذلك أن الواحد منا عندما يفكر ويتصرف بصفته غاية بذاته ، فمآل سعيه أن يدمر غيره من الخلائق ، أو أن يدوس على نظرائه من الناس ، كما يجري حتى الآن ، سواء

[1]–علي حرب ، ص10.

[2]–المرجع السابق ، ص10.

تحت شعارات الإنسان المتألّه وصاحب الجور النبوي ، أو تحت شعارات الإنسان المتعلمن والكائن الأرضي "[1]

" إن التقدم التقني وضعنا أمام قضايا تتعلق بمصير الفرد والجماعة ، فكما أن الفرد مهدد جسديا وعقليا ، فالمجتمع مهدد اجتماعيا وأخلاقيا فالملاحظ أن الفرد عجز عن مسايرة التطورات السريعة التي تشهدها التقنية ، ليجد نفسه عرضة لأمراض عقلية واضطرابات نفسية ، لقد أصبح مهددا أمام التجارب التي يقوم بها علماء الأحياء والفيزياء الحيوية والكيمياء الحيوية ، وعلماء الأعصاب "[2]

فلا الفرد سلم من تبعات الإجرام الخفي ، ولا المجتمع سلم منها أيضا ، فكل ضرر يبد مفعوله صغير الحجم ويتضاعف شيئا فشيئا حتى تزيد تكلفة إصلاحه أوعلاجه.

" اليوم في أوروبا ليست الأوطان هي ما ينبغي تجاوزه ، ولا هي الأمم ، وليس المراد تجاوز الدول أيضا ، وهي التي ينبغي الحد من سلطاتها ، وإنما الذي ينبغي تجاوزه هو التطهير ، وهو التقديس ، ولذلك فإن لشينغن قوة رمزية كبيرة كما لجواز السفر الأوروبي ، لذلك فالعملة الواحدة إن كان لها من فائدة اقتصادية ، فيمكن أن يكون لها كذلك مبرر رمزي" [3]

فرفض طلب التأشيرة لدخول بلد معين يحمل في طياته عبودية رمزية ، وكأن لسان الحال يقول : أنت منبوذ انساني ، لا تصلح أن تطأ رجلك الأراضي المقدسة ، إنها فكرة العبودية ولكن برموز عصرية جديدة.

" إن فكرة التقدم الحتمي والآلي والقدري واللازم والرائع والمشرق هي التي تم تقويضها" [4]

---

[1]–المرجع والمكان نفسه.

[2]–حسان الباهي،الذكاء الصناعي وتحديات مجتمع المعرفة ، أفريقيا الشرق ، المغرب ،2012،(د.ط) ، ص 25.

[3]–إدغار موران ، هل نسير إلى الهاوية ؟، (ص ص/131،130)

[4]–المرجع نفسه ، ص 129.

فمع كل ما توصل إليه إنسان اليوم من تقدم علمي وتطور تكنولوجي ، إلا أنه لم يستطع أن يتخلص من نرجسيته وأنانيته ، لقد فقد الكثير من الفضائل الكريمة التي سيكون من العصي إعادة تلقينها واكتسابها.

" أصبحت النواة الأساسية للمجتمع والمتمثلة في الأسرة مهددة في وجودها من خلال توفير إمكانات عدة مثل بيع البويضات والحيوانات المنوية ، والأرحام المستأجرة وشراء الأجنة ، وغيرها من التقنيات التي سيكون مآلها القضاء على هذا المجمع في هذا المقام نتساءل عما إذا كانت الثورة التقنية والمعرفية التي نعيشها اليوم ستوحد بين البشر أم ستعمق الفوارق ، لينتهي الأمر بسيطرة طرف على طرف آخر " [1]

ومن الأمثلة العديدة التي يمكن إحصاؤها من كم المشاكل الهائل الذي تحدثه الثورة التقنية والتقدم العلمي هو وقوف البشر عاجزين عن حل أبسط المشاكل والتي تفاقم مشاكل أخرى ، أولها مشكلة الغذاء والماء والعلاج ، فرغم وفرة وسائل الإنتاج وتعدد الموارد الاقتصادية وما تحقق من تقدم على المستوى الطبي وصناعة الأدوية ، فمازالت العديد من البلدان تعاني من سوء التغذية ، ومازال الملايين من الناس يموتون نتيجة الجوع وتفشي الأمراض وانتشار الأوبئة ، وبالتالي فإن الخطر الذي يحدق بنا اليوم يكمن في كوننا ننظر لكل شيء من منطلق الربح والخسارة ، "فعلى المستوى الطبي والهندسة الوراثية تعطى الأولوية للمجالات المربحة ، وليس للأدوية التي يمكن أن تحد من الأوبئة والأمراض الفتاكة ، وعلى مستوى المعلومات تعطى الأهمية لاقتصاد المعرفة على حساب التربية والتثقيف ، وعلى مستوى النانو تعطى الأولوية لإنتاج السلع الاستهلاكية بدلا من الاهتمام بمجالات أخرى مثل حماية

[1]–حسان الباهي ، الذكاء الصناعي وتحديات مجتمع المعرفة، ص25.

البيئة والحفاظ على التوازن البيئي والطاقة المتجددة ، وبذلك نقول بأن التقنية في أبعادها الثلاثة قد أوصلتنا إلى وضع أصبح فيه العقل الإنساني عاجزا عن تعقل نفسه " [1]

فمشكلتنا تكمن في عدم ترتيب الأولويات ، لأن كل مجال من شأنه أن يساهم في خدمة المجال الثاني، فإذا وضعنا على رأس هذه الأولويات ضمان البقاء الكريم ، والحفاظ على الإنسان لأنه أهم ثروة ،فإن باقي الانشغالات ستأتي تباعا لا محالة من ذلك ، وقبل ترتيب الأولويات فإننا نحتاج إلى الضمير الإنساني الذي يرجح كفة الحق على الباطل، وهي بذلك أصل المشاكل جميعا ، إنها أزمة أخلاقية بالدرجة الأولى.

2-المشكلة البيئية:

لا يمكن بأي حال من الأحوال تجاوز المشاكل والمعاناة الناجمة عن التأثر السريع للبيئة حولنا ، خاصة أننا معنيون بطريقة أو بأخرى بالتسبب في هذه المشكلة ، وأننا سيلحقنا نفس الضرر الذي لن يتوقف تأثيره عندنا ، بل نحن بتجاوزنا للمنطق والسلوك العقلاني نتعدى على حقوق الأجيال اللاحقة في عيش كريم ،وفي بيئة نظيفة وآمنة.

بعد كل هذا يجوز لنا التساؤل : هل العالم اليوم جاهز للتعامل مع ما يطرح من مستجدات ومشاكل وأزمات بيئية ، حقيقة لا يمكن إنكارها أبدا وهي أننا أمام واقع بيئي متأزم ، ونحن بعد لم نملك الإرادة ولا العدّة اللازمة لمواجهة تبعاته ، أما آن الأوان للتصالح مع الطبيعة والكف عن الجشع الإنساني ليس في التغلب على الطبيعة بل في استنزافها وتدمير المصير الإنساني ، وبالتالي تحول المستقبل العالمي إلى ما كان يرهب منه قبلا.

انطلقت يوم الإثنين 14 من مارس 2022 فعاليات قمة المعرفة بدورتها السابعة ، برعاية نائب رئيس دولة الإمارات رئيس مجلس الوزراء حاكم دبي الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم ،

[1]-المرجع نفسه ، ص 26

القمة تنظمها مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم للمعرفة على مدار 5 أيام بالتعاون مع برنامج الأمم المتحدة الإنمائي تحت شعار :" المعرفة ... حماية البشرية وتحدّي الجوائح" وتناقش مجموعة محاور رئيسة حول قضايا أساسية تتناول أهمية المعرفة والأمن الغذائي وتأثير الأوبئة في المناخ ، ومستقبل التعليم والصحة العامة ، وترسيخ الابتكار ، وتتناول الجيل الثالث لشبكة الويب ودور وسائل الإعلام ، ومدى تأثيرها في أثناء الأزمات وريادة الأعمال والطريق نحو تنمية إقتصاد المعرفة ،بهدف بحث تحديات الحاضر والمستقبل من الجوانب كافة ، واستكشاف الفرص والخيارات التي توفرها المعارف من أجل حماية البشرية ، وصياغة الحلول والأدوات الفاعلة لتمكين الدول من تحقيق خططها التنموية في إطار أهداف الأمم المتحدة للتنمية المستدامة.

وفي انتظار صدور التقرير النهائي الملخص لكل ماجاء فيه من تدخلات وقرارات ، نعود لندق ناقوس الخطر حول الوضع الكارثي البيئي ، خاصة بالنظر إلى الكوارث العالمية كالحرائق والفياضانات ومخلفات المصانع ، التي تؤثر سلبا على وتيرة الحياة العادية للكائنات، حيث جاء في دراسة جديدة عن رويترز أن :" قدوم الربيع في وقت سابق لأوانه في معظم أنحاء أمريكا الشمالية بسبب تغير المناخ دفع الكثير من الطيور إلى وضع بيضها قبل الأوان خلال العام ، الأمر الذي يضيف إلى الأدلة على أن ارتفاع درجة حرارة الأرض يقلب عادات الحياة البرية رأسا على عقب "[1]وقد ذكرت هذه الدراسة أيضا " والمنشورة اليوم الجمعة ، في دورية علم البيئة الحيوانية أنه من بين 72 سلالة طيور جرى فحصها في أنحاء شيكاجو ، وضع ثلثها تقريبا البيض قبل موعده بنحو 25 يوما مقارنة بما كان عليه الوضع قبل مئة عام "[2] ولم يجد العلماء أي سمات مشتركة واضحة بين سلالات الطيور التي تمت مراقبتها ،مثل الحجم أو وضع الهجرة قد تفسر تغير موعد وضع البيض ، لكن

[1]، تاريخ الإطلاع 3/25 /2022 التوقيت 12:04ROYAHNEW.COM–

[2]–المرجع والمكان نفسه .

المشرف على قسم الطيور في المتحف الميداني للتاريخ الطبيعي في شيكاجو وقائد فريق البحث جون باتس قال إن :" غالبية الطيور التي درسناها تتغذى على الحشرات التي تغير سلوكها الموسمي بدورها بفعل المناخ "[1] فإذا كان هذا تأثير الكائنات صغيرة الحجم على الطيور التي تتغذى عليها ، فكيف يؤثر الغذاء المعدّل جينيا علينا نحن البشر ؟

ويضيف الباحث جون باتس قائلا :"تأثر دورات حياة النباتات والحيوانات بتغير المناخ والإضطرابات الموسمية مسألة أصبحت أكثر أولوية وأهمية في أذهان الناس "[2]

هذا وبالنظر إلى عديد المشاكل التي لازال يعاني منها العالم " تضاعف القلق العام بسبب مشكلة لا تزال من دون حل وهي البحث عن وسيلة آمنة للتخلص من النفايات النووية لهذه المحطات (محطات الطاقة النووية)ومن المشكوك فيه الآن إمكان استعادة الثقة ما لم نكتشف تقنيات ملائمة للتحكم في قوة الإنشطار النووي ، وهو حل لا يزال بعيدا ، وقد لا نصل إليه قبل مرور بضعة عقود " [3]

بالإضافة إلى التأثير ذي المفعول السمي للمبيدات الحشرية على حياتنا " حيث تتسمم سلسلة من الأغذية الأساسية اللاّزمة لبقاء العديد من صور الحياة النباتية والحيوانية ، وأنّها على الأرجح ضارة بالحياة البشرية أيضا" [4]

فاستعمال المبيدات في القضاء على الحشرات الضارة بالمحاصيل النباتية ، له أضرار وخيمة على الصحة البشرية ، لا سيما أن هذه المبيدات يبقى أثرها طويلا على المنتجات النباتية.

---

[1]–المرجع والمكان نفسه .

[2]–المرجع السابق.

–آرايه بوكانان ،الآلة قوة وسلطة التكنولوجيا،تر شوقي جلال ،المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت(د.ط) [3]ص252.

[4]–المرجع السابق، ص ص/252،253

ومن جهة أخرى " ما تجلى واضحا باعتراف علماء البيئة في الربط بين انبعاثات الكبريت من المحطات الكبرى لتوليد الطاقة باستخدام الفحم أو الزيت ، وبين المطر الحمضي الذي يفسد الغابات ويؤدي إلى استنزاف سلالات السمك في الأنهار و البحيرات ، وهناك احتمال بوجود علاقة مماثلة بين عوادم السيارات وبعض عناصر الحياة النباتية إذ تسبب العوادم ذبولا تدريجيا للكساء النباتي في الغابات المجاورة " [1]

هذا وقد نجم عن عديد الآثار الجانبية الأيكولوجية والتي تمثلت في استنفاذ طبقة الأوزون المحيطة بالأرض حيث " حدد العلماء حديثا جدا ثقوبا واسعة في طبقة الأوزون تسمح بنفاذ قدر كبير من الأشعة فوق البنفسجية الضارة إلى سطح الأرض ، ويبدو جليا أن نتيجة هذا كله زيادة ملحوظة في التغيرات المناخية وفي درجة خصوبة الأرض ، وفي الإنتاجية الزراعية ، وفي كل ما هو مرتكز عليها ، وثمة نتائج أخرى تثير القلق منها احتمال أن يسهم الإحترار المزمن في ذوبان الغطاء الجليدي القطبي ، وهو ما من شأنه أن يرفع مستوى مياه البحر ويشكل خطرا على الأماكن المأهولة الآن قرب شواطيء البحار"[2]

وإذا كانت هذه الشكاوي والمخاوف قد طرحتها الدول المتقدمة ، فإن الدول النامية تهتم بمعالجة مشاكل أخرى " تؤرقها تماما ، مشكلات أخرى أكثر أساسية ، وهي مشكلات إطعام الأعداد المتزايدة من الأفواه ، وسداد فوائد الديون التي اقترضتها من بنوك الغرب ، وهذا ما يجعلها لا تولي إهتماما كبيرا لمشكلات التوازن الإيكولوجي إذ تراها أقل إلحاحا "[3]

[1]–المرجع نفسه ص 253.

[2]المرجع السابق ، ص 254.

[3]المرجع نفسه ، ص 255.

3-مشكلة علاقة الإنسان بالآلة:

علاقات جديدة بين الإنسان والآلة :أصبح الإنسان اليوم يعيش حياة لا يستطيع أن يتخلى فيها عن الآلة التي غدت أكثر قوة وذكاء، حتى أنها صارت تنافسه في ذلك ، وفي المقابل نلحظ تراجعا للأداء الإنساني لا من حيث المهارات اليدوية والحركية فقط ، بل حتى من حيث القدرات العقلية ، ففي الوقت الذي يزيد فيه ذكاء الآلة تزداد فيه بلادة الإنسان نظرا لأنه يجحف في استعمال مداركه العقلية .

إن ازدياد انتشار الآلات وازدياد الإقبال عليها يخلق مشاكل عدة منها أنها تزيد من فجوة البطالة ، وتسبب عاهات نفسية وجسدية بالغة الأثر ، قد تصل إلى حد الإستدامة .

فلم يعد الذكاء حصرا على الإنسان فقط ، أصبح هناك البيت الذكي ، الهاتف الذكي ، الموقد الذكي ، الحكومة الذكية .....إلى غيرها من المستجدات.

وبين حاجتنا الملحة للآلة ورغبتنا الجامحة في التخلص منها ، تصدر عديد التوقعات التي لا سبيل إلى التوفيق بينها ، فالآلة سبيل سهل ودرب من دروب إنجاز المهام العديدة والمتعسرة ، كما أنها أيضا وسيلة من وسائل صناعة الثروة والثورة ، وقد تساهم حتى في خطر التدمير من حولنا وليس البناء فقط.

" مجتمع المعرفة يعدنا بآلات لن تكون مجرد منفذة لأوامر الإنسان بشكل آلي ، بل قد تتجاوزه في بعض الميادين ، وهو ما يبدو واضحا بعد أن تم تطوير جيل جديد من تطبيقات تقنيات النانو التي تتوفر على قدر كبير من المرونة ، وقادرة على التكيف مع المحيط عبر تعديل وظائفها بحسب المستجدات" [1]

[1]-حسان الباهي، الذكاء الصناعي وتحديات مجتمع المعرفة، ص 23.

.فهل معنى ذلك أن الإنسان وقع صكّ عبوديته ، إذ أنه يحاول أن يلج باب مجتمع المعرفة من أوسع أبوابه حتى يمارس خصوصيته ويتعرف على ذاته ، وحتى يعرف حريته ويعيشها ، وإذا به سيجد نفسه ضائعا فاقدا حريته ؟؟؟؟

" إن التطور التقني سيوسع من مجال العقل الصناعي بشكل لن يجعله فقط ذكيا ، بل يفوق الذكاء الطبيعي ،ودليلهم على ذلك أن النظم المعلوماتية لم تعد محصورة في تنفيذ مهام يحددها الإنسان سلفا ، بل أصبحت تتمتع بنوع من المرونة و الإستقلالية التي توفر لها القدرة على أخذ زمام المبادرة في حل المشاكل واتخاذ القرارات ، أو على الأقل مساعدة المستعمل للقيام بعمليات استدلالية معقدة واتخاذ القرار ، فقد تعمد الآلة إلى إعادة توجيهه وتنبيهه للأخطاء التي يمكن أن يرتكبها، لتقترح عليه المساعدة عبر آليات وسبل يمكن إدماجها ضمن خططه المعرفية " [1] والأمثلة على ذلك كثيرة ونجدها في الحواسيب واللوحات الرقمية ، والسيارات الذكية .....إلخ

" فجعل الآلة تؤدي وظيفتها بشكل فعال يتطلب تمكينها من وسائل قادرة على جعلها تندمج في المحيط غير المصورن الذي يشكل مجال العيش اليومي للإنسان ، فما يفترض فيها هو ألا تتعامل مع الأوضاع بشكل آلي بل أن تفهم ، وتكون قادرة على تحديد معاني الكلمات والصور والأشكال، ففهم المضمون الدلالي للرموز والعلامات هو الذي سيسمح لها بإعطاء معان لأفعالها ، وهو ما سيجعل منها كائنا واعيا وقصديا "[2]

من هنا طفت إلى السطح مشاكل عديدة ، مثل هل يمكن للآلة أن تفكر ،وهل تفهم الآلة المعاني والدلالات بنفس الطريقة التي يفهمها بها الإنسان؟

[1]–المرجع السابق ،(ص ص /27،28)

[2]–المرجع نفسه ، ص 31

حقيقة ،لا يمكن أبدا إنكار أن فكرة القيم الأمريكية التي غزت العالم ، قد فتحت الباب على مصرعيه لكشف خبث التسيير الدولي في التعامل مع قضايا النمو والتحديث ، هذه القضايا التي تم اعتبارها قانونا عاما يحكم مسيرة التقدم والنهوض ، إلا أن ما حصل في حرب العراق وسوريا ، ليؤكد الشكوك في أن المعاملات الدولية تضع تسقيفا للآمال والطموحات الدولية في النمو ، فما مصير أجندات حملات التوعية العالمية لضرورة تعميق الجهود فيما يخص عمليات التنمية المستدامة على بؤر الصراعات والنزاعات العالمية؟ هناك تسقيف لآمال الدول الطامحة في مكانة مرموقة دوليا ، وكأنه صراع من يعتلي العرش ، ذنب العراق الوحيد أنها امتلكت حضارة ضاربة في القدم ، لازالت بعد الحرب وخيباتها وكوارثها تصارع الوجود وتصر على ابراز قوتها في المعرفة التي صنعها الأوائل ، بوابة بابل لاتزال تصور عراقة الجنس الأشوري ، لازالت تجسد قوة المعرفة ، وجسارة الحكمة ، ويقظة الضمير ، وأمن العدالة ، في زمن غاب فيه العدل وطغى فيه زيف النوايا ، واحتكرت فيه المعارف ، وشاع الظلم والطغيان.....

وكما يقول الباحث دانيال سارويتز في كتابه حالة الإنسان الآلة :" لقد فشلت المهمة في العراق ، لأنه لا يمكن لحرب تغيير ثقافة مجتمعية تقليدية إلى ديمقراطية حديثة "[1]

" تصوروا المهمة الصعبة التي يمكن أن ترعب كل دولة تحاول أن تواكب الولايات المتحدة الأمريكية في العلم والتكنولوجيا ، فقيمة الإستثمارات الأمريكية في البحث والتطوير من الحكومة والصناعات الخاصة ، تصل إلى حوالي ثلث الاستثمار العالمي كله ، وهذا يضمن التفوق الأمريكي في هذا المجال الحاسم " .[2]

[1] دانيال سارويتز،حالة الإنسان الآلة ،ص 204

[2] –المرجع نفسه ، ص200.

الحرب على العراق ، اضطهاد العقول ، تخريب الجامعات ، حرق المكتبات ، سرقة الآثار ....إلخ

"وبحلول العام 2009 كان الباحثون في جامعة كاليفورنيا ، في بركلي قد نجحوا في زرع اقطاب كهربائية (ELECTRODES)وجهاز راديو مستقبل في خنفساء أزهار عملاقة ، ما سمح بالسيطرة على طيران الخنفسة ، كما نجح الباحثون في زرع رقاقة سليكون في يرقانة فراشة تبقى في الفراشة عندما يكتمل نموها".[1].إذن هناك تباشير كثيرة يمكن أن تقدمها التكنولوجيا الواعدة ، قد تساهم في تجسير الكثير من الصعوبات والعوائق أمام التقدم العلمي في البيولوجيا،كما يمكنها من جانب آخر أن تشكلل تهديدا منقطع النظير "بالإضافة إلى ذلك يمكن أن تكون سيبورغ الحشرة تكنولوجيا منصة ، وليس تكنولوجيا مراقبةفقط ،وإطلاق سرب سيبورغ حشرات في محطة نووية لتدميرها قد يكون بمثل سهولةاستخدامها لتجميع المعلومات بالنسبة لطرف منافس أو معاد "[2].

ومن أمثلة استخدام التكنولوجيا فائقة الصغر ما يسمى بالخوذة التخاطرية:

" الخوذة التخاطرية " حيث يبدو أن الجيش الأمريكي منجذب بما يكفي للفكرة بحيث إنه يمول مشروع بحث استكشافي بعدة ملايين الدولارات ، يتضمن باحثين من جامعة كارينجي ملن وجامعة كاليفورنيا في ارفاين وجامعة مريلند " [3]

(بحوث 2009 قياس الأشعة الصادرة عن نشاط الدماغ ، بهدف تحديد ما يفكر فيه الفرد ، ويتم إدماج هذه التكنولوجيات مع النمذجة الحاسوبية المتوسعة جدا لهندسة الدماغ"

[1]–المرجع نفسه ،ص 213.

[2]–المرجعالسابق ، ص 216.

[3]–المرجع نفسه، ص 218.

إن الألعاب التي يمكن السيطرة عليها بالدماغ من جهة يمكنها أن تقدم صورة أوفى حول عمل الجهاز العصبي وباقي الأجهزة الحيوية في جسم الإنسان ، حيث يمكن معالجة حالات مستعصية كالأمراض النفسية ، وعدم تقبل الذات أو الويلات أو الصدمات .....حتى حالات قصور أو فرط نشاط الغدة الدرقية يمكن برمجة الدماغ على إعادة موازنة عمل الخلايا والأجهزة داخل الجسم الإنساني .

لكن إذا كنت قادرا على صنع خوذة تستطيع أن تعرف ماذا تفكر أنت ، عندها قد أستطيع أن أصنع جهازا يستطيع قراءة أفكارك عن بعد ، وإذا كنت قادرا على ذلك ، أنا أستطيع أن أعرف أفكارك بدون أن تعرف أنت أن هنالك من يقرأ أفكارك "توفر هذه القدرة منافع هامة، مثلا الأمن في المطارات ، لكن معرفة ماذا يفكر الناس هو بالكاد معادل لمعرفة ماذا ينوون أن يفعلوا ، وإذا كانت تكنولوجيا التخاطر مثلا ستحل محل حكم موظف أمن مدرب جيدا هل تكون النتيجة أمنا أفضل ؟".[1] (حالة البيت الذكي،وتعديل المزاج واختلاط الرغبات والمشاعر)

" انظر ماذا تستطيع أن تنقله الخوذة التخاطرية ليس فقط الإسم والأفعال ، ولكن أيضا الصور والصور المتحركة وأجزاء من الصوت ، وربما ذاكرة الشم واللمس ، وحتى تناغم العواطف والأحاسيس ، إنه نظام اتصالات ذو حزام عريض نطلقه هنا ، وهو نظام لم يحصل أبدا ، قبل ذلك في التاريخ البشري ، إن كان البشر قادرين على التعايش معه ، ماذا سيحصل للغة ؟ ....حتما ستتعرض اللغة وأساليب التواصل لتغيرات لا يمكن التنبؤ بها " [2]

ولمجرد أن شيئا ما يظهر أنه من الخيال العلمي ، هذا لا يعني أن العلميين لايعملون من أجل تحويله من الخيال إلى الواقع بالسرعة الممكنة .

[1]–المرجع السابق، ص 221.

[2]–المرجع نفسه، ص 221.

" علينا أن نتعلم كيف نفكر ، إفراديا وبشكل جماعي ، بشكل أكثر فاعلية حول تعقيد التكنولوجيا والأنسنة ، والخطوة الأولى هي التوقف عن رؤية التكنولوجيا والأنسنة وكأنها شيء خارج ثقافتنا المجتمعية ومؤسساتنا والإقرار بأنها جزء منا ، وإذا لم يفعل أي شيء آخر، فإن الجدال حول ما فوق الأنسنة وصعود تكنولوجيات تعزيز الإنسان قد جعل مثل هذا الإدراك حتميا ، حتى ولو كان غير مريح في الأعماق ، ولكن تبين أيضا أنه عندما نأخذ هذه الخطوة يبدأ الإنفتاح أمامنا مسارا جديدا لتفهم كيف ندير تداعيات إبداعاتنا المتواصلة والمشوشة " [1]

4-فلسطين وصمة العار لمجتمعات المعرفة :

" دور النظام السياسي العربي في إعاقة بناء مجتمع المعرفة " رسالة ما جستير ، كانت أولى ما تصفحته حول موضوع بحثي هذا ، هذا الموضوع الذي شدّ انتباهي إلى قضية جوهرية هي المسألة الفلسطينية ، الصراع اليومي من أجل أن تثبت القدم مكانها ، النضال الذي لا يتوقف من أجل الحق في الحياة ، أن تكون فلسطينيا فهذا معناه باللغة السياسية الحديثة أنك المنبوذ غير المرغوب فيه ، الجرح الفلسطيني لا يعتبر وصمة عار على جبين مجتمع المعرفة العربي ، وإنما هو في حد ذاته وصمة خذلان لكل مجتمع معرفة ناشيء، لأن من أهدافه وقيمه حفظ الكرامة الإنسانية التي كانت ولا زالت مجرد رؤوس أقلام على صفحات المؤتمرات الدولية ، وعلى أجندات الإتفاقيات الدولية . هنا ربما أستحضر موقف إدغار موران الفيلسوف الفرنسي وهو يتحدث عن السياسة الدولية والتي يعتبرها بحق سياسة فاشلة منافقة حيث يقول في هذا الصدد :"لابد من تصحيح خطأ يتعلق بعبارة الحرب على الإرهاب لأن الحرب لا يمكن أن تتم ضد دولة وليس ضد منظمة ليست قائمة على دولة كمنظمة القاعدة...إن فكرة شرطة كونية ينبغي أن لا تستغني عن سياسة عالمية ، لدينا

[1]-المرجع نفسه ، ص 233.

البوليس العالمي WORLD POLICY، وليس السياسة العالمية WORLD POLITICS، التي يجب الإرتقاء بها إلى المستوى العالمي "[1]

ففكرة العيش في عالم واحد متكافيء يستحيل أن تطبق على أرض الواقع ، " فالوضع العالمي اليوم هو كالتالي : غني وفقير والظاهرة الأساسية لا تكمن في الفقر المادي وانخفاض في الدخل ، إنما في الواقع التكاملي العميق ، حيث هناك المعدمون المحرومون من العلاج الطبي ،إنما أيضا الإهانة التي يتعرضون لها من قبل هؤلاء الذين يمتلكون السلطة ، فالظلم الأكثر خطورة ليس ماديا إنما أخلاقيا فهو لا يقاس بالدولارات بل بمدى حرمان البعض من الحقوق الأساسية التي يتمتع بها الأقوياء"[2]

والقضية الفلسطينية تأخذ شرعيتها من شغف الشعوب العربية بالحرية والكرامة الإنسانية، فالحصار الفلسطيني يؤكد يوما بعد يوم أن لا سبيل إلى حرية العرب ، إلى حرية الأوطان وفلسطين تحت الحصار ، فالسيادة العربية سيادة على كل شبر يتكلم العربية سواء تشابهت ديانته وقيمه وعاداته وتقاليده أو اختلفت ولكن ما يجمع هذه الطوائف والفرق أعظم من أن يفرقها.

" إن الإهانة المنظمة التي يتعرض لها الفلسطينيون تحس بها بشكل كبير الأغلبية الساحقة من الشعوب العربية والإسلامية ، فإن بقي هذا السرطان بلا علاج ، وإن لم يعترف بحق الفلسطينيين في بناء دولتهم ، فإن الوضع العالمي سيزداد خطورة "[3]

فمزيد من الصمت لن يزيد سوى من معاناة الفلسطينيين ومن تضييق الخناق عليهم ، فحاجتنا ليست لعقد الإجتماعات من أجل التنديد بالممارسات العدوانية أو حتى تجريم

---

[1] –جون بوديار، إدغارموران ، عنف العالم،تر عزيز توما ،دار الحوار للنشر والتوزيع سوريا ، ط1 ، 2005 ، ص ص / 80، 81

[2] – المرجع السابق، ص 81.

[3] –المرجع والمكان نفسه.

الأفعال الإسرائيلية ، وإنما الهدف والغاية هو أن نجتمع من أجل توجيه الرأي العالمي إلى هذه القضية ، وإلى اتخاذ التدابير اللازمة لتطبيق القانون الدولي وحفظ كرامة وحقوق الشعب الفلسطيني .

" إن ما يحدث اليوم للشعوب العربية تحت راية الإرهاب يستوجب تغيير إستراتيجية الحقيقة في خطابنا ، يبدو أن معجمنا السياسي الكلاسيكي لم يعد قادرا على معالجة هذا الشكل من البربرية التي سقط فيها العالم الإسلامي بخاصة والعالم برمته طالما لا زلنا نسمح لأنفسنا بالحديث عن عالم ، لأنه يبدو أنه لم يعد ثمة عالم ، ولم يعد ثمة مستقبل في انتظارنا ....ما تبقى لنا هو أن نواصل الحلم والنضال اليومي من أجل الحياة " [1]

فما شبّ عليه شبابنا هو أن اسرائيل منخرطة حسب تشوميسكي في كفاح وجودي من أجل البقاء ، فبالنظر إلى الرأي العالمي التي تجمهره اسرائيل مقابل التعتيم الذي تتلقاه القضايا المتعلقة بأمن وسلامة الفلسطينيين "فاعتقال العريف جلعاد شاليط شكل الهجوم على الضحية المثيرة للشفقة في الجنوب،بينما لم يشكل اختطاف مدنيين غزاويين في اليوم الذي سبق ، وعدد آخر لا يحصى من الجرائم المماثلة ، أكثر من عملية دفاع عن النفس،أما الهجوم من الشمال فهو أسر حزب الله في 12تموز/يوليو لجنديين اثنين، وهذا مزيد من الاستخفاف ، فقد مرت عقود واسرائيل تخطف وتقتل مدنيين في لبنان أو في أعالي البحار بين لبنان وقبرص،ممسكة بالكثيرين رهائن لفترات طويلة فيما ترسل أعدادا أخرى غير معروفة إلى سجن سرّي–غرف تعذيب على غرار المنشأة 1391(وهذه الأمور لم تنشر في الولايات المتحدة) ، ولم يسبق لأحد أبدا إدانة إسرائيل على عدوانها أو دعا إلى هجمات إرهابية

[1]– المرجع السابق ، ص 36.

انتقامية كبرى، وكالعادة يبلغ الإستخفاف حدود السماء معبرا عن الذهنية الإمبريالية المتجذرة في شكل عميق بحيث يكاد لا يدرك "[1]

فهل تستطيع الفلسفة المعاصرة تفكيك وإعادة بناء الخطاب السياسي الحالي الذي يتحدث أكثر من لغة ويحيل إلى أكثر من شكل بين الممارسة والتنظير ؟

لأننا قد نحلم لنتقوى ونكابد ونصبر ونرفع الهمم وننسى المآسي ، لكننا نخشى أننا في مرحلة معينة من الزمن قد نتوقف عن الرغبة في الحلم ، لأن الأحلام لا تؤكل خبزا ولا تشعل موقدا، ولا تعيد شهيدا ، ولا تأوي غريبا ضاع بين الأوطان.....

"يبقى الفيلسوف هو أسعد الناس في هذا العالم ، وذلك لأنه يؤمن أن السعادة هي دوما ممكنة مرة أخرى ، ها هنا لا تكمن السعادة في سعادة المترفين وذوي البطون المشبعة ، بل تكمن في بهجة الحياة حينما نحب وحينما نبدع فنا وحينما نبتهج بولادة حقيقة ما ، نحن نسعد بكل تغيير بهيج لما يحدث لنا ، لا ينبغي أن نتأمل الوجود وننعم بدفء أحضان الكينونة النائمة ، إنما علينا الذهاب دوما لملاقاة الحدث ، حدث ما هو ذاك الذي يغير نظام العالم " [2]

ولكن ...أن ننتظر الحدث وحدوثه لذلك غباء وجبن في حد ذاته ، وإنما الفلسفة الحقّة هي التي تنغمس في الواقع والوجود وتصنع هذا الحدث وتستقريء هفواته وغفواته ، ترى في كل مأزق حل ، وفي كل حل مأزق ، لا تجد الصعب صعبا بل تسعى لتفتيته وغربلته، وتصنع من اللاشيء شيئا في سبيل بحثها الدائم عن السعادة.

" إن السعادة هي قدرة كل منا على محبة المستحيل بما هو إمكانية سعيدة من الحياة ، فلتطلبوا المستحيل لأن الواقع لا ليس سوى أفقر إمكانيات الممكن الذي بحوزتكم ، أعيدوا

[1]–نعوم تشوميسكي،إيلان بابه، غزة في أزمة، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر،بيروت لبنان ،ط1، 2011، ص 25

[2]–المرجع السابق، ص198.

إلى العالم قدرته على السعادة ، من أجل ذلك ينبغي الوفاء لإبداع حقيقة أخرى ، حول أنفسكم "[1]

ومن المهام الجديدة والمتجددة والتي تبقى الفلسفة تبحث عنها باستمرار هي البحث عن السلام ،ويبقى من قيم الفلسفة وأهدافها هو :" إرساء علاقات حوار واتفاق بين الناس تفاديا للعنف والتخاصم والتحارب ، فمجال الفلسفة هو مجال الحوار والتسامح والإحترام ، مجال الفضاء العمومي حيث يتواصل الناس بأفكارهم ونقاشهم وبحريتهم وتعابيرهم المختلفة وحيث تتحدد هويتهم فيحصل التذاوت والتواصل بالمحبة التسالمية أو بالمواجهة التنافسية "[2]

ولطالما رددنا العبارة السقراطية الشهيرة " اعرف نفسك " وتغنينا بها ، لإيماننا الواثق من أن المعرفة أو بالأحرى معرفتنا لذواتنا تحررنا من الكثير من القيود التي تحول دون ترقينا وتعظم في كل حين حاجتنا إلى سبر أغوار أنفسنا ، فكما قال مالك بن نبي في كتابه دور المسلم ورسالته في الثلث الأخير من القرن العشرين أنه علينا أن نعرف ذواتنا ، وأن نعرف الآخر ، ثم أن نعرف بذواتنا للآخر ، فجهلنا لقيمنا وثوابتنا ومتغيراتنا ، وجهلنا لمواضع ضعفنا ، ومكامن قوتنا ، لا يمكنه أبدا أن يساهم في تقديم صورة حقيقية لنا للآخر .

" **إن** الانسان يبقى أسير الخوف ، خوف الموت والآلهة طالما أنه لا يعرف مكانه في العالم، هذه المخاوف يمكن بل ويجب الانتصار عليها بالتنوير وبالمعرفة ، بالفلسفة ، إن الشرط الرئيسي لتحرير الإنسان من ربقة المخاوف يكمن في المعرفة اليقينية للطبيعة ومعرفة الطبيعة هامة ، لا بذاتها ، بل للغاية لأنها تقرب الإنسان من بلوغ حياة الطمأنينة وعدم القلق والجزع " [3]

[1]– المرجع نفسه ، ص 199.

[2]–فتحي التريكي ، فلسفة الحياة اليومية ، ص 218.

[3]موجز تاريخ الفلسفة ، تأليف الاساتذة السوفيات ، تعريب توفيق ابراهيم سلوم ، ط3، 1979، دار الفكر موسكو،ص121

فما نحن بأمس الحاجة إليه هو إعادة النظر إلى مشكلة المعرفة باعتبارها معتقدا حيث نادى بذلك ريتشارد رورتي في كتابه الفلسفة ومرآة الطبيعة " إذا فكرنا بأن المعرفة ليست امتلاكا لماهية ،وعلى العلماء أو الفلاسفة أن يصفوها ، وإنما كحق من الإعتقاد بواسطة اللمعايير الجارية فإننا نكون عللى اللطريق الصحيح لأن نرى "المحادثة" سياقا أخيرا فيه يجب فهم المعرفة ، فنظرنا انتقل من التركيز على العلاقة بين البشر وموضوعات بحثهم إلى العلاقة بين معايير تسويغ بديلة ، ومن هناك إللى التغيرات الفعلية في تلك المعايير التي تؤلف التاريخ الفكري "[1]

[1]–ريتشارد رورتي ، الفلسفة ومرآة الطبيعة ، تر حيدر حاج اسماعيل ، المنظمة العربية للترجمة ، بيروت ط1، 2009 ،(ص ص /507،508)

خاتمة

خاتمة

تعد المعرفة دعامة رئيسية من دعائم تقدم الأمم والنهوض بها ، فضلا عن أنها مصدر من مصادر تقدم وازدهار وتنمية المجتمع والباعث على الحراك الفكري والإجتماعي ،ويطلق على العصر الحالي (عصر المعرفة) فإذا كان لكل عصر ثروته فإن المعرفة هي ثروة هذا العصر ، إنه مجتمع الثورة الرقمية بامتياز.

ولا يمكن للفلسفة تجاهل سؤال المعرفة ، لما يحويه من حمولة فكرية بناءة قوامها النقد والتحليل ، فسؤال المعرفة سيظل يتردد على الألسن نظرا لخصوصية الوضع المعرفي العربي وحتى العالمي ، بالإضافة إلى كافة المستجدات التي تطرأ على الحقول المعرفية المختلفة والتي تساهم تكنولوجيا المعلومات والاتصال في إشاعتها .

سؤال إلى أين المسير ؟ وكيف السبيل ؟هو جوهر أي حركة يمكن أن تخطوها المجتمعات المعاصرة ، حتى تكف عن النظر في أسباب تخلفها ، وتسلط الضوء على ما خلّفه الإرث الفكري الإنساني من إنجازات ، حتى تخلق العدة وتجهز العتاد لمجابهة المشكلات المستجدة.

لذلك ترفع المجتمعات اليوم سقف توقعاتها نظرا لحجم المشكلات اليومية المتراكمة ، وتسعى على نفس المنوال محاولة في استيعاب متطلبات المرحلة الراهنة ، فمن وضع الخطط والبرامج للتجاوز والارتقاء واستشراف المستقبل بالقدر الكافي ، كل ذلك مرهون بمدى استيعابها لمتطلبات المرحلة الحاسمة من جهة واستعدادها في كل مجال من المجالات السياسية والاجتماعية والاقتصادية من جهة أخرى ، دون إغفال أهمية إحداث التكامل بين القطاعات المختلفة ، فلن تكفي المعرفة لوحدها كوسيلة للتنمية إذا لم تتوج هذه الوسيلة بالعقل الناقد الذي يصنعها ويرافقها ويستحدثها بين الحين والآخر .

لذلك ستظل الثروة متعلقة بالفكر وبالعقل وبأي نشاط يمكنه أن يؤسس للنظر وللفعل ، مرورا برسم واقع أحسن وأفضل عن ما كان عليه .

تستهدف اليوتوبيا بالأساس بناء عالم أفضل ولتحقيق ذلك فإن الأمر يتطلب تغييرا يمس أغلب جوانب الحياة السياسية والإجتماعية والاقتصادية والتربوية ، واليوتوبيا ضرورية في كل مرحلة من مراحل حياة المجتمعات والمدن ، لأننا مع فقد اليوتوبيا كما يقول ريكور سيفقد الإنسان إرادته في تشكيل التاريخ ، ومعها قدرته على فهمه.

ومادام السؤال جوهر النشاط الفلسفي ، فإننا لا نستطيع مغادرة هذه الصفحات دون التساؤل عن مصير مجتمعات المعرفة ، وهل هي الصورة النهائية لأحلام الجنس البشري ؟ أم أننا لازلنا بحاجة إلى تجسيد أحسن صورة للعيش في مجتمع الحكمة التي لا بد أن تسوس حركة المجتمعات العاقلة في طلبها للنمو والتحضر .

فسؤال ما المصير؟ لن يبارح عقول الفلاسفة مادام الإنسان يرغب ويطمع في تغيير الوضع الحالي بما يرى أنه الأصوب والأصلح .

قائمة المصادر والمراجع:

-القرآن الكريم

قائمة المصادر :

1. أرسطو في السياسة، تر، أوغسطين برباره البوليسي، المكتبة الشرقية، بيروت ط2، 1980.
2. إريك فروم ،الإنسان من أجل ذاته.تر محمود منقذ الهاشمي ،ط2007،1.
3. أفلاطون، الجمهورية، تر فؤاد زكريا، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، (د، ط).
4. الفارابي، آراء أهل المدينة الفاضلة. تحقيق ألبير نصري نادر، بيروت 1959.
5. الفرابي السياسة المدنية ، تاريخ حكماء الإسلام، دار الثقافة، ط1، القاهرة 1986.
6. القديس أوغسطين الاعترافات.تر إبراهيم الغربي ،المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون بيت الحكمة،2012.دون طبعة .
7. القديس أوغسطين، مدينة الله، تعر الخور أسقف يوحناالحلو،الكتاب التاسع.دار المشرق ، بيروت ،ط2، 2007.
8. المنجزة المهدي، حوار التواصل من أجل مجتمع معرفي عادل، دار وليلي للطباعة والنشر، مراكش، ط6، 2000.
9. بوبر كارل، بحثا عن عالم أفضل ،تر أحمد مستجير ،الهيئة المصرية العامة للكتاب ،دون طبعة، دون سنة الطبع.
10. جون بوديار، إدغارموران ، عنف العالم،تر عزيز توما ،دار الحوار للنشر والتوزيع سوريا ، ط1 ، 2005.
11. جون جاك روسو ، أحلام يقظة جوال منفرد ،تر ثريا توفيق ، المركز القومي للترجمة ، القاهرة ، ط2 ، 2009
12. جون فرانسوا ليوطار ،الوضع ما بعد الحداثي ، تر أحمد حسان، دار شرقيات ،القاهرة ،ط2009،1.
13. روجيه غارودي ، مشروع الأمل ،دار الآداب بيروت ، ط1، 1977

14. عبد الرحمن الكواكبي – الأعمال الكاملة– دراسة وتحقيق محمد جمال طحان– مركز دراسات الوحدة العربيةط3 2007 .93 الدار البيضاء.
15. علي حرب ، ثورات القوة الناعمة في العالم العربي ، منشورات الإختلاف ، الدار العربية للعلوم ناشرون ،لبنان ، ط1– 2011.
16. –علي حرب– الإنسان الأدنى،أمراض الدين وأعطال الحداثة ،المؤسسة العربية للدراسات والنشر،ط2010،2.
17. علي الوردي ، الأحلام بين العلم والعقيدة،دار كوفان لندن ،ط2 ،1994
18. –فتحي التريكي ، فلسفة الحياة اليومية، الدار المتوسطية للنشر ، بيروت ،تونس ،دون طبعة ، دون سنة الطبع .
19. فوكو ميشال، حفريات المعرفة، ترجمة سالم يافوت، المركز الثقافي العربي الكويت، الدار البيضاء المغرب، ط 1، 1986.
20. كارل بوبر، درس القرن العشرين ،تر الزواوي بغورة،لخضر مذبوح، منشورات الإختلاف ،ط1 ،2008.
21. كيث دقلين، الإنسان والمعرفة في عصر المعلومات، تعر شاذنالياني، مكتبة العبيكان، المملكة العربية السعودية، ط1، 2001.
22. ليوتار جون فرانسوا ،لماذا نتفلسف ؟، تر يوسف السهيلي ،دار التنوير للطباعة والنشر ،تونس.ط1، 2017.
23. محمد عابد الجابري، التنمية البشرية في الوطن العربي، الأبعاد الثقافية والمجتمعية، سلسلة دراسات التنمية البشرية رقم 2، صادر عن اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا الاسكوا، وبرنامج الأمم المتحدة الإنمائي 1995.
24. مورانإدغار ، هل نسير إلى الهاوية ؟،تر عبد الرحيم حزل ،أفريقيا الشرق ،2012،المغرب(د.ط).

25. نيتشه فريدريك، العلم المرح، ترجمة وتقديم حسان بورقية، إفريقيا الشرق،المغرب، ط1، 1993.

قائمة المراجع

1. –احمد بلال، حول أزمة المعرفة العربية، مكتبة دار طلاس دمشق، ط1، 2005.
2. –احمد عرفات القاضي، صورة الحاكم الفيلسوف بين أفلاطون وبعض فلاسفة الإسلام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، (دط)، 2012.
3. –إدجارفوروآخرون– تعلم لتكون– ترد حنفي بن عيسى– اليونسكو الشركة الوطنية للنشر والتوزيع– الجزائر– ط2– 1976.
4. أر إيه بوكانان.الآلة قوة وسلطة التكنولوجيا. ، تر شوقي جلال ،المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت 2000. دون طبعة .
5. -تركي الحمد ، الثقافة العربية أمام تحديات التغيير ، دار الساقي ، ط1 ، 1993، بيروت لبنان.
6. –تييري باكو ،الطوبياوالطوباويون ،تعريب أ.دخليل أحمد خليل ، دار الفرابي بيروت ، ط1–2008.
7. –جان كلود فريس، القديس أوغسطين، تر عفيف رزق المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت (دط).
8. -جورج سباين ،تطور الفكر السياسي ج2، الهيئة المصرية العامة للكتاب(د،ط) (د،س.ط)
9. –حسان الباهي ،الذكاء الصناعي وتحديات مجتمع المعرفة.أفريقيا الشرق ، المغرب ،2012، دون طبعة .
10. –حنا الفاخوري وخليل الجر، تاريخ الفلسفة العربية، دار الجيل، ط1، بيروت 1982.
11. –د.نبيل علي،د.نادية حجازي، الفجوة الرقمية .رؤية عربية لمجتمع المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ،الكويت ،2005،(د.ط).

12. –دانيال سارويتز،حالة الإنسان الآلة.تر حسن الشريف ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ط1، 2013.

13. –دومينيك لوكور ، فيما تفيد الفلسفة إذن ؟ من علوم الطبيعة إلى علوم السياسة ، تر محمد هشام ، أفريقيا الشرق ،2011، المغرب (دون طبعة)

14.–سعد علي الحاج بكري، التحول إلى مجتمع المعرفة، مكتبة الملك عبد العزيز العامة ،الرياض ،(د.ط) ،1426هـ.

15. –سيايمونكريتشلي ، الفلسفة القارية ، تر أحمد شكل ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، مصر ط1 ، 2016.

16. –شريف الدين بن دوبة ،اليوتوبياوالمواطنة ، دار الروافد الثقافية ناشرون ،ط1–2017–لبنان

17. –صفدي مطاع، استراتيجية التسمية في نظام أنظمة المعرفية، منشورات مركز الإنماء القومي، لبنان ط 1، 1986.

18. –عامر حسن فياض، وعلي عباس مراد، إشكالية السلطة: تأملات في العقل الشرقي القديم والإسلامي الوسيط، دار الشؤون الثقافية، بغداد ط1، 2005.

19. –عامر عبد زيد الوائلي ، اليوتوبيا والفلسفة الواقع اللاّمتحقق وسعادات التحقق ، منشورات ضفاف ، لبنان ،ط1–2014.

20. –عبد الإلاه بلقزيز ، اليوتوبيا بوصفها مادة خاما للتاريخ ، ، مجلة مدار النظر ، العدد 3–4 خريف 2012–ربيع 2013 المغرب .

21. عبد الجليل التميمي تساؤلات حول مجتمع المعرفة والمؤرخين والنخب في البلاد العربية، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات تونس، أكتوبر 2004.

22. –عبد الحسن الحسيني، التنمية البشرية وبناء مجتمع المعرفة، قراءة في تجارب الدول العربية إسرائيل والصين، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1 2008.

23. عبد الرحمن مرحبا، من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية، منشورات عويدات، بيروت، باريس، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، ط3، 1983.

24. عبد العزيز بومسهولي ،مبادىء فلسفة التعايش ، أفريقيا الشرق ، الدارالبيضاء ،(د.ط) ،2013.

25. عبد الكريم مجدي حبيب، مجتمع المعرفة والإبداع في القرن الحادي والعشرين، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 2009.

26. علي عبد المعطي محمد ، د عبد الوهاب جعفر ، من قضايا الفلسفة ومشكلاتها ، دار المعرفة الجامعية ، مصر .2003(د ط) .

27. علي عبد الواحد وافي، فصول من آراء أهل المدينة الفاضلة، مطبعة الفكرة، القاهرة، ط1- 1950.

28. علي عبود المحمداوي، الفلسفة السياسية، كشف لما هو كائن، وخوض فيما ينبغي للعيش معا، منشورات ضفاف لبنان، ط1، 2015.

29. عمر مهيبل ، البنيوية في الفكر الفلسفي المعاصر ، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر ، ط2، 1993.

30. فاروق سعد، مع الفرابي والمدن الفاضلة، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1982 .

31. فراز الشيخ الفزاري ،مباحث الفلسفة الرئيسة ، دار الجيل ، بيروت ،ط 1، 1992.للطباعة والنشر والتوزيع ،القاهرة ، ط 2، 1975 .

32. فرانسوا بيرو ،فلسفة لتنمية جديدة ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، اليونسكو، بيروت ،ط1، 1983.

33. فرانسوا شاتليه ، تاريخ الأفكار السياسية، تر: خليل أحمد خليل (د ط)، دار الفكر العربي، بيروت، 1984.

34.فضل الله إسماعيل ،الدولة المثالية بين الفكر الإفريقي والفكر الإسلامي . دار المعرفة الجامعية، مصر 1996.(د.ط)

35.كامل شياع ، اليوتوبيا معيارا نقديا ، تر سهيل نجم ، دار المدى للثقافة والنشر ، بيروت ، ط1– 2012.

36. لايمان تاورسارجنت ،اليوتوبية، مقدمة قصيرة جدا، تر ضياء وزّاد ،مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ط 1، 2016 .

37.لمياء جنات، الثقافة الرقمية في مجتمع المعرفة و المعلومات تونس نموذجا،16_18 نوفمبر 2015،دارالإتحاف للنشر والتوزيع،المطبعة المغاربية للنشر والاشهار، دون طبعة

38.ماريا لويزا بنيري،المدينة الفاضلة عبر التاريخ ،تر عطيات أبو السعود ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، رقم 225، 1997، الكويت(د،ط)

39. مجدي عبد الكريم حبيب، مجتمع المعرفة والإبداع في القرن الحادي والعشرين،دار الفكر العربي،القاهرة.

40. مجاهد عبد المنعم مجاهد، مدخل إلى الفلسفة ، الأعمال الكاملة ، ج 19 ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، القاهرة ، (د.ط) (د.س ط) .

41. محمد ضياء الدين الريس، النظريات السياسية الإسلامية مكتبة دار التراث، القاهرة، ط7، 1976.

42. محمد علي الكبسي ،اليوتوبيا والتراث ، دار الفرقد للطباعة والنشر والتوزيع ، سورية ، ط1، 2008.

43. مشير بسيل عون وآخرون، التقليد والحداثة وما بعد الحداثة في المجال العربي ، المركز الثقافي العربي ، بيروت لبنان، ط1، 2018.

44. مصطفى النشار، تطور الفكر السياسي القديم من صولون حتى ابن خلدون للطباعة والتوزيع القاهرة، 2003،(د، ط).

45.مصطفى النشار، تطور الفكر السياسي القديم من صولون حتى ابن خلدون للطباعة والتوزيع القاهرة، 2003، (د، ط).

46. مصطفى محمود، الأحلام.دار المعارف ، القاهرة

47. منير شفيق، تنمية إنسانية أم عولمة، دراسة تحليلية نقدية لتقريري التنمية الإنسانية العربية لعام 2002 – 2003، دار الطليعة بيروت، ط1 2004.

48.موجز تاريخ الفلسفة ، تأليف الأساتذة السوفيات ، تعريب توفيق ابراهيم سلوم ، ط3، 1979، دار الفكر موسكو.

49.مؤلف جماعي ،منروائع النصوص المغربية ، منشورات سلسلة المعرفة للجميع (د.ط–د.سنة الطبع) المغرب.

50. مؤلف جماعي– مؤسسات العلم والتعليم في الحضارة الإسلامية– منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانيةمطبعة النجاح الجديدة – ط1– 2008 – الرباط.

51. نبيلعلي ، العرب وعصر المعلومات ، سلسلة عالم المعرفة رقم 184، ابريل 1994، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت.

52.نبيل علي ، العقل العربي ومجتمع المعرفة مظاهر الأزمة واقتراحات بالحلول، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ،الكويت ، 2009.

53.نبيل علي ،العرب وعصر المعلومات، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، سلسلة عالم المعرفة رقم 184، سنة 1994، دون طبعة.

54. –نعوم تشوميسكي،إيلان بابه، غزة في أزمة، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ،بيروت لبنان.

55. –هالة أبو الفتوح ، فلسفة الأخلاق والسياسة عند كونفوشيوس،دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، 2000.(د.ط)

56. –هالة أبو الفتوح أحمد ، فلسفة الأخلاق والسياسة عند كونفوشيوس ،دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة ، 2000(د.ط).

57. فرانشيكو خافيير كاليلو ،مدن المعرفة الخبرات والرؤى ،تر خالد علي يوسف ،المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت سلسة عالم المعرفة ،أكتوبر(د ط)2011

58. –هنترميد ، الفلسفة أنواعها ومشكلاتها ، ترجمة فؤاد زكريا ،دار نهضة مصر

59. –يوستراوس وجوزيف كروبسي، تاريخ الفلسفة السياسية من ثيوكيديس حتى اسبنوزا، ترجمة محمود سيد أحمد مراجعة وتقديم إمام عبد الفتاح إمام المشروع القومي للترجمة، مصر، 2005(دط).

قائمة الموسوعات والمعاجم:

1. –ابن منظور، لسان العرب، المجلد الثاني (حرفي ج،ح)، دار الحديث، القاهرة ، (د، ط) ، 2013.
2. –أحمد زكي بدوي ،معجم المصطلحات السياسية والدولية ، انجليزي ، فرنسي ، عربي ،، دار الكتاب المصري القاهرة ، ط 1–1989.
3. –الحلو عبده، معجم المصطلحات الفرنسية فرنسي عربي، المركز التربوي للبحوث والإنماء، مكتبة لبنان دون طبعة ودون سنة الطبع.
4. –الشيخ العلامة التهانوي الحنفي محمد علي بن علي، كشّاف اصطلاحات الفنون، المجلد الثالث، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1998.(دون ذكر اسم المؤلف).
5. –المنجد في اللغة العربية والأعلام، دار المشرق بيروت، الطبعة 26 سنة 1983 .
6. –أندريه لالاند ،موسوعة لالاند الفلسفية ،تعر خليل أحمد خليل،منشورات عويدات بيروت باريس ، ط2 ،2001.
7. –جميل صليبا ، المعجم الفلسفي ، ج2، دار الكتاب اللبناني ،بيروت لبنان ،1982 (د.ط) .
8. –جميل صليبا، من أفلاطون إلى ابن سينا، دار الأندلس، دمشق، ط4، 1951.

قائمة المجلات :

1-مجلة المستقبل العربي عدد أغسطس 2007.

2-مجلة مدار النظر ، العدد 3-4 خريف 2012-ربيع 2013 ،المغرب.

-قائمة التقارير الدولية :

1. مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم برنامج الأمم المتحدة الإنمائي UNDP ، تقرير المعرفة العربي 2009 (نحو تواصل معرفي منتج)، شركة دار العزيز للطباعة والنشر، الإمارات العربية المتحدة دبي.
2. -تقرير الأمم المتحدة الإنمائي من مجتمع المعلومات إلى مجتمع المعرفة، مطبوعات اليونسكو 2005، فرنسا(دون طبعة).
3. -برنامج الأمم المتحدة الإنمائي ، تقرير التنمية الإنسانية العربية 2003، نحو إقامة مجتمع المعرفة ،المكتب الإقليمي للدول العربية 2003(د.ط).
4. -مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم،مؤشر المعرفة العربي 2015، آل مكتوم، شركة دار الغرير للطباعة والنشر دبي(دون طبعة، دون سنة الطبع).
5. -تقرير آفاق الإقتصادالعربي ، الإصدار السادس عشر أبريل 2022.
6. -مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم، برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، تقرير المعرفة العربي للعام 2014، الشباب وتوطين المعرفة، دولة الإمارات العربية المتحدة، دار الغرير للطباعة والنشر، دبي، (دون طبعة / دون سنة الطبع).
7. -مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم، برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، تقرير المعرفة العربي للعام 2014، الشباب وتوطين المعرفة، دولة الإمارات العربية المتحدة، دار العزيزي للطباعة والنشر، دبي، (دون طبعة / دون سنة الطبع) ص، ت.
8. -موجز مخلص تقرير العلوم حتى العام .2030
9. -موجز تقرير اليونسكو عن العلوم لعام 2010، منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة، منشورات اليونسكو، فرنسا ،(د.ط) ،2010.

المواقع الالكترونية :

-تقرير عن نشاطات وزارة التعليم العالي والبحث العلمي تاريخ التحميل 10 جوان 2022، العاشرة تماما.

-ROYAHNEW. COMتاريخ الإطلاع 3/25 /2022 التوقيت 12:04-

-www.Kommooyenet.com.(نتائج2018)

قائمة المحتويات

العنوان	الصفحة
مقدمة	1
الفصل الأول :مجتمع المعرفة المفهوم والخصائص	9
المبحث الأول :مجتمع المعرفة ومقوماته	10
1-المعرفة	10
2-مجتمع المعرفة	15
3-مرجعيات مجتمع المعرفة	22
المبحث الثاني: أركان مجتمع المعرفة	29
الفصل الثاني : مكانة المعرفة بين حتمية الفلسفة ومشروعية الحلم	44
المبحث الأول: الفلسفة وعلاقتها بالمعرفة	45
1-الفلسفة	45
2-الإنسان المعاصر وحاجته للفلسفة	49
3-الفلسفة ونظرية التنمية	51
4-المدينة كفضاء مشترك للتعايش	53
5-الفلسفة طريق نحو المعرفة وممارسة الخصوصية	54
المبحث الثاني : يوتوبيا مجتمع المعرفة	57
1-لماذا يوتوبيا مجتمع المعرفة	57
2-الحلم بين الأمل واليوتوبيا	59
3-هل تحلم الشعوب ؟	61
هل يحلم الفلاسفة ؟	63
اليوتوبيا باعتبارها عملا ثوريا	70

الفصل الثالث : مجتمع المعرفة العربي بين الواقع والمأمول	**106**
المبحث الأول الملامح العامة لمجتمع المعلومات والمعرفة في الوطن العربي	**107**
1-واقع الدول العربية	**107**
2-واقع مجتمع المعرفة العربي	**114**
المبحث الثاني :جهود دول المشرق والمغرب العربيين للولوج إلى مجتمع المعرفة	**138**
أولا : جهود دولة الإمارات العربية المتحدة للولوج إلى مجتمع االمعرفة	**138**
ثانيا : جهود المملكة العربية السعودية للولوج إلى مجتمع المعرفة	**155**
ثالثا : واقع دول المغرب العربي للولوج إلى مجتمع المعرفة	**167**
1-المشهد المعرفي في دول المغرب ، الجزائر ، تونس	**167**
2-المشهد الإقتصادي	**174**
المبحث الثالث : مجتمعات المعرفة رؤية نقدية	**184**
1-المشكلة الأخلاقية	**195**
2-المشكلة البيئية	**199**
3- مشكلة علاقة الإنسان بالآلة	**203**
4-فلسطين وصمة العار لمجتمعات المعرفة .	**208**
خاتمة	**215**
قائمة المصادر والمراجع	**217**
الفهرس	**227**